

أَحْسَنُ تَفْسِيرٍ لِلْقُرْآنِ بِفَيْضٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

آيَاتُ السَّلَامِ مُحْكَمَةٌ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ

مَجَالِمُ الْمَلِكِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

الجزء الرابع والسبعون بعد المائتين

المرجع الديني للمسلمين

الشيخ صالح آل عطائي

للسنة والفقه والأصول والتفسير والأخلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله على توالي ووفرة ومضاعفة النعم ، وإتصال الرزق المحتسب وغير المحتسب .

الحمد لله الذي يعطي من غير سؤال ، ويهب من غير أسباب ، ويرزق من غير استحقاق .

وأيهما أكثر النعم التي تأتي ابتداء من عند الله ، أم التي تأتي بالدعاء والمسألة ، والعلة والمعلول ، المختار هو الأول ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَفَتَّورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

نعم ينفرد المؤمنون بالنعم التي تأتيهم بالدعاء ، بينما يشتركون مع عامة الناس بالنعم التي تأتي ابتداء من عند الله ، ويدل على هذا التباين قوله تعالى ﴿قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾^(٢).

الحمد لله حمد الشاكرين ، والشكر لله شكر الحامدين الذي أنعم بالرزق الكريم ، والخير الجزيل ، والهبات العظيمة .

الحمد لله الذي جعل رزقنا في السماء فلا تصل إليه أيدي الطواغيت ، ولا عبث الشياطين ونحوسة الحاسدين ، ليطرد الشك والظن في نقصانه ، وليكون هذا الطرد سبباً لشكرنا لله عز وجل والثناء عليه ، والإنقطاع إلى عبادته .

(١) سورة النحل ١٩.

(٢) سورة الفرقان ٧٧.

اللهم اجعلنا من الشاكرين لفضلك ، الراضين بقسمك ورزقك ،
الذاكرين لإحسانك المسبحين بحمدك .

الحمد لله الذي يقبل التوبة من العباد ، ويعفو عن المعاصي والذنوب ،
والذي تفضل ودعا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للعفو والصفح
العام والإستغفار للمسلمين ، قال تعالى ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾^(١).

وهل هذا الأمر من الخطابات الخاصة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله
وسلم أم أنه خطاب خاص لفظاً ، والمراد منه عام ، الجواب هو الثاني .

ومن الإعجاز في المقام توجه الأمر بالعفو إلى المسلمين جميعاً للعفو عن
الناس ، قال تعالى ﴿وَدَكَّيْرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَهَارًا حَسَدًا
مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاغْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ
بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

ليان اتصال وتجدد موضوع عفو المسلمين فيما بينهم ، وعفوهم عن
الناس ، وهل يدل هذا التجدد على أن آيات السلم محكمة غير منسوخة أم
أن موضوعها منفصل ، المختار هو الأول .

ومن فضل الله عز وجل في المقام إخباره عن الأجر والثواب لمن يعفو
عن غيره ، بقوله تعالى ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

وهل الأجر في المقام من الكلي المتواطىء المتساوي ، أم من الكلي
المشكك الذي يكون على مراتب متفاوتة .

(١) سورة آل عمران ١٥٩.

(٢) سورة البقرة ١٠٩.

(٣) سورة الشورى ٤٠.

المختار هو الثاني ليأتي الأجر الأكثر لمن يبادر إلى العفو ، وكذا في العفو عن التعدي والظلم الظاهر والأشد .

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الارض ، يرحمكم من في السماء .

وعن النبي صلى الله عليه وآله ، انه قال : ان على كل مسلم في كل يوم صدقة ، قيل : من يطيق ذلك .

قال : إماطتك الاذى عن الطريق صدقة^(١) .

وبعد أن أنعم الله عز وجل علينا بصدور الجزء الثالث والسبعين بعد المائتين من هذا السفر خاصاً بتفسير الآية الأخيرة من سورة آل عمران ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢) ويتضمن (٢٤٣) قانوناً يأتي هذا الجزء خاصاً بقانون آيات السلم محكمة غير منسوخة. وقد صدرت بخصوص هذا العنوان اثنا عشر من هذا السفر وهي :

٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢١٤ -

٢١٥ - ٢٣٣ - ٢٤٠ - ٢٤١ -

٢٤٢ - ٢٤٨ - ٢٦٠ - ٢٧٤ -

والتي ذكرت فيها عدداً من آيات السلم التي قيل أنها منسوخة بآية السيف ، ولا دليل على هذا النسخ ، وإن كان مشهوراً وشائعاً .

الحمد لله الذي جعل الحياة الدنيا دار خلافة الإنسان في الأرض يعمرها بالعبادة والتقوى والصلاح ، ويبعث عز وجل الأنبياء ﴿مُبَشِّرِينَ

وَمُنذِرِينَ﴾

(١) مستدرک الوسائل ٣٥١/١٢ .

(٢) سورة آل عمران ٢٠٠ .

وقد ورد قوله تعالى ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ أربع مرات في القرآن كلها مقترنة بقوله تعالى ﴿مُنذِرِينَ﴾ وهي خاصة بالأنبياء والرسل ، لبيان قيامهم بوظائف في التبليغ لا يقدر عليها غيرهم .
وكل من البشارة والإنذار دعوة إلى السلم ، وشاهد على الإحكام والثبات لآيات السلم في القرآن .

ومن إعجاز القرآن قانون التفسير الذاتي للقرآن ، فوجد الآية القرآنية تفسر آية أخرى منه ، فلا ينحصر ثبوت سلامة آيات السلم من النسخ بذاتها ، بل جاءت آيات أخرى تدعو إلى التراحم والتوادد ، وإلى نبذ الكراهية والإقتال ، ليتجلى قانون القبح الذاتي لسفك الدماء ، قال تعالى ﴿وَلَا تَعْدُوا إِنَّ اللَّهَ لَاجِبٌ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١) وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ بِعَظْمِكُمْ لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٢).

اللهم اجعلنا من أهل القرآن العاملين بنهجه ، فمن خصائص القرآن نشر السلم والسلام ، والزجر عن ترويع الآمنين ، وبيان القرآن أن القتال مكروه بذاته وأن نفوس المؤمنين تنفر منه ، ولكنه مفروض عليهم بسبب إصرار الذين كفروا على القتال ، قال تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣) وإصرار المشركين على القتال بشواهد من أيام التنزيل وفيه وجوه :

(١) سورة المائدة ٨٧.

(٢) سورة النحل ٩٠.

(٣) سورة البقرة ٢١٣.

الأول : قانون المشركون هم المعتدون والغزاة في كل معركة من معارك الإسلام الأولى .

الثاني : قانون صبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه على المشركين .

الثالث : قانون صبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الشواهد على سلامة آيات السلم من النسخ .

ويدل عليه قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(١) الذي جاء الجزء السابق من هذا السفر خاصاً بتفسيره ليجتهد المسلمون بدفع أذى المشركين بالصبر والتصابر والمراعاة وتقوى الله ، ليكون من إعجاز الآية أعلاه تثبيتاً لأحكام آيات السلم والصلح والصفح .

الحمد لله الذي جعل الربوبية المطلقة له تعالى لا يشاركه فيها أحد ، لتكون الخلائق كلها منقادة لمشيئته دائبة في الثناء عليه ومنقطعة إلى التسييح بحمده ، وفي التنزيل ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾^(٢) .

ولم يرد لفظ ﴿ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ في القرآن إلا في الآية أعلاه .

و(عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألا أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه ، إن نوحاً قال لابنه يا بني؛ أمرك أن تقول : سبحان الله ، فإنها صلاة الخلق ، وتسييح الخلق ، وبها يرزق الخلق قال الله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾^(٣))^(١) .

(١) سورة آل عمران ٢٠٠ .

(٢) سورة الإسراء ٤٤ .

(٣) سورة الإسراء ٤٤ .

الحمد لله بعدد حروف القرآن ، وعدد الذين يتلونها اليوم وغداً إلى يوم القيامة .

الحمد لله عدد ذرات الرمل والحصى ، وقطرات مياه الأنهار والبحار والينابيع .

الحمد لله بعدد عمارة الأرض وسكان السموات والدواب والحيتان التي في البحار .

الحمد لله الذي جعل علوم القرآن من اللامتناهي ، وجعل بعضها يبين بعضاً ، ويمنع من التأويل المخالف للنص ، ليكون مادة لوحدة المسلمين ، ومنع الفرقة بينهم ، ومنه أمور :

الأول : وجود الناسخ والمنسوخ في القرآن مع ضابطة كلية بتعيين أوان نزول السور في الجملة بتقسيمها إلى مكية نزلت قبل الهجرة ، ومدنية نزلت بعد الهجرة.

الثاني : تثبيت حكم النسخ في القرآن بقوله تعالى ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسِيهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢).

الثالث : قلة النسخ في القرآن .

الرابع : لو دار الأمر بخصوص آية قرآنية هل هي منسوخة أو غير منسوخة فالأصل أنها غير منسوخة .

ويمكن الرجوع لآيات القرآن الأخرى وهي في الغالب تؤكد أنها محكمة غير منسوخة ، وهذا العلم لم يلزم العلماء الغوص في ذخائر كنوزه ، ومعه يكتشفون بأن القول بأن آية السيف نسخت أكثر من مائة آية من آيات السلم والصلح والعفو لا أصل له وإن اشتهر بين المفسرين قرب مشهور لا أصل له .

(١) الدر المنثور ٦/٢٧٧.

(٢) سورة البقرة ١٠٦.

فمن خصائص النسخ تأخر نزول الناسخ عن زمان المنسوخ، وقد ذكر عدد من المفسرين أن آية السيف ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(١) نسخت مائة وأربعاً وعشرين آية ، وتسمى أيضاً آية القتال لقوله تعالى فيها ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ .

وقال أحد الأساتذة في كتابه (وآية السيف هو قوله تعالى ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٢) ، وقال في موضع آخر من نفس كتابه آية السيف وهي قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾^(٣) .

مع أن مضامين الآية والأوامر الواردة فيها متعددة وهي :

الأول : جعل ما قبل إنسلاخ وانقضاء الأشهر الحرم أمناً وأماناً للمشركين ومناسبة للتفكير والحاجة لدخول الإسلام .

الثاني : اقتلوا المشركين بعد انقضاء المدة .

الثالث : اخذ المشركين ، والنسبة بين الأخذ والقتل عموم وخصوص مطلق ، فالأخذ أعم فقد يكون أخذاً من غير قتل ، وهو ظاهر الآية القرآنية لتضمنها رجاء توبتهم .

الرابع : حصر المشركين والتضييق عليهم ، ومنعهم من الضرب في الأرض للتجارة والفتنة ، وصدّهم عن البيت الحرام ليكون موسم الحج في

(١) سورة التوبة ٥.

(٢) سورة التوبة ٢٩.

(٣) سورة التوبة ٣٦.

السنة التاسعة آخر عهدهم بالبيت الحرام ، لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ألا لا يحجنّ بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوفنّ بالبيت عريان)^(١).

الخامس : قعود الصحابة للمشركين كل مقعد ورصدهم ، من أجل منعهم من الفتنة والمكر والكيد .

وهو من إعجاز آية البحث ، فمع صيرورة المشركين قلة في العدد فإن القرآن نزل بأخذ الحيلة والحذر منهم ، وهو من إعجاز القرآن وأسباب طرد الغفلة عن المسلمين .

ومن إعجاز الآية مجئ الحصر والرصد والتضييق بعد الأمر بالقتل ، وفيه بعث للخوف والفرع في قلوب المشركين ، ودعوة للمسلمين للتأني والصبر عليهم ، وعدم المبادرة إلى القتل .

الحمد لله على نعمة الخلق والنشأة والانتشار في الأرض والتوفيق لعمارتها بسنن التوحيد والصلاح وأداء الفرائض العبادية ، ويتقرب المسلمون والمسلمات أوقات الصلوات ليفزعوا إلى الله عز وجل بالتكبير والتلاوة والركوع والسجود ، قال تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾^(٢).

ولم تقل الآية أعلاه (على المسلمين) مع أن المسلمين مع اختلاف مذاهبهم يؤدون الصلاة .

والجواب لقانون وجوب الصلاة على المؤمنين من أيام آدم عليه السلام **وقانون** كل أهل ملة من الموحدين يؤدون الصلاة .

نعم يرصد المسلمون الأهلة من أجل صيام شهر رمضان ، قال تعالى ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾^(٣).

(١) الزمخشري / الكشاف ١/ ١٢١ .

(٢) سورة النساء ١٠٣ .

(٣) سورة البقرة ١٨٥ .

وحالما يتمون الصيام يتطلعون إلى حلول موسم الحج والذي نزلت آية الأهلة بخصوصه ، قال تعالى ﴿سَأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾^(١).

ليبان فضل الله بقانون تسخير الآيات الكونية في عبادات المسلمين ، وقانون إعانة الآيات الكونية للمسلمين في عباداتهم ، وفيه دعوة لهم لتعاهد السلم المجتمعي لبيان وجوه :

الأول : قانون الملازمة بين تعاهد وأداء العبادات وبين السلم والأمن العام .

الثاني : قانون دعوة كل من الصلاة والصوم الناس إلى السلم والصلح .

الثالث : قانون عبادة الله برزخ دون التعدي ، قال تعالى ﴿وَلَا تَعْتَدُوا

إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٢).

(و) أخرج البيهقي عن سفيان بن عيينة قال : ما وصف الله تبارك به نفسه في كتابه فقراءته تفسيره ، ليس لأحد أن يفسره بالعربية ولا بالفارسية^(٣) . ولعله تقييد من غير مقيد وسفيان بن عيينة من تابعي التابعين ولد سنة (١٠٧) هجرية في الكوفة ، ورحل إلى مكة .

لقد جاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالمعجزات العقلية والحسية ، والمعجزات العقلية هي آيات وسور القرآن ، وفيه المحكم والمتشابه ، والعام والخاص ، والمجمل والمبين ، والمطلق والمقيد ، والناسخ والمنسوخ ، وفيه التخفيف والتيسير .

(١) سورة البقرة ١٨٩ .

(٢) سورة البقرة ١٩٠ .

(٣) الدر المنثور ٥/٢٩٣ .

ففي معركة بدر كان على المسلم الإستعداد لتلقي عشرة من الكفار لقلة عدد المسلمين فثقل عليهم ، فجاءهم النصر من عند الله بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدُرٍّ وَآتَمَّ أَذْلَهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١) ثم نزل قوله تعالى ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢) .

وهذا من التخفيف وليس من النسخ ، كما يذهب بعض العلماء لأن النسخ رفع حكم المنسوخ ، ومنه التخفيف عن الصائم في السفر بقوله تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(٣) .

القرآن هو كلام الله المعجز الذي نزله على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من غير واسطة أحد من البشر ، المكتوب في المصاحف ، المنقول بالتواتر ، المتعبد بتلاوته .

قال تعالى ﴿وَإِن أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَاجِرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلغَهُ مَا أَمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤) .

حرر يوم الحج الأكبر ١٤٤٧هـ

٢٠٢٦/٥/٢٧

(١) سورة آل عمران ١٢٣ .

(٢) سورة الأنفال ٦٦ .

(٣) سورة البقرة ١٨٤ .

(٤) سورة التوبة ٦ .

تغشي رحمة الله للخلائق كلها

لم يرد لفظ ﴿وَسِعَتْ﴾ في القرآن إلا مرتين إحداهما في دعاء الملائكة ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾^(١)، والأخرى بقوله تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

ليبان مسائل :

الأولى : عجز الناس عن الإحاطة برحمة الله عز وجل .

الثانية : تغشي رحمة الله للخلائق كلها .

الثالثة : قانون الملازمة بين الخلق والرحمة .

الرابعة : فوز المسلمين برحمة واسعة من عند الله .

(وعن عمرو بن عبسة قال : سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾^(٣) ما كان النداء؟ وما كانت الرحمة .

قال : كتاب كتبه الله قبل أن يخلق خلقه بألفي عام ، ثم وضعه على عرشه ، ثم نادى : يا أمة محمد سبقت رحمتي غضبي ، أعطيتكم قبل أن تسألوني ، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني ، فمن لقيني منكم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدي ورسولي صادقاً أدخلته الجنة)^(٤).

وعن (ابن مسعود وابن عباس قالوا : لما كثر بنو آدم وعصوا دعت الملائكة عليهم والأرض والجبال : ربنا لا تمهلهم . فأوحى الله إلى الملائكة :

(١) سورة غافر ٧ .

(٢) سورة الأعراف ١٥٦ .

(٣) سورة القصص ٤٦ .

(٤) الدر المنثور ٧/٤٩٦ .

أني أزلت الشهوة والشیطان من قلوبكم ، ولو تركتكم لفعلتم أيضاً . قال :

فحدثوا أنفسهم أن لو ابتلوا لعصموا .

فأوحى الله إليهم : أن اختاروا ملكين من أفضلكم . فاختراروا هاروت وماروت فأهبطا إلى الأرض .

وأنزلت الزهرة إليهما في صورة امرأة من أهل فارس يسمونها بيدخت . فواقعاها بالخطيئة ، فكانت الملائكة يستغفرون للذين آمنوا ، فلما وقعا بالخطيئة استغفروا لمن في الأرض ، فخيروا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فاختراروا عذاب الدنيا^(١) .

ليبان أنه لا يملك سعة الرحمة إلا الله عز وجل ، ولا يقدر عليها إلا هو سبحانه .

اللهم أدم علينا أبواب الرحمة والإحسان والمغفرة ، وارزقنا الأمن والسكنية ، واجعل الإيمان مصاحباً لنا .

شواهد السنة على سلامة آيات السلم من النسخ

وقالوا بنسخ آية السيف لمائة وأربع وعشرين آية من آيات السلم والصلح والموادعة والصفح ، ولا أصل لهذا القول ، إذ بينت في الأجزاء الأحد عشر أعلاه الدلالة على سلامة آيات من آيات السلم والصلح من النسخ .

وجئت بقول جديد من جهات :

الأولى : دلالة آية السيف ذاتها على عدم نسخها لآيات السلم والصلح .

الثانية : دلالة آيات كثيرة على سلامة آيات السلم والصلح من النسخ ،

وأن آية السيف لا تدل على نسخها .

الثالثة : ينسخ آخر آية السيف أولها ، وليس في آخرها قتل بل رجاء توبة

المشركين ، وأدائهم الفرائض العبادية .

الرابعة : تعدد الشواهد من السنة النبوية على سلامة آيات السلم والصلح والصفح منه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (افشوا السلام تسلموا).

و(عن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً . وأخرج الطبران عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : حسن الخلق خلق الله الأعظم .

وأخرج أحمد وابن حبان عن ابن عمرو أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة؟ قالوا : نعم . يا رسول الله قال : أحسنكم خلقاً .

وأخرج ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والطبراني بسند جيد عن أنس قال : لقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا ذر فقال : يا أبا ذر ألا أدلك على خصلتين هما أخف على الظهر ، وأثقل في الميزان من غيرهما؟ قال : بلى يا رسول الله قال : عليك بحسن الخلق ، وطول الصمت ، فوالذي نفسي بيده ما عمل الخلائق بمثلهما)^(١).

ومن السنة الفعلية اتصاف النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بكثرة العفو عن الناس وقبول الشفاعة في المشركين ، لقد أمر الله عز وجل النبي محمداً بالصبر ، والصبر الجميل ، قال تعالى ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾^(٢).

وهذه الآيات من الشواهد على سلامة آيات السلم من النسخ لقانون التضاد بين الصبر وإشاعة القتل .

(١) الدر المنثور ٢/٤٣٥ .

(٢) سورة المعارج ٥.

قلة الآيات المنسوخة

النسخ لغة هو التحويل والنقل والإبطال والمحو ، يقال نسخت الشمس الظل أي ذهب به وأبطلته .

أما في الإصطلاح فهو إزالة ما استقر من الحكم الشرعي بخطاب ورد متراحياً بعده لولاه لبقى الحكم السابق هو الثابت في العمل .

والنسخ على أقسام منها رفع التلاوة عن المصحف وعن القلوب ، و(عن أبي أمامة : أن رهطاً من الأنصار من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه أن رجلاً قام من جوف الليل يريد أن يفتح سورة كان قد وعاهها ، فلم يقدر منها على شيء إلا بسم الله الرحمن الرحيم ، ووقع ذلك لناس من أصحابه .

فأصبحوا فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن السورة ، فسكت ساعة لم يرجع إليهم شيئاً ثم قال : نسخت البارحة فنسخت من صدورهم ومن كل شيء كانت فيه .

وأخرج ابن سعد وأحمد والبخاري ومسلم وأبو داود في ناسخه وابن الضريس وابن جرير وابن المنذر وابن حبان والبيهقي في الدلائل عن أنس قال : أنزل الله في الذين قتلوا بيئر معونة قرآناً قرأناه حتى نسخ بعد : أن بلغوا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا .

وأخرج مسلم وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الدلائل عن أبي موسى الأشعري قال : كنا نقرأ سورة نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها ، غير أنني حفظت منها : لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوفه إلا التراب^(١) .

وقد تقدم الكلام بخصوص سرية بئر معونة في الجزء الرابع عشر بعد المائتين والجزء السادس عشر بعد المائتين .

(١) الدر المنثور ١/١٩٨ .

والمراد من النسخ هنا هو ثبوت الرسم والخط ، ونسخ الحكم أي من غير رفع التلاوة ، قال تعالى ﴿ مَا نُنسخُ مِنْ آيةٍ أَوْ نُنسِئُهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَمْ تَلْمِمْ أَنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(١) ، وقال تعالى ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيةً مَكَانَ آيةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفترٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٢).

واجتماع علماء الإسلام على حدوث النسخ في الأحكام ولا عبرة بالقليل الذي انكر النسخ لحكومة الآيات أعلاه والنصوص .

نعم ذكر عدد من علماء التفسير آيات كثيرة قالوا أنها منسوخة .
ومنه قولهم بنسخ آية السيف لمائة وأربع وعشرين آية من آيات السلم والموادعة والصلح والعفو عن الكافرين ، ولا أصل لهذا القول ، والمختار أن عدد الآيات المنسوخة قليل .

منه ما ورد عن الإمام علي عليه السلام قال (لما نزلت ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْكُمْ صَدَقَاتٍ ﴾^(٣) الآية قال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ما ترى ديناراً قلت : لا يطيقونه ، قال : فنصف دينار ، قلت : لا يطيقونه .

قال : فكم قلت شعيرة ، قال : إنك لزهيد ، قال : فنزلت ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْكُمْ صَدَقَاتٍ ﴾^(٤) ^(٥).

والمثقال الذهب (هو عبارة عن اثنتين وسبعين شعيرة)^(٦).

(١) سورة البقرة ١٠٥ .

(٢) سورة النحل ١٠١ .

(٣) سورة المجادلة ١٢ .

(٤) سورة المجادلة ١٣ .

(٥) الدر المنثور ٩/٤٤٠ .

(٦) تاج العروس ١/٦٩١٢ .

ومنه قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(١) نسختها التي بعدها ﴿الآن خَفَّ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ﴾^(٢).

ومن إعجاز وبيان القرآن أن الآية الناسخة تتعقب الآية المنسوخة .

وورد قوله تعالى ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نُسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا * وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادُّوهمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾^(٣).

نسخ حكم هاتين الآيتين بقوله تعالى ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾^(٤).

وتدل عليه نصوص من السنة النبوية وشواهد من السنة الفعلية .

وقيل آية الرجم نسخ لفظها وبقي حكمها .

وعدد الآيات المنسوخة أقل من عدد أصابع اليدين .

(١) سورة الأنفال ٦٥ .

(٢) سورة الأنفال ٦٦ .

(٣) سورة النساء ١٥-١٦ .

(٤) سورة النور ٢ .

ترى لماذا الآيات المنسوخة قليلة ، الجواب إنه من إعجاز القرآن وقانون ملائمة آيات القرآن لكل زمان ، وهو مصداق لقوله تعالى ﴿وَرَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(١).

إنما ورد النسخ على قلته في القرآن لبيان بديع صنع الله ، وقانون إحاطة كلام الله بالامحدود من الوقائع والأحداث ، وبيان تلقي المسلمين النسخ بالقبول **والمبادرة** إلى العمل بالناسخ .

استغفار الملائكة

قد وردت كلمة (يسبحون) ست مرات في القرآن ، كلها في الثناء على الملائكة وإنقطاعهم إلى التسبيح، وصورته غذاء لهم ، مع دعائهم للمؤمنين ، كما في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾^(٢) .

ترى ما هي الصلة بين دعاء حملة العرش وبين سؤالهم عن خلافة الإنسان في الأرض ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَتُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣) الجواب إنه من فضل الله عز وجل على الناس في صلاحهم وهدايتهم ، وجعل الملائكة يستغفرون لهم ، فيغفر الله عز وجل للناس .

وليكون حضور الملائكة خلق آدم شهادة مباركة تصاحب ذريته بالإستغفار في السماء لهم ، فليس من الخلائق أمة أو جنس فاز باستغفار ودعاء الملائكة في السماء مثل المؤمنين .

(١) سورة النحل ٨٩.

(٢) سورة غافر ٧.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

ويحتمل الإستغفار وجوهاً :

الأول : الإستغفار العام للناس جميعاً كما لو قال الملائكة : اللهم أغفر للناس ، اللهم أغفر لأهل الأرض برهم وفاجرهم .

الثاني : إرادة الإستغفار لخصوص المؤمنين وأهل التوبة كما هو ظاهر الآية أعلاه .

الثالث : إستغفار الملائكة للأفراد بأسمائهم اللهم أغفر لفلان ، اللهم أغفر لفلان ، ومنه قوله تعالى ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾^(١) .

الرابع : الإستغفار للذي يعمل المعصية عسى أن يرجئ الله عز وجل عنه بطشه .

المختار هو أصالة الإطلاق وصحة الوجوه الأربعة أعلاه ، فان قلت قد قيدت الآية أعلاه من سورة غافر استغفار الملائكة للذين آمنوا والتائبين ، الجواب إن إثبات شئ لشيئ لا يدل على نفيه عن غيره ، بالإضافة إلى دلالة ذات الآية على العموم بقول الملائكة ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ﴾^(٢) ليكون هذا الشطر من الآية من عطف العام على الخاص .

ويكون تقدير الآية : ربنا أنظر للذين آمنوا وأرحم الناس جميعاً برحمتك التي وسعت كل شئ .

آيات الانتهاء من القتال

من مصاديق قوله تعالى ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾^(٣) تفضل الله عز وجل باللطف بالناس ، وهدايتهم لسبل الصلاح ، ودفع أسباب الهلاك

(١) سورة ق ١٨ .

(٢) سورة غافر ٧ .

(٣) سورة البقرة ٣٠ .

العام والإبادة الجماعية عنهم ، ووقف الحروب التي تنشب بين الناس ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿كَلِمًا أَوْ قَدُونًا رَأَى لِلْحَرْبِ أَطْفَاَهَا اللَّهُ﴾^(١).

وورد الفعل ﴿أَتَهَوْا﴾ ثلاث مرات في القرآن كلها بخصوص انتهاء المشركين من قتال المسلمين ، لبيان قانون إنتهاء المشركين من القتال الذي بدأه .

وهذه الآيات هي :

الأولى : قوله تعالى ﴿فَإِنِ اتَّهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

الثانية : قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ

فَإِنِ اتَّهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

الثالثة : قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ

فَإِنِ اتَّهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٤).

وكل آية منها وردت بالحرف الفاء والتوكيد (فان) لبيان الفورية في الانتهاء من القتال وعدم استمراره ، لذا تجد أيام الإقتتال أقل كثيراً من أيام السلم ، وان وقع القتال فيقع في طرف وموضع من عامة بلدان الأرض .

وفيه مسائل :

الأولى : هذه الآيات شاهد بأن النبي محمداً لم يغز أحداً ، وأن المشركين

هم الذين يبدأون القتال وهم الذين ينتهون منه .

الثانية : نهى المسلمين عن الإستمرار في القتال ، وعن تجديده ، لبيان

الأخلاق الحميدة للمسلمين في القتال ، فحالما يكف المشركون أيديهم عن

(١) سورة المائدة ٦٤ .

(٢) سورة البقرة ١٩٢ .

(٣) سورة البقرة ١٩٣ .

(٤) سورة الأنفال ٩٣ .

القتال يتركهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وشأنهم ، ويعكف على أداء الصلاة ونشر مبادئ الإسلام ، فلا يقابل المسلمون انتهاء المشركين عن القتال باستمراره أو بالإغارة على مدنهم وأفعالهم ، وهو من مصاديق الإمتثال ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾^(١).

وهو من الشواهد على أن آيات الإنتهاء من القتال هذه من خلافة المسلمين للأرض ، وحرصهم على استدامة حياة السلم والأمن المجتمعي فيها ، وهذا الحرص بأمر من عند الله للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين بنزول آيات القرآن .

الثالثة : الإنتهاء من القتال رحمة بالناس جميعاً ، الذين اشتركوا في القتال والذين لم يشتركوا .

الرابعة : الإنتهاء عن القتال مناسبة للتوبة والإنابة ونبذ الحروب والإقتال ، لذا اختتمت الآية بالإخبار بأن الله عز وجل غفور رحيم ﴿فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

وآيات الإنتهاء من القتال محكمة غير منسوخة ، ويمكن احتسابها من آيات السلم ، لأن الإنتهاء من القتال عودة للسلم والأمن ، ونشاط الأسواق والتجارات ، ووقف القتل والخراب .

إنهاء القتال في السنة النبوية

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قتال جيوش المشركين له ، ولم يكن تكافؤ في القتال . إذ كان عدد المشركين في كل معركة من معارك الإسلام الأولى أكثر من ثلاثة أضعاف عدد المسلمين في الميدان .

(١) سورة الإنفال ٦١ .

(٢) سورة البقرة ١٩٢ .

والأصل أن يكون العكس وأن يكون عدد المسلمين هو الأكثر لموضوعية المعجزة العقلية والحسية التي صاحبت النبي محمداً في جذب الناس إلى الهداية والإيمان لبيان الضرر العام من استحواذ مفاهيم الكفر والضلالة على الناس ، ولم يكن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أول الأنبياء في قتال الأعداء ، قال تعالى ﴿وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَاتِلٍ مَعَهُ رَيْبُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (١) (٢).

أيهما أكثر أثراً ونفعاً المعجزات الحسية للأنبياء أم المعجزة العقلية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الجواب هو الثاني .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في القتال أمور :

الأول : قانون عدم ابتداء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قتالاً .

الثاني : قانون امتناع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن الغزو .

الثالث : لا يأمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بالمبادرة إلى المبارزة ، ولكن إن طلبها المشركون يأذن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لبعض أهل بيته وأصحابه بالخروج للمبارزة معضداً بدمائه ، وقد يخرج بعضهم ابتداءً .

وفيه شواهد متعددة في كل معركة من معارك الإسلام .

ولما التقى الجمعان في معركة بدر في اليوم السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة خاطب عتبة بن ربيعة أصحابه جيش المشركين (لا تقتلوا هذا الرجل ، فإنه إن يكن صادقاً فأنتم أسعد الناس بصدقه ، وإن يكن كاذباً فأنتم أحق من حقن دمه . فقا أبو جهل بن هشام : لقد امتلأت رعباً . فقال عتبة : ستعلم أينا الجبان المفسد لقومه . قال : فبرز عتبة بن ربيعة

(١) سورة آل عمران ١٤٦ .

(٢) أنظر الجزء الثامن عشر بعد المائة من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة ، فنادوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه فقالوا : ابعث إلينا أكفأنا نقاتلهم^(١) .
وفيه شاهد بأن المشركين هم الذين بدأوا القتال .

شواهد الامتناع عن الإبتداء بالمبارزة

من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حفظ سنته القولية والفعلية ، ووقائع معارك الإسلام الأولى في كل زمان وكأنها قد جرت توأماً . وهل من موضوعية لآيات القرآن في المقام ، الجواب نعم ، ومنه علم أسباب نزول الآيات والتي هي ضياء وتوثيق للوقائع أيام النبوة .
ففي معركة بدر أراد عتبة بن ربيعة صرف قريش عن القتال ، ولكن أبا جهل عيره .

فبرز عتبة بين أخيه شيبة وابنه الوليد ، وتوسطوا الصنفين ، ولم يرمهم أحد من المسلمين بسهم ، ودعوا إلى البراز عندئذ (فخرج إليهم فتية من الانصار ثلاثة، وهم عوف ومعاذ ابنا الحارث وأمهما غفراء، والثالث عبد الله بن رواحة فيما قيل .

فقالوا: من أنتم ؟ قالوا رهط من الانصار.

فقالوا: ما لنا بكم حاجة)^(٢) .

ومن الآيات قولهم (رهط من الأنصار) فلم يذكروا نسبهم القبلي أو أنهم من بني النجار من الخزرج بل قالوا فتية من الأنصار ، لبيان تلقيهم تسمية الله عز وجل لهم بالأنصار بالرضا والغبطة والفخر ورجاء النصر والظفر ، قال تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ هَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾^(٣) .
ثم طلب عتبة وأخوه وابنه خروج بعض أبناء عمهم من قريش .

(١) الدر المنثور ٧/١٢٩ .

(٢) ابن كثير / السيرة النبوية ٢/٤١٣ .

(٣) سورة التوبة ١٠٠ .

ونادى مناديهم (يا محمد أخرج إلينا أكفءنا من قومنا) وهل فيه قطع للرحم من منازل الكفر والجحود ، الجواب نعم .
وعن ابن إسحاق بإسناده (أنه لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قال أبو جهل بن هشام اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا يعرف فأحنه الغداة . فكان هو المستفتح)^(١).

طلب الأكفاء من قريش

ترى لماذا طلبوا الأكفاء من قومهم ، الجواب من جهات :
الأولى : إتصاف المشركين بعصية الجاهلية الأولى .

الثانية : حنق وسخط قريش على الصحابة الأوائل من المهاجرين الذين تركوا مكة واتبعوا النبي محمداً إلى المدينة ، وبنوا المسجد النبوي وأقاموا الصلاة .

الثالثة : إرادة قتل بعض المهاجرين كي يشيع الأمر في مكة ويشمت الذين كفروا بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

الرابعة : إخافة المسلمين الذين في مكة من الهجرة ومنعهم من الهجرة إلى المدينة لما في الهجرة من احتمال القتل ، وجعل أهل مكة يحولون دون هجرة أولادهم إلى المدينة .

والنسبة بين المهاجرين وبين المهاجرين من قريش عموم وخصوص مطلق ، فمن المهاجرين من لم يكن من قريش وكان عدد الصحابة في معركة بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر .

وعن ابن إسحاق : العدد ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً^(٢) .

وهم على قسمين :

الأول : عدد المهاجرين ٨٢ رجلاً .

الثاني : عدد الأوس ٦١ رجلاً .

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ١٢/٦٢٨ .

(٢) الروض الأنف ٢/١٦٢ .

الثالث : عدد الخزرج ١٧٠ رجلاً .

مجموع الأنصار من الأوس والخزرج هو : ٢٣١ رجلاً .

مبارزة يوم الفرقان

من مصاديق قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(١)

المبارزة التي ابتدأ بها القتال يوم معركة بدر والتي كانت بالحاح من كفار قريش مع تعيينهم للذين يبارزونهم بأنهم من أبناء عموماتهم من قريش .

لقد سمع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مناداة المشركين له باخراج الأكفاء من قريش لهم ، وهم يقصدون إخراج رجال من مهاجري قريش وبطونها ولكن النبي محمداً أمر أهل بيته بالخروج ، وقال (قُمْ يَا عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَقُمْ يَا حَمْزَةُ وَقُمْ يَا عَلِي) ^(٢) .

فاستجابوا لأمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتوجهوا إلى ميدان المبارزة .

لقد كان المدد وشأيب النصر للمسلمين في أول مبارزة فسرعان ما قتل الإمام علي عليه السلام الوليد بن عتبة ، وكذا قتل حمزة لشيبة بن ربيعة ، أما عبيدة وهو أسن القوم فقد بارز عتبة بن ربيعة فتبادلا ضربتين أثرتا فيهما إذ قطعت رجل عبيدة ، فكر الإمام علي وحمزة باسيافهما على عتبة وقتلاه واحتملا عبيدة بن الحارث بن المطلب الذي مات بموضع يسمى الصفراء عند رجوع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من معركة بدر .

لقد كانت المبارزة الأولى بين المسلمين والمشركين إنذاراً ووعيداً وزاجراً لهم عن الإستمرار بالقتال ، لما فيها من الإعجاز ومن فضل الله عز وجل نزول القرآن بتوثيق هذه المبارزة وبيان سوء عاقبة الذين كفروا إذ قال تعالى

(١) سورة البقرة ٢١٣ .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ١/٦٢٥ .

﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾^(١).

ونزلت هذه الآية في هذه المبارزة ، وعليه أقسم أبو ذر (عن قيس بن عباد قال : سمعت أبا ذر يقسم قسما إن ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾^(٢) إنها نزلت في الذين برزوا يوم بدر : حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وبهذا الحديث ختم مسلم رحمه الله كتابه وقال ابن عباس : نزلت هذه الآيات الثلاث على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة في ثلاثة نفر من المؤمنين وثلاثة نفر كافرين وسماهم)^(٣).

وقال الإمام علي عليه السلام (أنا أول من يجثو يوم القيامة للخصومة بين يدي الله تعالى)^(٤).

و(عن قتادة في قوله ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾^(٥) قال: اختصم المسلمون وأهل الكتاب، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم. فنحن أولى بالله منكم .

وقال المسلمون: كتابنا يقضي على الكتب كلها، ونبينا خاتم الأنبياء، فنحن أولى بالله منكم. فأفلق الله الإسلام على من ناواه ، وأنزل ﴿هَذَانِ

خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾^(٦) وكذا روى العوفي، عن ابن عباس)^(٧).

(١) سورة الحج ١٩.

(٢) سورة الحج ١٩.

(٣) تفسير القرطبي ٢٥/١٢.

(٤) المحرر الوجيز ٤٨٦/٤.

(٥) سورة الحج ١٩.

(٦) سورة الحج ١٩.

و(عن مجاهد في هذه الآية: مثل الكافر والمؤمن اختصاصاً في البعث ، وقال في رواية : هو وعطاء في هذه الآية : هم المؤمنون والكافرون)^(١). ولا تعارض بين هذه الوجوه ، وكلها من مصاديق الآية الكريمة .

أجزاء آيات السلم

لقد صدر اثنا عشر جزءاً من هذا السفر بعنوان (آيات السلم محكمة غير منسوخة) في بيان عدم ثبوت نسخ آية السيف لأكثر من مائة آية من آيات السلم والصلح والموادعة . وهذه الأجزاء هي :

٢٠٦-٢٠٧-٢٠٨-٢١٤

٢١٥-٢٣٣-٢٤٠-٢٤١

٢٤٢-٢٤٨-٢٦٠-٢٧٤

والآيات التي ذكرتها وبينت في الأجزاء السابقة من هذا العنوان بأنها غير منسوخة هي :

ت	الجزء	الآيات
١	٢٠٦	البقرة ٨٣
٢	٢٠٦	البقرة ١٠٩
٣	٢٠٦	المائدة ٢
٤	٢٠٦	المائدة ١٣
٥	٢٠٦	الأنعام ١٠٦
٦	٢٠٦	الأنعام ١٥٩
٧	٢٠٦	يونس ٤١

(١) تفسير ابن كثير ٤٠٥/٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤٠٦/٥ .

ت	الجزء	الآيات
٨	٢٠٦	المؤمنون ٩٦
٩	٢٠٦	العنكبوت ٤٦
١٠	٢٠٧	البقرة ١١٥
١١	٢٠٧	البقرة ٢٥٦
١٢	٢٠٧	البقرة ١٨٠
١٣	٢٠٧	الأعراف ١٩٩
١٤	٢٠٧	البقرة ١٩١
١٥	٢٠٨	الكافرون ٦
١٦	٢٠٨	البقرة ٢١٧
١٧	٢١٤	النساء ٩٠
١٨	٢٣٣	الأحزاب ٥٦
١٩	٢٤١	البقرة ١٣٩
٢٠	٢٤١	البقرة ١٩٠
٢١	٢٤١	البقرة ١٥٩
		نسخت بالإستثناء في ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾
٢٢	٢٤١	الأنفال ٣
		نسخت بآية الزكاة على قول
٢٣	٢٤١	البقرة ١١٥
٢٤	٢٤١	البقرة ١٥٨
٢٥	٢٤١	البقرة ١٩١
٢٦	٢٤١	البقرة ٢١٧
٢٧	٢٤١	النحل ١١٥
٢٨	٢٤١	البقرة ١١٥

ت	الجزء	الآيات
٢٩	٢٤١	البقرة ٨٣
٣٠	٢٤٢	آل عمران ٢٠
٣١	٢٤٢	آل عمران ٢٨
٣٢	٢٤٢	آل عمران ١١١
٣٣	٢٤٢	آل عمران ١٢٠
٣٤	٢٤٢	النساء ٨٠
٣٥	٢٤٢	النساء ٨١
٣٦	٢٤٢	النساء ٦٣
٣٧	٢٤٢	النساء ٨٤
٣٨	٢٤٢	النساء ٨٨
٣٩	٢٤٢	النساء ٩١
٤٠	٢٤٢	النساء ٩٠
٤١	٢٤٨	المائدة ٩٩
٤٢	٢٤٨	الأنعام ٦٦
٤٣	٢٤٨	الأنعام ٩١
٤٤	٢٤٨	الأنعام ١٠٤
٤٥	٢٦٠	الأنعام ١٠٨
٤٦	٢٦٠	الأنعام ١١٢
٤٧	٢٦٠	الأنعام ١٣٥
٤٨	٢٦٠	الأنعام ١٥٨
٤٩	٢٦٠	الأنعام ١٥٩
٥٠	٢٦٠	القلم ٤٥
٥١	٢٦٠	الأعراف ١٩٩
٥٢	٢٦٠	يونس ٢٠

ت	الجزء	الآيات
٥٣	٢٦٠	هود ١٢١
٥٤	٢٦٠	الرعد ٤٠
٥٥	٢٦٠	الزمر ٤٠
٥٦	٢٦٠	فصلت ٣٤
٥٧	٢٦٠	الشورى ٦
٥٨	٢٦٠	الشورى ١٥
٥٩	٢٦٠	الأحقاف ٣٥
٦٠	٢٦٠	الغاشية ٢١-٢٤
٦١	٢٦٠	محمد ٤

تقسيم آية السيف للمشركين

هذا الجزء الذي بين يديك هو الرابع والسبعون بعد المائتين من كتابي الموسوم (معالم الإيمان في تفسير القرآن) وهو (الجزء الثاني عشر) من الأجزاء الخاصة (بآيات السلم محكمة غير منسوخة) .

تتبع فيها الآيات التي ذكر عدد من المفسرين أنها نسخت بآية السيف ، ولم يثبت هذا النسخ ، ويتعلق مضمون آية السيف بموسم الحج في السنة التاسعة بخصوص المشركين ، وذات آية السيف ينسخ آخرها أولها .

لقد قسمت الآيات الأولى من سورة براءة منها آية السيف ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ

الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضِرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ

فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١) حكم

المشركين من أهل مكة والقرى التي حولها إلى قسمين :

(١) سورة التوبة ٥.

الأول : المشركون من أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع الإختلاف في مدة العهد ، ومدتهم أربعة أشهر من تأريخ قراءة الإمام علي عليه السلام هذه الآيات في موسم الحج من السنة التاسعة للهجرة ، فاذا كان عهدهم أربعة أشهر أو أقل فقد وقع بلاغ آية براءة عليه ، وان كان عهدهم مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من أربعة أشهر ، بطل ما زاد على الأشهر الأربعة .

الثاني : المشركون من أهل مكة الذي لا عهد لهم مع رسول الله فأجلهم إلى خمسين يوماً من يوم النحر العاشر من شهر ذي الحجة لتكون هذه الخمسين عشرين من شهر ذي الحجة من السنة التاسعة للهجرة ، وشهر محرم كله وبانقضاء أيام شهر محرم من السنة العاشرة تنقضي مدة الذين لم يعاهدوا النبي وهو من مصاديق ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾^(١).

ولابد أن يدخلوا الإسلام خاصة وأن سورة براءة نزلت بعد فتح مكة وليس لأهلها عذر في التخلف عن دخول الإسلام .

وبين هذين القسمين من المشركين عموم وخصوص من وجه ، فمادة الإلتقاء صفة الشرك والضلالة ، وامهالهم إلى أجل .

أما مادة الإفتراق فهي وجود عهد لقسم منهم عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع الإختلاف في مدة الإرجاء فمدة أصحاب العهد أربعة أشهر يسيحون في الأرض أي لا يتعرض لهم المسلمون لتعاهد المسلمين العهد .

ولم يعاهد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزول آية السيف أحداً من المشركين .

(١) سورة التوبة ٥.

و(عن ابن عباس في قوله ﴿بِرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ... الآية﴾^(١) قال : حدّ الله للذين عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعة أشهر يسيحون فيها حيث شاؤوا ، وحد أجل من ليس له عهد انسلاخ الأربعة الأشهر الحرم من يوم النحر إلى انسلاخ الحرم خمسين ليلة .
 فإذا انسلخ الأشهر الحرم أمره أن يضع السيف فيمن عاهد إن لم يدخلوا في الإسلام وتقض ما سمى لهم من العهد والميثاق ، وإن ذهب الشرط الأوّل ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٢) يعني أهل مكة^(٣) .
 وفي قوله (يعني أهل مكة) مسائل :

- الأولى : بيان اختصاص آية السيف بالمشركين من أهل مكة .
الثانية : لا تشمل أحكام آية السيف أهل الكتاب من اليهود والنصارى .
الثالثة : عصمة آيات السلم من النسخ بآية السيف .
الرابعة : انحصار موضوع آية السيف بأيام مخصوصة وبأهل مكة .

تلاوة سورة براءة

حينما نزلت آية براءة أرسل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الإمام علي عليه السلام لتبليغها لأهل مكة وأهل الموسم لمنع المشركين من الحج بعد العام التاسع الهجري ، ولا يطوف بالبيت عريان .
 و(عن أبي رافع قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر ببراءة إلى الموسم ، فأتى جبريل عليه السلام فقال : إنه لن يؤديها عنك إلا أنت أو رجل منك ، فبعث علياً (عليه السلام) على أثره حتى لحقه بين مكة والمدينة ، فأخذها فقرأها على الناس في الموسم)^(٤) .

(١) سورة التوبة ١ .

(٢) سورة التوبة ٧ .

(٣) الدر المشور ٩/٥ .

(٤) الدر المشور ٨/٥ .

و(عن زيد بن تبيع قال : سألتنا علياً (عليه السلام) بأي شيء بعثت مع أبي بكر في الحج ، قال : بعثت بأربع . لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يجتمع مؤمن وكافر بالمسجد الحرام بعد عامه هذا ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد فعهدته إلى مدته ، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر^(١) ، ولم يذكر السيف والقتل .

لذا قال الحسن البصري والسدي وغيرهما بأن الأشهر الأربعة التي جعل لهم أن يسبحوا فيها آمنين هي عشرون من ذي الحجة والمحرم ، وصفر ، وشهر ربيع الأول ، وعشر من ربيع الآخر .

و(عن قتادة في قوله ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾^(٢) قال : كان عهد بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين قريش أربعة أشهر بعد يوم النحر ، كانت تلك بقية مدتهم ومن لا عهد له إلى انسلاخ المحرم ، فأمر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم إذا مضى هذا الأجل أن يقاتلهم في الحل والحرم وعند البيت ، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله^(٣) .

ليان التسالم بين علماء التفسير من الصحابة والتابعين بأن آية السيف تخص الذين كفروا من قريش ولا إطلاق لها مكاناً أو زماناً .
لقد كان قطع الشرك عند قريش حاجة عامة إذ يحاكيهم عدد من القبائل بالتمادي بالكفر .

(١) الدر المنثور ٨/٥ .

(٢) سورة التوبة ٥ .

(٣) الدر المنثور ١٤/٥ .

قانون الصلح سلم وأمن

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ميله إلى الصلح ابتداءً ، وقبوله به .

ترى لماذا يقبل النبي محمد شروط الذين كفروا في الصلح كما في صلح الحديبية ، الجواب من وجوه :

الأول : رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم رسالة سلام وأمن .

الثاني : الصلح مصداق لقوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(١) .

الثالث : موضوعية الصلح والوقت في تدبر الذين كفروا بالمعجزات الحسية والعقلية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قانون تناقص عدد الذين كفروا والمنافقين على نحو مطرد ، وقانون تزايد عدد المسلمين .

الرابع : قانون الصلح طريق هداية للناس للإيمان .

الخامس : من مصاديق قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٢)

بخصوص الصلح حقن الدماء ، وعمارة الأسواق ، وكثافة الزراعات .

السادس : الصلح مناسبة لتفقه المسلمين في الدين .

وعن الحسن البصري (أن سراقه بن مالك المدلجي حدثهم قال : لما ظهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أهل بدر وأحد ، وأسلم من حولهم قال سراقه : بلغني أنه يريد أن يبعث خالد بن الوليد إلى قومي بني مدلج ، فأتيته فقلت : أنشدك النعمة . فقالوا : مه .

فقال : دعوه ، ما تريد؟ قلت : بلغني أنك تريد أن تبعث إلى قومي ، وأنا أريد أن توادعهم ، فإن أسلم قومك أسلموا ودخلوا في الإسلام ، وإن

(١) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧ .

لم يسلموا لم تخشن لقلوب قومك عليهم . فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيد خالد .

فقال : اذهب معه فافعل ما يريد ، فصالحهم خالد على أن لا يعينوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإن أسلمت قريش أسلموا معهم ، ومن وصل إليهم من الناس كانوا على مثل عهدهم .

فأنزل الله ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾^(١) حتى بلغ ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَيَّ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾^(٢) فكان من وصل إليهم كانوا معهم على عهدهم^(٣) .

آية السيف رحمة

لقد كانت آية السيف رحمة عامة لدخول المشركين الإسلام بالتخويف والوعيد المقترن بالحجة والبرهان ، ولم ترد أخبار بأن جماعات من قريش أو أهل مكة عرضوا على السيف وقتلوا عملاً بمضامين هذه الآية إنما دخل أكثرهم الإسلام في المدة وأثناءها .

ليكون من إعجاز القرآن قانون تحقق مصداق الوعيد من دون اللجوء إلى امضائه ووقوعه .

واختلف العلماء في دخول أهل مكة الإسلام على قولين :

الأول : دخلوا الإسلام قهراً وعنوة ، ونسب إلى جمهور العلماء .

الثاني : دخول أهل مكة الإسلام صلحاً ، وبه قال الشافعي ورواية عن أحمد .

والمختار قول جديد مني وهو أن أهل مكة دخلوا الإسلام سلباً ، وجاءت آية السيف بخصوص نفر قليل من المشركين ممن تخلفوا عن دخول

(١) سورة النساء ٨٩ .

(٢) سورة النساء ٩٠ .

(٣) الدر المشور ٣/ ١٨٥ .

الإسلام يوم الفتح في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة ، ولا عبرة بالقليل النادر .

و(عن أنس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة يوم الفتح وذقنه على رحله متخشعاً)^(١).

وعن (عبدالله بن أبي بكر، أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما انتهى إلى ذى طوى وقف على راحلته معتجراً بشقة برد حبرة حمراء ، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إن عثونه^(٢) ليكاد يمس واسطة الرحل)^(٣).

ودخل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مكة وهو على ناقته ويقرأ بسورة الفتح .

وروى (أنس قال لما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة استشرفه الناس فوضع رأسه على رحله تخشعاً)^(٤).

وهل فيه دعوة للمسلمين لدخول مكة بخشوع ، أم أن المسألة قضية عين شكراً لله عز وجل ساعة الفتح سلماً من غير قتال ، الجواب لا تعارض بين الأمرين .

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٥٥٥/٣ .

(٢) العثون : اللحية أو ما فضل منها بعد العارضين .

(٣) ابن كثير / السيرة النبوية ٥٥٥/٣ .

(٤) العسقلاني / لسان الميزان ٢٦٣/٣ .

الآية الثانية والستون : قوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَعُدُّ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

القائلون بنسخ هذه الآية

من الذين قالوا بنسخ هذه الآية :

الأول : ابن سلامة في الناسخ والمنسوخ إذ قال (قوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾^(٢) إلى قوله ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذُكِّرُوا لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾^(٣) كان ذلك في أول الأمر.

نسخ ذلك بقوله ﴿فَلَا تَعُدُّوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾^(٤) (٥) أي نسخت بآية من سورة النساء .

الثاني : ابن حزم في الناسخ والمنسوخ في (قوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾^(٦) إلى قوله ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ

(١) سورة الأنعام ٦٨ .

(٢) سورة الأنعام ٦٨ .

(٣) سورة الأنعام ٦٩ .

(٤) سورة النساء ١٤٠ .

(٥) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة ١٤/١ .

(٦) سورة الأنعام ٦٨ .

مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴿١﴾ نسخت بقوله تعالى في سورة النساء: قال تعالى ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ (٢) (٣).

الثالث : ابن الجوزي في نواسخ القرآن (قوله تعالى وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم المراد بهذا الخوض بالتكذيب ويشبه أن يكون الإعراض المذكور ههنا منسوخة بآية السيف) (٤).

الرابع : الكرمي (٥) في الناسخ والمنسوخ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ (٦) إلى قوله تعالى ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ (٧) كان ذلك في أول الإسلام ثم نسخ بقوله تعالى في النساء ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ (٨) (٩).

الخامس : وعن السدي في قوله ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا . . .﴾ الآية . قال : نسختها هذه الآية التي في سورة النساء ﴿وَقَدْ نَزَّلَ

(١) سورة الأنعام ٦٩.

(٢) سورة النساء ١٤٠.

(٣) الناسخ والمنسوخ لابن حزم ٣٧/١ .

(٤) نواسخ القرآن لابن الجوزي ١٥٤/١ .

(٥) الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي (ت ٣٣٣ هجرية ، قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن .

(٦) سورة الأنعام ٦٨ .

(٧) سورة الأنعام ٦٩ .

(٨) سورة النساء ١٤٠ .

(٩) الناسخ والمنسوخ للكرمي ١٠٥/١ .

عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا ﴿١﴾ الآية . ثم أنزل بعد ذلك ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ (٢) (٣).

السادس : ابن أبي زمنين الأندلسي (توفي سنة ٣٩٩) هجرية في قرطبة، قال (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا قال مجاهد يعني يستهزئون بها فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره كان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم) (٤).

السابع : (قال مقاتل بن حيان : نَسَخَتْ هذه الآية التي في الأنعام . يعني نُسَخَ قوله ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾ لقوله ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذُكِّرُوا لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٥) (٦).

والخطاب الوارد في الآية يحتمل وجهين :

الأول : هو خاص بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (لأن قيامه عنهم كان يشق عليهم وفراقه على مغاضبه والمؤمنون عندهم ليسوا كهو) (٧).

الثاني : لفظ الخطاب خاص ، والمعنى عام للمسلمين والمسلمات .
والصحيح هو الثاني وموضوع الآية وما فيها من التكليف للمسلمين باق إلى يوم القيامة ، لبيان أنها من آيات السلم المجتمعي ، ولقاعدة لودار الخطاب الخاص إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هل هو له وحده

(١) سورة النساء ١٤٠.

(٢) سورة التوبة ٥.

(٣) الدر المنثور ٧٧/٤.

(٤) تفسير ابن أبي زمنين ١/١٨٥.

(٥) سورة الأنعام ٦٩.

(٦) تفسير ابن كثير ٤٣٥.

(٧) تفسير البحر المحيط ١٧٣/٥.

أم يلحق به المسلمون ، الأصل هو الثاني . لأن قيامه عنهم كان يشق عليهم وفراقه على مغاضبه والمؤمنون عندهم ليسوا كهو .

أسباب النزول

(روى عن ابن عباس أنه قال : لما نزلت هذه الآية ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ قال المسلمون: كيف نقعد في المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون أبدا؟ وفي رواية قال المسلمون: فإننا نخاف الإثم حين نتركهم ولا ننهاهم، فأنزل الله عز وجل ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الخوض ﴿من حسابهم﴾ أي : من آثام الخائضين^(١).

والخوض هو الشروع في الماء والعبور فيه ، ويستعار للدخول في الشئ والتعمق فيه بتجاذب أطراف الحديث ، وتبادل الكلام بصيغة الإستهزاء والطنع والتكذيب بالتنزيل باسهاب وثرثرة وعبث بغير علم . والقرآن يفسر بعضه بعضاً .

وقد جاءت آية أخرى تبين ماهية خوض الذين كفروا في الآيات بقوله تعالى ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْدُوا مَعَهُمْ﴾^(٢) .

قانون الإعراض العام عن الخائضين في التنزيل

لتبين الآية أعلاه أيضاً أن أمر الإعراض عن الذين كفروا حينما يخوضون في آيات الله لم يأت للمسلمين بالإلحاق بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحده إنما يأتي الأمر لهم جميعاً على نحو العموم

(١) تفسير البغوي ٣/١٥٥.

(٢) سورة النساء ١٤٠.

الإستغراقي ، مما يدل على أن هذه المسألة ابتلائية عامة تتجدد في كل زمان من وجوه :

الأول : استهزاء الذين كفروا بالتنزيل .

الثاني : التشكيك بمعجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالث : جدال الذين كفروا بالتنزيل ، قال تعالى ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ

إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾^(١).

قسما نسخ آية البحث

القول بنسخ الآية ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾^(٢) في

الناسخ لها على قسمين:

الأول : نسخت هذه الآية بآية السيف كما تقدم عن ابن الجوزي^(٣) .

الثاني : الناسخ هو قوله تعالى ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي

حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾^(٤).

ليبان تعلق النسخ بالإعراض فلا يكفي الإعراض عن الذين كفروا عندما يستهزئون بالنبوة والتنزيل ، إنما لابد من ترك القعود معهم إلى أن تتغير ماهية حديثهم .

والجدال في الآية أعلاه بمعنى الخصومة وإنكار الحجج والبراهين التي تدل على التوحيد ، وصدق التنزيل ، وهل تدل الآية أعلاه من سورة النساء وهي مدنية على نسخ آية البحث ، الجواب لا .

(١) سورة غافر ٤ .

(٢) سورة النساء ١٤٠ .

(٣) نواسخ القرآن ٥٤/١ .

(٤) سورة النساء ١٤٠ .

ليبان أن النسبة بين الإعراض وترك القعود والجلوس والجدال مع الذين كفروا عموم وخصوص مطلق ، فقد يعرض الفرد عن حديث الجماعة مع بقائه قاعداً معهم ، وفيه مسائل :

الأولى : جاءت آية البحث خطاباً خاصاً إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتلحق به أجيال الأمة .

الثانية : الخطاب في الآية من سورة النساء عام لفظاً وحكماً .

الثالثة : أخبرت الآية من سورة النساء عن نزول القرآن بالنهي عن القعود مع الذين كفروا ، وهذه الآية تؤكد له ، لبيان قانون توكيد آيات القرآن بعضها لبعض ، وأن التوكيد غير النسخ ، إنما هو تثبيت لحكم الآية .

الرابعة : ورد الإنذار والوعيد في آيات سورة النساء للمنافقين والذين كفروا ، وأن خوضهم واستهزاءهم بالنبوة والتنزيل وبال عليهم ، وعله لنزول العذاب بهم يوم القيامة ، إذ قال تعالى في ذات الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ

الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾^(١) .

سلامة الآية من النسخ

المختار أن آية البحث محكمة غير منسوخة ، وأن الآية أعلاه من سورة النساء تؤكد لها ، وبيان لتعدد وجوه الإعراض وأظهره ترك القعود مع الذين كفروا عندما يستهزءون في الآيات .

وفيه تأديب وزجر لهم وموضوع الآية متجدد في كل زمان ومكان .

أما آية السيف فموضوعها الذين كفروا من أهل مكة ومن حولها في أشهر معلومة من السنة العاشرة للهجرة .

(١) سورة النساء ١٤٠ .

ولا يتعارض موضوع آية البحث مع الجدل في قوله تعالى ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١) للتباين بين الجدل وبين الإستهزاء بالآيات ، وكلاهما ينفيان العنف والسيف ، إذ أن الجدل بيان ومناظرة ودعوة إلى اللطف وبرهان من غير مخاشنة وتبكيث وتعنيف .

وعن (مقاتل قال : كان المشركون بمكة إذا سمعوا القرآن من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاضوا واستهزأوا ، فقال المسلمون : لا يصلح لنا مجالستهم نخاف أن نخرج حين نسمع قولهم ونجالسهم فلا نعيب عليهم ، فأنزل الله في ذلك ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ...﴾^(٢) الآية .

وأخرج أبو الشيخ عن السدي في قوله ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا...﴾ الآية . قال : نسختها هذه الآية التي في سورة النساء ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا﴾^(٣) الآية .

ثم أنزل بعد ذلك ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾^(٤) .

(١) سورة النحل ١٢٥ .

(٢) سورة الأنعام ٦٨ .

(٣) سورة النساء ١٤٠ .

(٤) سورة التوبة ٥ .

الآية الثالثة والستون ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا

عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ﴾^{(١)(٢)}.

لقد أخبرت هذه الآية عن فضل الله عز وجل بالبراهين والآيات والحجج الباهرات التي تدل على وجوب التوحيد ، وعبادة الله وحده ، واتباع الرسل ، وجاء في الثناء على القرآن أنه بصائر بقوله تعالى ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(٣).

وقال تعالى ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٤).

وتحتمل الجهة التي يتوجه إليها الخطاب في آية البحث وجوهاً :

الأول : إرادة الناس جميعاً .

الثاني : المسلمون والمسلمات .

الثالث : أهل الكتاب .

الرابع : الذين كفروا .

والصحيح هو الأول من جهات :

الأول : ماهية موضوع الآية .

الثاني : سياق الآيات ، إذ أن الآية التي قبلها هي ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾^(٥).

الثالث : عالمية رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنه

رسول للناس جميعاً ، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

(١) سورة الأنعام ١٠٤.

(٢) قد تقدم ذكر آيات قالوا بأنها منسوخة والمختار أنها محكمة.

(٣) سورة الجاثية ٢٠.

(٤) سورة الأعراف ٢٠٣.

(٥) سورة الأنعام ١٠٢.

في الآية أقوال

ذكر أن الآية ﴿فَنَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾^(٢) منسوخة بآية السيف ، قاله ابن سلامة^(٣) ، وابن حزم^(٤) ، والكرمي^(٥) ، وابن الجوزي الذي قال في مصفى الناسخ والمنسوخ (قيل تضمنت ترك قتال المشركين ثم نسخ بآية السيف وقيل المعنى لست رقيباً عليكم أحصي أعمالكم فعلى هذا هي محكمة)^(٦) .
والمختار أن الآية محكمة غير منسوخة .

ليبان أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان وأن الله عز وجل تفضل بنزول القرآن لهداية وصلاح الناس ، وكل آية من آياته ضياء ينير دروب السالكين ، ومن يطع الله والرسول ينفع نفسه وينجو من العذاب في الآخرة .
وتبين الآية وجوهاً :

الأول : قانون قرب البصائر والدلائل والبراهين من كل إنسان .

الثاني : قانون إقامة الحججة من الله على الناس .

الثالث : قانون نزول القرآن لطف عام يتغشى الناس .

الرابع : قانون انعدام الحاجب بين الناس والبصائر والحجج الباهرات التي تأتي من عند الله عز وجل .

الخامس : من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مجيؤه بالبصائر من عند الله للناس جميعاً .

(١) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٢) سورة الأنعام ١٠٤ .

(٣) ابن سلامة / الناسخ والمنسوخ ١٤/١ .

(٤) ابن حزم / الناسخ والمنسوخ ٣٧/١ .

(٥) الكرمي / الناسخ والمنسوخ ١٠٦/١ .

(٦) ابن الجوزي ت ٥٩٧ هجرية / مصفى الناسخ والمنسوخ ٣٢/١ .

والنسبة بين مضامين قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) وبين قوله تعالى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾^(٢) هي العموم والخصوص المطلق ، فهذه البصائر من رحمة الله برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

قانون التكليف العام

الناس مخاطبون بوجوب التوحيد والأحكام الشرعية ، قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣) .
 لبيان قانون رسوخ أصل الإيمان في النفوس ، وهو من الفطرة ، قال تعالى ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّذِينَ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(٤) .
 و(قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كل مولود يولد على الفطرة)^(٥) .
 أي على المعرفة بالتوحيد وأن الله عز وجل هو خالقه وربّه ﴿وَالِئِيهِ النُّشُورُ﴾^(٦) .

تبين خاتمة الآية أن النبي محمداً ليس مسلطاً على الناس ، إنما يقوم بتبليغ الرسالة ، ويجتهد في الدعوة إلى الله عز وجل بالوحي والتنزيل ، وبدل أن يتلقى المشركون الآيات والبراهين التي تبصر الناس بقبح الشرك وعبادة الأوثان يرد المشركون بعناد واستكبار وافتراء على النبي محمد صلى الله

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) سورة الأنعام ١٠٤.

(٣) سورة الذاريات ٥٦.

(٤) سورة الروم ٣٠.

(٥) البحار ٣/٢٧٩.

(٦) سورة الملك ١٥.

عليه وآله وسلم كما في الآية التي بعدها بقوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نُنْزِلُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(١).

فيدعون بأن النبي محمداً قرأ كتب اليهود والنصارى (ويقال : تعلمت من جبر ويسار وكانا غلامين بمكة عبرانيين فقال أهل مكة : إنما يتعلم منهما)^(٢).

وقولهم هذا شاهد على إعراضهم عن آيات القرآن ، وعن المعجزات الحسية التي جرت على يد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مثل انشقاق القمر ، وحديث الإسراء ، وسلامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القتل والإغتيال وهو في مكة ، وكذا بعد الهجرة وغيرها من الآيات الباهرات .

وهل معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحسية من البصائر التي ذكرتها آية البحث ، الجواب نعم .
ويكون تقدير الآية على وجوه :

الأول : قد جاءكم بصائر عقلية وحسية من ربكم .

الثاني : قد جاءكم بصائر من ربكم تناسب المدارك المتباينة فهي خطاب للعقول ، وخطاب للحواس .

الثالث : قد جاءكم بصائر من ربكم للقلوب والحواس .

الرابع : قد جاءكم بصائر من ربكم لحبس الجوارح السبعة في طاعة الله ، وهي : السمع ، والبصر ، واللسان ، واليدان ، والرجلان ، والبطن ، والفرج ، والتي سميت جوارح لأنها لكسب الخير والشر ، فاراد الله عز وجل برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والبصائر التي جاء أن

(١) سورة الأنعام ١٠٥.

(٢) السمرقندي / بحر العلوم ٦٦/٢ .

تكتسب الخير وحده ، ويكون النفع لصاحبها وغيره ، قال تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(١).

القول بالنسخ

النسخ بآية السيف على القول به لا يقع على تمام الآية لأن قوله تعالى ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾^(٢) محكم ولكنه يقع على قوله تعالى ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾^(٣)، ولكن ذات مضمون الآية يمنع النسخ والسيف لأنها تقول إنما يحمل الضال وزر ضلالتة وعمله ، قال تعالى ﴿فَإِنهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٤).

ويحتمل الضمير (كم) في ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾^(٥) وجوهاً :

الأول : إرادة العموم من أبصر ومن عمي البصائر .

الثاني : إرادة خصوص الذين عموا عن البصائر وأصروا على الإقامة

في مستنقع الكفر .

الثالث : المراد الذين أبصروا و تلقوا الآيات بالقبول والتسليم والإيمان.

والمختار هو الأول وإرادة العموم ، لعطف هذا الضمير على ذات

الضمير (كم) في أول الآية ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٦) وفي هذا العموم

مسائل :

الأولى : الثواب العظيم للمؤمنين الذين أبصروا الحق .

(١) سورة الإسراء ٣٦.

(٢) سورة الأنعام ١٠٤.

(٣) سورة الأنعام ١٠٤.

(٤) سورة الحج ٤٦.

(٥) سورة الأنعام ١٠٤.

(٦) سورة الأنعام ١٠٤.

الثانية: قانون النفع العام من العمل بمضامين البصائر ، وأن النبي محمداً لا يكره الناس على طاعة الله ، إنما قام بالتبليغ ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١).

الثالثة: الثناء على المؤمنين من المهاجرين والأنصار بأن النبي محمداً لم يجذبهم للإيمان بالإكراه والتسلط إنما بالبيان والبرهان .

الرابعة: إقامة الحجّة بالمؤمنين على الذين كفروا فذات البصائر والبراهين جاء بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم للناس جميعاً ، واهتدى بواسطتها فريق منهم ، وقد جحد برسالته عمه أبو لهب وآذاه وشارك قريشاً في حصارهم لبني هاشم في شعب أبي طالب من شهر محرم من السنة السابعة للبعثة إلى السنة العاشرة .

تعدد اللفظ والنسخ

قد يتكرر موضوع الآية التي يقال أنها منسوخة ، وهذا التعدد تارة بخصوص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأخرى يشمل الأنبياء السابقين وقصصهم مع أمهم .

لنبين هنا في باب النسخ قانون تعدد وتكرار ذات اللفظ شاهد على السلامة من النسخ .

ولقد ورد قوله تعالى ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ في القرآن مرتين إحداهما في آية البحث بخصوص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والثانية بخصوص النبي شعيب مع قومه بقوله تعالى ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾^(٢).

(١) سورة المائدة ٦٧.

(٢) سورة هود ٨٦.

كما ورد قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾^(١)، وقوله تعالى ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾^(٢).

ليبان قانون تعدد اللفظ عدة مرات شاهد على سلامته من النسخ .
وفي التنزيل ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٣)، و﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾^(٤)، و﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾^(٥)، و﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِكِيلٍ﴾^(٦).

إن الله عز وجل هو الذي يحفظ الخلائق والناس ، ويحصي ما يفعلون وهو الذي يمهلمهم ليجازيهم إنما على الرسول البلاغ .
وعن عبد الله بن عمرو الذي كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يفضل على أبيه^(٧) (قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم ، قابضاً على كفيه ومعه كتابان فقال : أتدرون ما هذان الكتابان . قلنا : لا يا رسول الله .

فقال للذي في يده اليمنى : هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آباءهم وعشائرتهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفاً في الأصلاب ، وقبل أن يستقروا نطفاً في الأرحام إذ هم في الطينة منجدلون ، فليس بزايد فيهم ، ولا ناقص منهم إجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة .

(١) سورة الأنعام ١٠٧ .

(٢) سورة الشورى ٤٨ .

(٣) سورة يوسف ٦٤ .

(٤) سورة هود ٥٧ .

(٥) سورة سبأ ٢١ .

(٦) سورة الشورى ٦ .

(٧) الثعلبي / الكشف والبيان ٤٠/١٢ .

ثم قال للذي في يساره : هذا كتاب من رب العالمين ، بأسماء أهل النار وأسماء آباءهم وعشائرتهم وعدتهم ، قبل أن يستقروا نطفاً في الأصلاب وقبل أن يستقروا في الأرحام إذ هم في الطينة منجدلون ، فليس بزايد فيهم ولا ناقص منهم ، إجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة .

فقال عبد الله بن عمرو : فقيم العمل ، قال : إعملوا وسددوا وقاربوا ، فإن صاحب الجنة ينجم له بعمل أهل الجنة وأن عمل أي عمل (١) .
وقال الثعالبي (وأنت لست بوكيل عليهم ، وما في هذه الألفاظ من موادعة فمسنوخ) (٢) .

وموضوع هذه الألفاظ لا ينحصر بالموادعة ، ولا دليل على أن آيات الموادعة منسوخة ، إنما هي رحمة عامة ، ومن مصاديق قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٣) ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ (٤) .

(وأخرج أحمد عن قتادة قال : بلغنا أنه مكتوب في التوراة ابن آدم ارحم ترحم إنه من لا يرحم لا يرحم ، كيف ترجو أن ارحمك وأنت لا ترحم عبادي) (٥) .

(وعن جرير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يرحم الله من لا يرحم الناس) (٦) .

(وعن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنما يرحم الله من عباده الرحماء) (١) .

(١) الثعالبي / الكشف والبيان ٤٠/١٢ .

(٢) عبد الرحمن بن محمد الثعالبي ت ٨٧٥ / الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي) ٤/١٢ .

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٤) سورة سبأ ٢٨ .

(٥) الدر المنثور ٤/٣٢٤ .

(٦) الدر المنثور ٩/٢٣٥ .

والله يعلم أن الناس على مذاهب شتى ومنهم المسلمون ، ومنهم أهل الكتاب ، ومنهم الذين ييقون على شركهم ، ويجهزون الجيوش لقتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولم يأمره الله عز وجل بقتلهم ، بل أنه امتنع عن الدعاء عليهم .

ليان الأولوية في إجتنا ب قتلهم ، ولرجاء هدايتهم .

قانون الرحمة العامة ضد السيف

ليس من حصر لمصاديق وضروب رحمة الله عز وجل ، ولا يحصي أفرادها إلا هو تعالى ، وهي على أقسام :

الأول : الرحمة المطلقة بالخلائق كافة .

الثاني : الرحمة العامة بالناس جميعاً ، البر والفاجر ، المؤمن والكافر في الحياة والرزق والسلامة من الأمراض ، ودفع البلاء .

الثالث : الرحمة الخاصة بالمؤمنين بالهداية والتوفيق للتقوى .

وهل بعثة الأنبياء من الرحمة المطلقة أم العامة أم الخاصة ، المختار أصالة الإطلاق ، وشمولها جميعاً بالرحمة ببعثة الأنبياء والرسول ، قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٢).

الرابع : الرحمة على نحو القضية الشخصية ، فله عز وجل مصاديق من الرحمة على كل إنسان لم تأت لغيره من آدم إلى يوم القيامة .

(و) عن خالد بن أبي عمران قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعو على مضر إذ جاءه جبريل فأوماً إليه أن اسكت فسكت . فقال يا محمد : إن الله لم يبعثك سبأاً ولا لعاناً ، وإنما بعثك رحمة للعالمين .

(١) الدر المنثور ٩/٢٣٥ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧ .

ولم يبعثك عذاباً ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(١).

ثم علمه هذا القنوت : اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونخضع لك ونخلع ونترك من يفجرك ، اللهم إياك نعبد ، ولك نصلي ونسجد ، إليك نسعى ونخمد ، نرجو رحمتك ونخشى عذابك ، إن عذابك الجد بالكفار ملحق^(٢).

(و) عن عكرمة قال : قيل يا رسول الله ، ألا تلعن قريشاً بما أتوا إليك؟ فقال : لم أبعث لعناً وإنما بعثت رحمة يقول الله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣)(٤).

وتتصل مصاديق الرحمة العامة لرسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في كل زمان .

ولما كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يمتنع عن الدعاء على المشركين في معركة أحد مع شدة إيذائهم له وإصابتهم له بالجراحات ، وقتل سبعين من أصحابه يومئذ منهم عمه حمزة بن عبد المطلب .

فمن باب الأولوية امتناعه عن إعمال السيف في رقاب الناس .

وسميت هذه الآية ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُوهُمْ وَأَقْعِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٥) آية السيف مع أن النبي محمداً كان يكره السيف

(١) سورة آل عمران ١٢٨.

(٢) الدر المنثور ١٠/٤٠٤.

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٤) الدر المنثور ٧/١١٢.

(٥) سورة التوبة ٥.

وحمله ، ومن خصائصه أنه خرج إلى معركة بدر وليس معه سيف ، وكان كثير العفو .

وهذه الكثرة بأمر من الله عز وجل بالتنزيل العام وبالوحي الخاص ، وهذا الإصطلاح مستحدث هنا ، فالتنزيل العام هو القواعد والسنن التي في القرآن منها قوله تعالى ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

وأما الوحي الخاص فهو الذي يأتي الى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم اليوم والليلة ومنه الوقائع والأحداث ، ويتجلى البيان بقوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢).

ثم أن الأمر بالعفو والصفح جاء عاماً لأجيال المسلمين المتعاقبة بقوله تعالى ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣).

أما آية السيف فموضوعها خاص بالوعيد للمشركين من أهل مكة ومن حولها وعدم إعطاء ذمة وعهد جديد لهم .

لقد نزل قوله تعالى ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٤) في السنة التاسعة للهجرة ، وسماها عدد من العلماء بآية السيف ، مع أن القرآن خال من لفظ السيف .

(١) سورة المائدة ١٣.

(٢) سورة النجم ٣-٤.

(٣) سورة البقرة ١٠٩.

(٤) سورة التوبة ٥.

وهذا الخلو دعوة للعلماء لإجتنب هذه التسمية وبعثها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع الإمام علي عليه السلام لقراءتها على الناس في موسم الحج من السنة التاسعة للهجرة ليؤدي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مناسك الحج في السنة العاشرة وليس من مشرك يطوف بالبيت ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

ومن خصائص رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ابتداء رسالته بالصبر والتحمل واستمرار ذات الصفات إلى حين مغادرته إلى الرفيق الأعلى ، وكراهيته لسفك الدماء .

لماذا براءة بلا بسملة

آية السيف هي الآية الخامسة من سورة التوبة (براءة) وهي السورة الوحيدة من سور القرآن التي لم تبدأ بالبسملة .
(وعن علي بن عبد الله بن عباس ، قال : سمعت أبي يقول : سألت علي بن أبي طالب (عليه السلام) : لم لم تكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم ؟ قال : لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان ، وبراءة نزلت بالسيف ، ليس فيها أمان)^(٢) .
والحديث ضعيف السند .

(قال الحاكم قال الدارقطني محمد بن زكريا بن دينار الغلابي ، يضع الحديث .

(١) سورة المائدة ٣ .

(٢) المستدرک علی الصحیحین ٤١٠/٧ .

وقال الدَّارِقُطْنِيّ محمد بن زكريا الغلابي ، بصري يضع الضعفاء والمتروكون^(١).

ومن شجاعة الإمام علي عليه السلام نداؤه بسورة التوبة في الموسم ، وكان فيه مشركون ومنهم من قتل الإمام عليه السلام أباه أو أخاه في معركة بدر ، وأحد ، والخندق ، وحنين .

ورد عن ابن عباس قال (قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المثين، فقرنتم بينها ولم تكتبوا بينها سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) ووضعتموها في السبع الطوال؟ ما حملكم على ذلك .

فقال عثمان: كان رسول الله مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، فإذا أنزلت عليه الآية فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا.

وكانت الأنفال من أول ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وحسبت أنها منها .

وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) فوضعتها في السبع الطوال^(٢).

وهذا الحديث عن ابن عباس أيضاً.

وأسباب عدم مجئ البسمة في سورة التوبة متعددة منها :

الأول : عادة العرب عند نقض وانقطاع العهد لغة الإنذار وعدم

التسمية.

(١) موسوعة أقوال الدارقطني ٢٣١/٣١ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢٩/١ .

الثاني : كانت سورة الأنفال والتوبة تقرءان كسورة واحدة .

الثالث : نسخ أول سورة التوبة فسقطت معه البسمة .

وعن سعيد بن جبير أن سورة التوبة كانت تعدل سورة البقرة ، وهو بعيد إنما ورد الخبر بخصوص سورة الأحزاب .

إذ (روى زر قال : قال لي أبي بن كعب : كم تعدون سورة الأحزاب ؟ قلت : ثلاثا وسبعين آية قال : فوالذي يحلف به أبي بن كعب أن كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم أراد أبي أن ذلك من جملة ما نسخ من القرءان)^(١).

الرابع : (سئل سفیان بن عيينة : لمَ لم يكن في صدر براءة : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال : لأن التسمية رحمة ، والرحمة أمان ، وهذه السورة نزلت في المنافقين وبالسيف ، ولا أمان للمنافقين)^(٢).

ولم تنزل الآيات الأولى من سورة براءة بالمنافقين ، لأنهم نطقوا بالشهادتين مع إخفائهم الكفر ، إنما نزلت في المشركين في مكة وما حولها ليسود الأمن والإيمان فيها ، وتأمين الطرق ، ولا يخشى من كيد ومكر الذين كفروا ﴿وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾^(٣).

والمختار هو الوجه الأول أعلاه دلالة وسندا ثم الثاني .

(١) تفسير القرطبي ١٠٤/١٤ .

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ٧٩/٦ .

(٣) سورة الأنفال ٣٩ .

الآية الرابعة والستون ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾^(١).
 أي لست حارساً على الذين كفروا ولا مسؤولاً عن إعراضهم ولم
 توكل عليهم وغير مسؤول أو مسلط على أعمالهم أو عن حفظها وتوثيقها ،
 إنما انت نذير عليك البلاغ ، وقال تعالى ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ
 تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾^(٢).

إنما الله عز وجل هو الوكيل على كل شئ وهو الذي يدبر مصالح الخلق
 ، قال تعالى ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾^(٣).

القائلون بنسخ هذه الآية

ذكر أن هذه الآية منسوخة بآية السيف كل من :

الأول : ابن حزم في الناسخ والمنسوخ^(٤).

الثاني : ابن سلامة في الناسخ والمنسوخ^(٥).

الثالث : ذكر ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هجرية) في كتاب المصنفى بأكف أهل
 الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ ، وقول (ابن عباس : نسخت بآية السيف
 وعلى ما ذكرنا في نظائرها تكون محكمة)^(٦).

الرابع : المقرئ في الناسخ والمنسوخ^(٧).

الخامس : قال السمرقندي ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ يعني : ما أنت يا محمد
 عليهم بحفيظ . ويقال : بمسلط . وهذا قبل أن يؤمر بالقتال^(٨).

(١) سورة الأنعام ١٠٧ .

(٢) سورة الفرقان ٤٣ .

(٣) سورة الزمر ٦٢ .

(٤) ابن حزم / الناسخ والمنسوخ ٣٨/١ .

(٥) ابن سلامة / الناسخ والمنسوخ ١٤/١ .

(٦) ابن الجوزي / مصنفى الناسخ والمنسوخ ٣٣/١ .

(٧) المقرئ / الناسخ والمنسوخ ٨٧/١ .

والمختار أن الآية محكمة غير منسوخة .

وتقدير الآية على وجوه :

الأول : وما أنت عليهم بوكيل أيام النبوة .

الثاني : قانون وما الرسول بوكيل على الناس .

الثالث : وما أنت عليهم بوكيل أمس واليوم وغداً .

الرابع : يا أيها الذين آمنوا ما أنتم على الناس بوكلاء ، بلحاظ أن الخطاب في الآية خاص لفظاً عام للنبي وللأمة حكماً .

ولم يرد قوله تعالى ﴿ مَا جَعَلْنَاكَ ﴾ في القرآن إلا في آية البحث ، ومن

دلائل سياق الآيات مجئ الآية السابقة لها بأمرين إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم :

الأول : إتباع الوحي .

الثاني : الإعراض عن المشركين .

لتخبر آية البحث بعظيم قدرة الله وأنه تعالى قادر على هداية الناس ، وامتناع الشرك في الأرض مثلما أن وجود الشريك لله عز وجل ممتنع ومنفي .

(وعن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثيراً ما يقول : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك. قلنا: يا رسول الله، قد آمننا بك، وصدقنا بما جئت به، فيخاف علينا ، قال : نعم، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله، يقلبها تبارك وتعالى)^(١).

وذات الأعراض عن المشركين زاجر لهم عن الشرك ، وبعث للنفرة في النفوس من الشرك ، وإخبار عملي عن قبح الكفر وأنه سبب لإعراض المؤمنين ذوي الخلق الحميد عن صاحبه.

(١) السمرقندي / بحر العلوم ٣٩/٤ .

(٢) تفسير الطبري ٢١٦/٦ .

التفسير بالتقدير

ومن خصائص سلامة آية البحث من النسخ التخفيف من الله عز وجل عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين في قوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾^(١)، ومن معاني الحفيظ في المقام :

الأول : وما جعلناك عليهم رقيباً .

الثاني : وما جعلناك عليهم ترصد وتحفظ أعمالهم .

الثالث : وما جعلناك عليهم محاسباً .

الرابع : وما جعلناك عليهم حارساً .

الخامس : وما جعلناك عليهم مسؤولاً ، قال تعالى ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا

أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾^(٢).

السادس : وما جعلناك عليهم متسلطاً .

السابع : وما جعلناك عليهم حافظاً .

الثامن : وما جعلناك عليهم وكيلاً ، قال تعالى ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ .

التاسع : يا أيها الذين آمنوا ما جعلناكم حافظين على المشركين ، بلحاظ أن الخطاب في الآية خاص لفظاً عام حكماً .

وتضمنت الآية أمرين بخصوص النسخ هما :

الأول : وما جعلناك عليهم حفيظاً .

الثاني : وما أنت عليهم بوكيل .

وهل هذا التعدد توكيد لسلامة الآية من النسخ ، الجواب نعم .

(١) سورة الأنعام ١٠٧ .

(٢) سورة الشورى ٤٨ .

الآية تخفيف

وقال ابن عطية ان الأمر إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (الاقتصار على اتباع الوحي وموادعة الكفار ، وذلك كان في أول الإسلام ثم نسخ الإعراض عنهم بالقتال والسوق إلى الدين طوعاً أو كرهاً)^(١). ويرد عليه بمسائل :

الأولى : لا تعارض بين الموادعة والإعراض .

الثانية : استمرار إعراض النبي محمد عن الكفار حتى بعد الهجرة النبوية .

الثالثة : لم ينسخ الإعراض عن الذين كفروا بالقتال إنما كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في حال دفاع سواء في معركة بدر أو أحد أو الخندق أو حنين ، وحالما تنتهي المعركة حتى يعود النبي محمد للعمل بأحكام الإعراض عن المشركين .

الرابعة : قانون الإعراض عن المشركين زاجر لهم .

الخامسة : قانون الإعراض عن المشركين تأديب للناس .

السادسة : قانون الإعراض النبوي عن المشركين دعوة للمسلمين لإجتناهم .

السابعة : قانون الإعراض عن المشركين إزدراء للشرك ومفاهيم الضلالة.

قانون الإعراض تأديب

وهل كان الإعراض النبوي عن المشركين سبباً لغزوهم المدينة وإصرارهم على قتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإرادة قتله وجعل أصحابه بين قتيل وأسير ، الجواب لا ، لوجوه :

(١) المحرر الوجيز ٤٥٦/٢.

الأول : قانون الأمر الإلهي رحمة ، فأمر الله عز وجل إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالإعراض عن المشركين تخفيف عن النبي محمد ورحمة به ، وبالمسلمين والناس جميعاً .

الثاني : إعراض النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن المشركين دعوة لهم للكف عن إيذائه ، قال تعالى ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(١) ، ولا يعلم ماذا يحدث لو أن النبي محمداً لم يعرض عن المشركين ويتحمل أذاهم بصبر .

الثالث : هل هجرة النبي محمد إلى المدينة من إعراضه عن المشركين ، الجواب نعم ، وهو من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم باتخاذ الهجرة وسيلة للإعراض عن المشركين ، وكذا أمره لطائفة من أصحابه بالهجرة إلى الحبشة (مملكة أكسوم) .

وهذه الهجرة معجزة غيرية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وشاهد صدق على نبوته ، ودعوة لقريش للكف عن إيذائه ، وتخفيف من سخطهم ومكرهم .

وابتدأت هذه الهجرة في شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة إذ تسللوا في ظلمة الليل من مكة كيلاً تظن قريش وتجبسهم ويزداد أذاهم للنبي وخرجوا صوب البحر الأحمر (القلزم) باتجاه ميناء الشعبية ، وهو قريب من ميناء جدة الحالي والذي لم يكن موجوداً آنذاك .

ومن اللطف والمدد الإلهي أن الله عز وجل قيض لهم سفينتين تجاريتين تريدان المغادرة إلى الحبشة فركبوا فيهما بنصف دينار لكل واحد ، ثم ما لبثت قريش أن علمت بخروجهم من مكة ، وتوجههم صوب البحر ، فخرجوا على الخيل المسرعة في طلبهم لاعادتهم مقيدين بالحبال.

(١) سورة الكافرون .٦

ولما وصلت الخيل إلى الشاطئ وجدوا أن المهاجرين قد غادروا في البحر ، وأقاموا في الحبشة في أحسن جوار .

لتنجلي لهم معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حينما قال لهم (لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ ، وَهِيَ أَرْضٌ صِدْقٌ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا) ^(١).

ليكون هذا الخروج من إعراض النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة عن المشركين ولم يبق النبي محمد الصحابة حوله لإرادة قتال قريش ، أو للدفاع عنه ، إنما كان يمنع من الفتنة والإفتتان .

الآية الخامسة والستون ﴿وَأَمَّا نُرُوتُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفَّيْنَاكَ﴾ ^(٢).

لقد تكرر قوله تعالى ﴿وَأَمَّا نُرُوتُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ ثلاث مرات في القرآن:

الأولى : قوله تعالى ﴿وَأَمَّا نُرُوتُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفَّيْنَاكَ فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ ^(٣).

الثانية : قوله تعالى ﴿إِن مَّا نُرُوتُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفَّيْنَاكَ فَإِنَّا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ ^(٤).

الثالثة : قوله تعالى ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرُوتُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفَّيْنَاكَ فَإِنَّا يَرْجِعُونَ﴾ ^(٥).

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ١/٣٢١ .

(٢) سورة يونس ٤٦ .

(٣) سورة يونس ٤٦ .

(٤) سورة الرعد ٤٠ .

(٥) سورة غافر ٧٧ .

القائلون بنسخ هذه الآية

وَمَنْ قَالَ بِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَسَخَتْ بِآيَةِ السِّيفِ :

الأول : ابن سلامة في الناسخ والمنسوخ^(١).

الثاني : ابن حزم في الناسخ والمنسوخ بخصوص سورة غافر أعلاه .

الثالث : هبة الله سلامة بن نصر البغدادي المقرئ (ت ٤١٠ هجرية) الذي

قال بأن ثمانين آيات من سورة يونس منسوخة ، وهذه السورة مكية ، وهذه الآيات هي :

(الآية الأولى) قوله تعالى ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنِّي عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) نسخت بقوله تعالى ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَبِئْسَ نِعْمَةً﴾^(٣).

الآية الثانية قوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ

لِلَّهِ﴾^(٤) هذا محكم وباقي الآية منسوخ بآية السيف .

الآية الثالثة قوله تعالى ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلِكُمْ﴾^(٥)

الآية كلها نسخت بآية السيف .

الآية الرابعة قوله تعالى ﴿وَإِنَّمَا نُرِيكُمُ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفِّيكَ﴾^(٦).

الآية الخامسة قوله تعالى ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(١)

نسخت بآية السيف .

(١) ابن سلامة / الناسخ والمنسوخ ١٧/١ .

(٢) سورة يونس ١٥ .

(٣) سورة الفتح ٢ .

(٤) سورة يونس ٢٥ .

(٥) سورة يونس ٤١ .

(٦) سورة يونس ٤٦ .

الآية السادسة : قوله تعالى ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾^(٢) نسختها آية السيف .

الآية السابعة : قوله تعالى ﴿ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾^(٣) نسختها آية السيف .

الآية الثامنة : قوله تعالى ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ﴾^(٤) نسخ الصبر بآية السيف^(٥) .

ومن إعجاز هذه الآية اجتماع الوعد والوعيد في كلمة واحدة منها ﴿ وَإِنَّمَا نُزِّيْنَاكَ ﴾ فهي وعد للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين بأن يروا ما يحل بالذين كفروا من البلاء والضرر الذي يلحق بهم ، والآية وعيد لهم بأن البلاء الذي يأتيكم ليس صدفة واتفاقاً إنما هو من عند الله سبحانه . وقد أُنذركم الله عز وجل بآيات القرآن لذا جاءت السور المكية بالإندار والوعيد في الدنيا والتذكير بأهوال يوم القيامة منها ﴿ إِنَّا عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ * يَوْمَ تُنْفَخُ السَّمَاءُ مِثْرًا * وَنَسِيرُ الْجِبَالِ سَيْرًا * فَوَيْلٌ لِلْمُكذِبِينَ * الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ * يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعْوًا^(٦) أي يدفعون إليها دفعا وقهرا لأن شدة حرارة النار تجعلهم يتمنعون من دخولها .

(١) سورة يونس ٩٩ .

(٢) سورة يونس ١٠٢ .

(٣) سورة يونس ١٠٨ .

(٤) سورة يونس ١٠٩ .

(٥) ابن المقري / الناسخ والمنسوخ ١٠٣/١ .

(٦) سورة الطور ٧-١٣ .

و(عن ابن عباس : يدفع في أعناقهم حتى يردوا النار)^(١).
ولم ينحصر موضوع السور المكية بالوعيد بل جاءت بالأهم وهو تأكيد التوحيد ، والدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، والإيمان برسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم واليوم الآخر ، ولزوم هجران الواد وعبادة الأوثان والتقرب إليها زلفى .

وأبطلت السور المكية حجج الذين كفروا ، والعادات الوثنية .
وذكرت نعيم الجنة وما أعد الله للمؤمنين من النعيم الدائم ، وأخبرت عن النار وأنها مثوى الكافرين .

وذكرت وقائع وقصص للأمم السابقة وكيف حلّ عذاب الإستئصال بالذين كفروا ، قال تعالى ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾^(٢).

شدة الأذى من الكفار

لقد لاقى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أشد الأذى من كفار قريش ، ونعته بأنه ساحر وأنه مجنون وأرادوا خنقه في المسجد الحرام وهو يصلي .

وفي معركة بدر لما أراد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قتل عقبة بن أبي معيط .

(قال: أتقتلني يا محمد من بين قريش ؟ قال: نعم أتدرون ما صنع هذا بي ؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام، فوضع رجله على عنقي وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عيني ستندران، وجاء مرة أخرى بسلا شاة فألقاه على رأسي وأنا ساجد، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي)^(٣).

(١) الدر المنثور ٣٠٨/٩ .

(٢) سورة الحاقة ٤-٦ .

(٣) ابن كثير / السيرة النبوية ٤٧٣/٢ .

لتكون وقائع معركة بدر وسقوط سبعين قتيلاً من المشركين فيها وأسر سبعين منهم وهزيمة الباقين وتركهم لمؤنهم وشطر من أسلحتهم وأبلهم من مصاديق قوله تعالى في آية البحث ﴿وَأَمَّا نُرَيْنَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾^(١).

مما يدل على أن آية البحث محكمة غير منسوخة ، وأن مصاديقها متجددة ، ولا تصل النوبة إلى نسخ هذه الآية .

نعم آية السيف مما نزل في المشركين من التخويف والوعيد .

ولقد توعد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعض رؤساء الكفر من قريش بالقتل وهو في مكة قبل الهجرة كما في أبي بن خلف الذي كان يتوعد النبي محمداً بالقتل عندما يلقاه في مكة (فَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ عِنْدِي الْعُوذَ فَرَسًا أَعْلَفُهُ كُلَّ يَوْمٍ فَرَقًا مِنْ ذُرَّةِ أَقْتُلُكَ عَلَيْهِ فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ)^(٢).

ترى لماذا علق النبي محمد القتل بالمشيئة ، الجواب لعمومات قوله تعالى ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٣) ، ولقانون مرتبة النبوة لا تخرج النبي من مقامات العبودية لله عز وجل .

ولأن باب التوبة والإنابة مفتوح للناس جميعاً ، وقد يكون رجل من أشد المعاندين ، فيدخل الإيمان فجأة إلى قلبه.

إرادة قتل النبي (ص)

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تعرضه لعدة محاولات لاغتياله بصفة النبوة ولتبليغه الرسالة خير تبليغ ، فليس عنده عداوة أو ثأر مع أحد ، وكان يسمى قبل البعثة النبوية (الصادق الأمين) ولكن قريشاً أظهروا له أشد العداوة بعد إعلانه

(١) سورة يونس ٤٦.

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ٨٣/٢ .

(٣) سورة الرعد ٣٩.

النبوة وتلاوته آيات القرآن ، ودخول رهط من الناس في الإسلام ، وأدائهم الصلاة ، فاعلنوا لزوم قتله ، وجرت محاولات لإغتياله .

وفي معركة أحد صارت جولة للمشركين وكثرت جراحات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم واسند إلى الشعب تمادي أبي بن خلف فتوجه نحو النبي (وَهُوَ يَقُولُ أَيُّ مُحَمَّدٌ لَنَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَوْتُ فَقَالَ الْقَوْمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْعَظُفُ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَّا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ دَعُوهُ فَلَمَّا دَنَا ، تَنَاولَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْحَرْبَةَ مِنْ الْحَارِثِ بْنِ الصَّمَّةِ)^(١).

وانتفض بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم استقبل أبي بن خلف فطعنه في عنقه طعنة خدشه بها فتدحرج وسقط من فرسه ، وتركه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولم يجهز عليه ، ولم يطلب من حوله من الصحابة .

فرجع أبي إلى قريش وهو يقول : قتلني والله محمد .

فسخروا منه ، وقالوا ذهب والله فؤادك ليس بك بأس إنما هي خدشة ، ولكنه أجابهم (إِنَّهُ قَدْ كَانَ قَالَ لِي بِمَكَّةَ أَنَا أَقْتُلُكَ ، فَوَاللَّهِ لَوْ بَصَقَ عَلَيَّ لَقَتَلْتَنِي . فَمَاتَ عَدُوُّ اللَّهِ فِي سِرْفٍ وَهُمْ قَافِلُونَ بِهِ إِلَى مَكَّةَ)^(٢).

وهذه الواقعة من مصاديق ﴿وَأَمَّا زَيْنَبُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾^(٣).

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٨٣/٢ .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ٨٣/٢ .

(٣) سورة يونس ٤٧ .

التبعيض في الوعيد

ترى لماذا ذكرت الآية التبعيض (بعض) فيه وجوه :
الأول : من البلاء الذي يلحق المشركين ما لا يعلم به إلا الله فلا يراه الناس.

الثاني : يلاقي المشركون أذى ظاهر للعيان وخفي ، وليس كل ما يقع لهم يصل إلى أسمع رسول الله والصحابة .

الثالث : قد ورد قوله تعالى ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ ثلاث مرات في القرآن كلها خطاب من الله عز وجل إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفي ذات الموضوع مع الأمر إلى النبي محمد بالصبر والتحمل حتى يظهره الله عز وجل لقوله تعالى ﴿فَاصْبِرْ إِنَّا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾^(١).

ومن الدلائل على عدم النسخ هنا أن الأمر من الله إلى النبي والمسلمين بالصبر متجدد في السور المكية والمدنية .

الرابع : عمومات قوله تعالى ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٢) فان قيل هل تشمل هذه الآية محو البلاء عن الذين كفروا ، الجواب نعم إن شاء الله عز وجل ، وهذا المحو من بركة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

لذا فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم دعوته لقومه بالهداية مع شدة أذاهم له ، وتجهيزهم الجيوش لمحاربتهم.

(وعن ابن عباس قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي آية أنزلت من السماء أشد عليك ، فقال : كنت بمنى أيام موسم واجتمع مشركو العرب وافناء الناس في الموسم ، فنزل علي جبريل فقال : يا أيها

(١) سورة غافر ٧٧.

(٢) سورة الرعد ٣٩.

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧.

الرسول ﴿تَلْعَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١) قال : فقامت عند العقبة ، فناديت : يا أيها الناس من ينصرنى على أن أبلغ رسالة ربي ولكم الجنة ، أيها الناس قولوا لا إله إلا الله ، وأنا رسول الله إليكم ، وتنجحوا ولكم الجنة .

قال : فما بقي رجل ولا امرأة ولا صبي إلا يرمون عليّ بالتراب والحجارة ، ويصقون في وجهي ويقولون : كذاب صابئ ، فعرض عليّ عارض .

فقال : يا محمد ، إن كنت رسول الله فقد آن لك أن تدعو عليهم كما دعا نوح على قومه بالهلاك . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ، وانصرنى عليهم أن يجيئوني إلى طاعتك^(٢) . ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المقام تقييده الدعاء بالنصر باستجابتهم لرسالته وما جاء به من الأوامر والنواهي من عند الله عز وجل .

فلم يدع عليهم بالهلاك والإستئصال ، إنما دعا لهم بالهداية ، وهل هذه الدعوة مستجابة ، الجواب نعم ، إذ تم فتح مكة سلماً في العشرين من شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة ودخل أهلها الإسلام .

الخامس : المراد يرون عذاب الدنيا مما أوعدوا من عذاب الدنيا والآخرة ، وعذاب الآخرة هو الأشد حيث الحساب بسبب كفرهم وتكذيبهم بالرسالة وصدودهم عن المعجزات .

وآية البحث من سورة يونس وهي مكة .

وهل مما وعد الله عز وجل ما لاقاه المشركون في معركة أحد بقوله تعالى ﴿لَيَقْطَعَنَّ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾^(١) ^(٢) ، الجواب نعم .

(١) سورة المائدة ٦٧ .

(٢) الدر المنثور ٤١٨/٣ .

عن ابن عباس قال : لما انصرف المشركون عن قتلى أحد انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأى منظراً ساءاً ، ورأى حمزة قد شق بطنه واصطلم أنفه وجدعت أذناه .

وورد الأمر بالصبر في الآية إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والصبر ملازم للنبوة ، ومصاحب للإيمان .

ومن إعجاز القرآن أمره للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر على أقوال وافتراء المشركين ، كما في قوله تعالى ﴿ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٣).

والصبر على سوء فعل الذين كفروا وإيذائهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه .

المراد بالنسخ في الآية

الظاهر أن المراد من النسخ في آية البحث هي دعوتها النبي إلى الصبر وانتظار ما يفعل الله عز وجل بالمشركين ، لورود قوله تعالى ﴿ وَإِنَّمَا نُرِيكُم بِغَضِّ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ تُوفِّيكَ فَالِئِنَّا مُرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٤) .
وأن النسخ هو قتال الذين كفروا .

ولكن الآية لا تتعارض مع الأوامر الإلهية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين بالدفاع والقتال دفاعاً ، ليكون هذا الدفاع مما وعد الله

(١) سورة آل عمران ١٢٧ .

(٢) أنظر الجزء الواحد والتسعين من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة في (٤١٢) صفحة .

(٣) سورة ص ١٧ .

(٤) سورة يونس ٤٦ .

عز وجل المشركين ، كما في قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ
وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١).

ومن معاني التداخل بين آية البحث وآية القتال أعلاه وأن آية البحث
محكمة قيود القتال الواردة في الآية أعلاه وهي :

الأول : شرط أن يكون القتال في سبيل الله ، فلا يصح أن يكون للدنيا
أو حمية أو ثأراً .

الثاني : قتال خصوص الذين يقاتلون المسلمين ، وفيه آية بعدم قتال
الذين يمدونهم بالمال والسلاح وإن كانوا معتدين ، وهو من مصاديق آية
البحث بالوعد من عند الله عز وجل بنزول البلاء بالذين كفروا سواء الذين
قاتلوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الذين يمدونهم أو غيرهم .

الثالث : النهي عن الإعتداء ، بقوله تعالى ﴿لَا تَعْتَدُوا﴾ ومن الشواهد
على أن آية البحث محكمة غير منسوخة إخبارها عن الإستغناء عن التعدي
لأن الله عز وجل هو الذي يتلي الذين كفروا بضروب المكاره وما هو أشد .
فقوله تعالى ﴿وَأَمَّا نُرُوتُكَ﴾ لا يعني أن النبي محمداً لا يقوم بالتبليغ
والدعوة إلى الله والدفاع والثبات في ميادين القتال ، بل تدل على فضل الله
عز وجل عليه بالمدد والعون له بأن يرمي المشركين بتتنجز ضروب من
الإنذار والوعيد لهم التي وردت في القرآن ، وما وعدهم الله عز وجل من
العذاب من الآخرة أشد ، وهل منه ما يلاقونه في عالم البرزخ من العذاب ،
الجواب نعم .

(١) سورة البقرة ١٩٠.

عذاب الكافر في القبر

إجماع علماء الإسلام على الحياة في عالم البرزخ وإن كانت للحساب الابتدائي ، قال تعالى ﴿وَمِنَ وَّرَائِهِمُ بَرَزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(١).
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من مات فقد قامت قيامته)^(٢).

إذ يتعطل عالم العمل وما يترتب عليه من الجزاء ، وليأتي الحساب الابتدائي في القبر من قبل الملكين منكر ونكير .
ومن خصائص الحياة الدنيا توالي النعم الإلهية على أهلها برهم وفاجرهم ، مؤمنهم وكافرهم ، مع افئذار والوعيد وضروب الإبتلاء للذين كفروا كما تدل عليه آية البحث.

وعند الإحتضار يجد الإنسان التباين والتضاد بين الإيمان والكفر بالهيئة التي يأتي بها ملك الموت لقبض الروح .

إذ يأتي للمؤمن بأحسن هيئة ، ويأتي للكافر بهيئة مرعبة مفرعة ، وفي آل فرعون قال تعالى ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٣).

وهو من عذاب القبر باخبارهم العملي بأن هذا مصيرهم يوم القيامة.

وقيل (أنهم يعذبون بالنار في قبرهم غدواً وعشياً ، وهذا لآل فرعون خصوصاً)^(٤).

(١) سورة المؤمنون ١٠٠.

(٢) تفسير البحر المحيط ١١٩/٥.

(٣) سورة غافر ٤٦.

(٤) النكت والعيون ٣٩/٤ .

وقد ذكرت في الجزء الثاني من كتابي (قوانين البرزخ) (ولا دليل على العذاب بالنار في القبر ، كما أن ذكر آل فرعون في الآية من باب المثال الأمثل ، وليس الحصر ، إذ قال فرعون ﴿أَنَارَبُكُمْ الْأَعْلَى﴾^(١) واتبعه وأطاعه قومه ، ولاقى منهم بنو إسرائيل أشد العذاب)^(٢).

وفي حديث للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال (وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه ، معهم المسوح . فيجلسون منه مد البصر .

ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة ، اخرجي إلى سخط من الله وغضب . فتفرق في جسده ، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول ، فيأخذها . فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح .

ويخرج منها كأنن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض . فيصعدون بها فلا يبرون بها على ملأ من الملائكة . إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ، فيقولون : فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا . حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتح فلا يفتح له .

(١) سورة النازعات ٢٤ .

(٢) قوانين البرزخ ٥٧/٢ .

ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾^(١) فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى . فتطرح روحه طراحاً^(٢) .

وآيات البرزخ وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عنه إنذار ووعيد للذين كفروا ، وسبيل لهداية الناس للإيمان ، وحجة تغني عن السيف والقتال .

وهي إخبار من علوم الغيب لا تصل إليها يد النسخ ، نعم هي مناسبة للتوبة والإنابة والدعاء للذات والغير ، وللحي والميت ، إذ ينتفع الميت من دعاء الحي واستغفاره له ، وصدقته في ثوابه ، وهي أمور تدل على تصديق وتسليم الأحياء بعالم البرزخ .

فغادر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى ولكن آيات القرآن باقية غضة طرية يتلوها كل مسلم ومسلمة خمس مرات في اليوم ومنها ما تكون القراءة فيها جهرية وهي صلاة الصبح والمغرب والعشاء لبيان وجوه :

الأول : قانون الصلاة إنذار .

الثاني : قانون الصلاة بشارة .

الثالث : قانون الصلاة دعوة يومية للإيمان .

الرابع : قانون أداء المسلمين الصلاة نصر .

الخامس : قانون الصلاة صبر ، وهي من مصاديق آية البحث

﴿وَأَمَّا نُزُيِّنُكَ بِعُضِّ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَوَفِّئُكَ فَإِذَا جَاءَ مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾^(٣) .

(١) سورة الأعراف ٤٠ .

(٢) الدر المنثور ٥١/٦ .

(٣) سورة يونس ٤٦ .

الآية السادسة والستون ﴿أَفَأَنْتُ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(١).

القائلون بنسخ هذه الآية

قال بنسخ هذه الآية بآية السيف كل من :

الأول : هبة الله بن سلامة البغدادي المقرئ (٤١٠ هجرية) في النسخ والمنسوخ في القرآن الكريم^(٢) ، ويرد عنوان هذا الكتاب تارة باسم ابن سلامة ، وأخرى الناسخ والمنسوخ للمقرئ ، وهما واحد.

الثاني : مرعي بن يوسف المقدسي توفي في القاهرة سنة (١٠٣٣ هجرية) إذ قال (منسوخة بآية السيف وقيل لأن نسخ الإيمان بالقلب والإكراه عليه غير ممكن)^(٣).

وقوله (قيل) بعد ذكر النسخ تضعيف لهذا القول وللإخبار بأنه يميل إلى أن الآية منسوخة بآية السيف .

الثالث : عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هجرية) كتاب المصنفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ ، وقال (زعم قوم منهم مقاتل نسخها بآية السيف ، والصحيح أنها محكمة)^(٤).

والإيمان عقيدة وقول وفعل ، وهو أبهى ما في الحياة والنعمة العظمى ، وسبيل الهداية والرشاد ، وقد ملأت الآيات الآفاق تدعو الناس إلى الإيمان ، وليس من إنسان إلا والله عليه مصاديق كثيرة من الفضل التي تقربه إلى منازل الإيمان ، وأخرى تحجبه عن سبل الضلالة .

وأخبرت آية البحث بأن النبي محمداً لا يكره الناس على الإيمان ، لأن وظائف الرسول هي البلاغ وبيان الحجة وتلاوة التنزيل ، لبيان أنه لا يقدر الرسول والخلائق إدخال الإيمان إلى قلوب الناس ، والله عز وجل وحده

(١) سورة يونس ٩٩.

(٢) المقرئ / الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم ١٢٢/١ .

(٣) قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن ١٢٢/١ .

(٤) المصنفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ ٣٨/١ .

هو القادر عليه ، ومن مصاديقه قوله تعالى ﴿ وَخَضُّواْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾^(١).

وما ورد (عن أسماء بنت يزيد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُكثر في دعائه : اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك .
قالت : فقلتُ : يا رسول الله وإن القلوب لتقلب .

قال : نعم ما خلق الله من بني آدم من بشر إلا وقلبه بين اصبعين من أصابع الله عز وجل فإن شاء أزاعه ، وإن شاء أقامه على الحق ، فنسأل الله تعالى أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب.

قلت : يا رسول الله ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي .

قال : بلى قلبي : اللهم رب محمد النبي ، اغفر لي ذنبي ، واذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن ما أحييتن^(٢).

المراد من نسخ آية البحث بآية السيف أنه من بدايات الإسلام لا يكره النبي صلى الله عليه وآله وسلم الناس على دخول الإسلام ولكن عندما نزلت آيات القتال والجهاد وآية السيف صار يكرههم على دخول الإسلام بعرضهم على السيف أي إما الإسلام وإما القتل .

ولم يثبت هذا النسخ قرآنياً وواقعياً في السنة النبوية ، خاصة وأن آية البحث ذكرت الناس بصيغة العموم الإستغراقي الشامل لأهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً ، ولكنه جعل الإيمان على الإختيار ، مع تقريب كل إنسان إلى منازل الإيمان بالآيات العقلية والمحسوسة ، ومنها بعثة الأنبياء التي تجمع بين المعجزات العقلية والحسية .

(١) سورة ق ١٦ .

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ١٥/٣ .

جهاد المنافقين

قال الزمخشري (وقيل : هو إخبار في معنى النهي ، أي لا تتكروها في الدين ، ثم قال بعضهم : هو منسوخ بقوله ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾^(١).

والجواب أن الجهاد في الآية أعلاه أعم من القتال ، بدليل ذكر الآية لمجاهدة المنافقين ، ولم يستعمل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم السيف والقتل ضد أي منافق ، لأن المنافقين نطقوا بالشهادتين وأظهروا الإيمان وان أخفوا الكفر والريب .

ففي كتيبة بني المصطلق التي خرج إليها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في شهر شعبان من السنة السادسة ومعه سبعمائة من الصحابة حدثت خصومة بين رجل من المهاجرين غفاري ، وآخر من الأنصار جهني ، فبادر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى النهي عنها وقال (دَعُوها فَإِنَّها مُتَنَتَةٌ). فسمع بها عبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق الذي كان حاضراً الواقعة فأظهر النصره للأنصاري وتوجه باللوم للأنصار بقوله بغير حق (يا بني الأوس والخزرج ، عليكم صاحبكم وحليفكم . ثم قال : والله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل : سمن كلبك يأكلك .

والله ﴿لَنْ رُجِعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾^(٢) ، فسعى بها بعضهم إلى نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال عمر : يا نبي الله مر معاذاً أن يضرب عنق هذا المنافق . فقال : لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه^(٣).

ليبان السعة في معنى وتسمية الصحابي .

(١) الزمخشري / الكشاف / ٢٢٧/١ .

(٢) سورة المنافقون ٨ .

(٣) الدر المنثور ١٩/١٠ .

وفي قوله تعالى ﴿وَهُمْ أَيْمَانُكُمْ يَنْتَالُوا﴾^(١) وفي طريق عودة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من كتيبة تبوك ، وكان معه من الصحابة ثلاثون ألفاً. أخرج البيهقي في الدلائل عن عروة قال (رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قافلاً من تبوك إلى المدينة ، حتى إذا كان ببعض الطريق مَكَرَ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أصحابه فتأمروا أن يطرحوه من عقبه في الطريق ، فلما بلغوا العقبة أرادوا أن يسلكوها معه .

فلما غشيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبر خبرهم فقال : من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنه أوسع لكم . وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العقبة ، وأخذ الناس ببطن الوادي إلا النفر الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما سمعوا ذلك استعدوا وتلثموا وقد هموا بأمر عظيم .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر رضي الله عنه فمشيا معه شيئاً ، فأمر عمار أن يأخذ بزمام الناقة ، وأمر حذيفة بسوقها .

فبينما هم يسيرون إذ سمعوا وكزة القوم من ورائهم قد غشوه ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمر حذيفة أن يردهم ، وأبصر حذيفة غضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرجع ومعه محجن ، فاستقبل وجوه رواحلهم فضربها ضرباً بالمحجن .

وأبصر القوم وهم متلثمون لا يشعرون إنما ذلك فعل المسافر ، فرعبهم الله حين أبصروا حذيفة وظنوا أن مكرهم قد ظهر عليه ، فأسرعوا حتى خالطوا الناس .

(١) سورة التوبة ٧٤.

وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما أدركه قال : اضرب الراحلة يا حذيفة وامش أنت يا عمار ، فأسرعوا حتى استوتوا بأعلاها ، فخرجوا من العقبة ينتظرون الناس .

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لحذيفة : هل عرفت يا حذيفة من هؤلاء الرهط أحداً؟ قال حذيفة : عرفت راحلة فلان وفلان ، وقال : كانت ظلمة الليل وغشيتهم وهم مثلثمون .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : هل علمتم ما كان شأنهم وما أرادوا؟ قالوا : لا والله يا رسول الله . . . ! قال : فإنهم مكروا ليسيروا معي حتى إذا طلعت في العقبة طرحوني منها .

قالوا : أفلا تأمر بهم يا رسول الله فنضرب أعناقهم؟ قال : أكره أن يتحدث الناس ويقولوا : إن محمد وضع يده في أصحابه فسامهم لهما ، وقال : اكتماهم^(١) .

فمع أرادة القوم اغتيال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فانه تركهم ولم يحضر الذين عرفهم حذيفة ليأتوا بالجميع وعددهم أربعة عشر منافقاً ويفضحهم أمام الملأ ويقيم عليهم الحد ، بل تركهم وشأنهم .

نعم عندما وصل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة واستقبله علي عليه السلام وأردفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلفه ولعن المنافق والمنافقات .

وبالإسناد (عَنِ السُّدِّيِّ قَوْلُهُ ﴿سَيُخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ تُعْرَضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرَضُوا عَنْهُمْ إِيَّاهُمْ رَجُسُ﴾^(٢) قَالَ : لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خَلْفَ عَلِيٍّ بَعْدَهُ وَلَمْ يَخْرُجْ بِهِ مَعَهُ فَخَاضَ النَّاسُ ، فَقَالُوا : إِنَّمَا خَلَفَهُ لِسُخْطِهِ ، فَأَدْرَكَهُ عَلِيٌّ فِي الطَّرِيقِ فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ الْمُنَافِقُونَ .

(١) الدر المنثور ٥/١١٧ .

(٢) سورة .

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيِّ (عليه السلام) : إِنَّ مُوسَى لَمَّا ذَهَبَ إِلَى رَبِّهِ اسْتَخْلَفَ هَارُونَ، وَإِنِّي اسْتَخْلَفْتُكَ بَعْدِي أَفَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي كَمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ؟ إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي .

قال : بلى يا رسول الله، فلما رجع استقبله علي فأردفه النبي صلى الله عليه وسلم خلفه، وقال: لعن الله المنافقين والمخالفين، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وعلي قائم خلفه يلعن المنافقين .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمؤمنين: لا تكلموهم ولا تجالسوهم، فأعرضوا عنهم كما أمركم الله عز وجل^(١).

وقوله تعالى ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٢) محكم غير

منسوخ لوجوه :

الأول : قانون من الإرادة التكوينية ، وهو الله عز وجل وحده الذي يكره الناس على الإيمان .

الثاني : قانون الدنيا دار امتحان واختبار وابتلاء ، مما يلزم الاجتهاد في طاعة الله ، والشكر عند الرخاء ، والرضا بقضاء الله وقدره والصبر عند البلاء .

الثالث : قانون الاختيار في عمل الإنسان **حجة عليه** .

الرابع : التخفيف عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأن وظيفته البلاغ .

الخامس : الإيمان كيفية نفسانية لا يعلم بها إلا الله ، ولا يقدر على حمل الإنسان على الإيمان إلا الله عز وجل .

ولم يرد لفظ (تكره) في القرآن إلا في آية البحث ، لبيان أن الله عز وجل جعل الدنيا دار الاختيار مع تقرب الناس لمنازل الهداية والإيمان والصلاح.

(١) تفسير ابن ابي حاتم ٣٨١/٧ .

(٢) سورة يونس ٩٩ .

وفي قوله تعالى ﴿أَفَأَنْتُ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(١) ثناء على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، و ذم وإنذار للذين كفروا ومصداق لقانون غني الله عن العالمين .

الآية السابعة والستون ﴿فَهَلْ يُنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾^(٢).

القائلون بنسخ هذه الآية

ذكر أن آية البحث منسوخة كل من :

الأول : ابن سلامة المقرئ في كتابة الناسخ والمنسوخ^(٣).

الثاني : ابن حزم في كتابة الناسخ والمنسوخ^(٤).

الثالث : ابن الجوزي في كتابه المصنفى بأكف أهل الرسوخ ، إذ قال بالتفصيل (قيل هي تهديد فتكون محكمة أو تتضمن النهي عن قتالهم فتكون منسوخة)^(٥).

الرابع : قال ابن عطية (وفي قوله ﴿قُلْ فَاتَّقُوا﴾ مهادنة ما ، وهي من جملة ما نسخه القتال)^(٦).

والمختار سلامة آية البحث من النسخ وتتضمن المعنى الجامع للتهديد ، نعم هي لا تمنع من قتال المشركين من غير أن تصل إليها يد النسخ لتعدد وجوه معاني اللفظ القرآني .

(١) سورة يونس ٩٩.

(٢) سورة يونس ١٠٢.

(٣) الناسخ والمنسوخ ١٤/١.

(٤) الناسخ والمنسوخ ٤١/١.

(٥) المصنفى بأكف أهل الرسوخ ٣٥/١ .

(٦) المحرر الوجيز ٣/٣٩٣ .

لم ترد كلمة (ينتظرون) إلا في آية البحث ، ووردت في توبيخ الذين كفروا من قريش ونحوهم .

أما (انتظروا) فوردت خمس مرات ، أربعة منها في ذم وتحد الذين كفروا ، وواحدة في الأمم السابقة في عاد قوم النبي هود ونزول البلاء بهم ، قال تعالى ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتَجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَاتَّظَرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ ﴾^(١).

ومن معاني هذه الآية تخويف الذين كفروا وقابلوا رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالصدود بأن نقمة الله عز وجل ستحل بهم وهذا الوعيد أشد وأقوى من السيف .

فقد تبادى الدين كفروا من الأمم السابقة في تكذيب الأنبياء ، فنزل بساحتهم العذاب سواء قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح أو قوم لوط وغيرهم ، فلم يقاثلهم الأنبياء ولكن عذاب الله عز وجل نزل بهم ولو بعد حين إذ أن الله عز وجل يمهل ولا يمهل .

وبالإسناد (عن عمرو بن خارجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كانت ثمود قوم صالح ، اعمرهم الله في الدنيا فأطال أعمارهم حتى جعل أحدهم بيني المسكن من المدر فينهدم والرجل منهم حي . فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فنحتوها وجابوها وخرقوها ، وكانوا في سعة من معاشهم فقالوا : يا صالح ادع لنا ربك يخرج لنا آية نعلم أنك رسول الله .

فدعا صالح ربه فأخرج لهم الناقة ، فكان شربها يوماً وشربهم يوماً معلوماً ، فإذا كان يوم شربها خلوا عنها وعن الماء^(٢) وحلبوها لبناً ملأوا كل

(١) سورة الأعراف ٧١ .

(٢) في الأصل السماء سهو من النسخ ، والمراد من الماء هنا - البئر - .

اناء ووعاء وسقاء ، حتى إذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء فلم تشرب منه شيئاً فملأوا كلّ اناء ووعاء وسقاء .

فأوحى الله إلى صالح : إن قومك سيعقرون ناقتك . فقال لهم : فقالوا : ما كنا لنفعل .

فقال لهم : أن لا تعقروها أنتم يوشك أن يولد فيكم مولود يعقرها^(١) . ولما عقرت الناقة جاءهم العذاب بالصيحة من السماء ، كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال (فلا يدرون من أين يأتيهم العذاب ، من فوقهم من السماء أم من تحت أرجلهم من الأرض خسفاً أو قذفاً .

فلما أصبحوا اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الأرض ، فتقطعت قلوبهم في صدورهم ، فاصبحوا في ديارهم جامئين^(٢) .

وهذا لا يمنع من مجئ العذاب لكفار قريش على يد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم أصروا على قتاله ، وعذبوا أصحابه وطافوا في القبائل يحرضون على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجهزوا الجيوش لقتاله .

التفسير بالتقدير

يمكن تقدير قوله تعالى ﴿فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾^(٣) على

وجوه :

الأول : فانتظروا بطش الله بكم ، ومن خصائص الفاء في قوله تعالى ﴿فَانتَظِرُوا﴾ قرب نزول البلاء بالذين كفروا ، فلم تقل الآية (وانتظروا) .

(١) الدر المنثور ٤/٢٦١ .

(٢) الدر المنثور ٤/١٦١ .

(٣) سورة يونس ١٠٢ .

الثاني : فانتظروا علو كلمة التوحيد ، وسيادة الإسلام في الجزيرة .
الثالث : فانتظروا فتح مكة وهدم الأصنام التي تعبدون .
 فأية البحث نزلت في مكة قبل هجرة النبي ولكنه كان يبشر بفتحها وهدم الأصنام .

وكان مفتاح الكعبة عند عثمان بن طلحة ابن أبي طلحة من بني عبد الدار قبل هجرة النبي محمد ، فدعاه النبي إلى الإسلام ولكن عثمان بن طلحة رد بجفاء وسخرية إذ ورد عنه (فقلت يا محمد العجب لك حيث تطمع أن أتبعك وقد خالفت دين قومك وجئت بدين محدث ففرقت جماعتهم وإفتهم وأذهبت بهاءهم فانصرف .
 وكنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس فأقبل يوما يريد أن يدخل الكعبة مع الناس فغلظت عليه ونلت منه وحلم عني .
 ثم قال يا عثمان لعلك ستري هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت فقلت لقد أهلكت قريش يومئذ وذلت .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل عمرت وعزت يومئذ^(١) .
 وهذا الإخبار من خصائص النبي محمد في علوم الغيب التي أطلعه الله عز وجل عليها تسلية له من أذى قريش ، وليجد في التبليغ ، ومن خصائصه نفاذ كلامه إلى القلوب ، واستماع الناس لها بتدبر .
 يقول عثمان بن طلحة (فوقعت كلمته مني موقعا ظننت أن الأمر سيصير إلى ما قال فأردت الإسلام ومقاربة محمد فإذا قومي يزبروني زبرا شديدا ويزرون برأيي فأمسكت عن ذكره)^(٢) .

(١) تاريخ دمشق ٣٨/٣٨٣ .

(٢) تاريخ دمشق ٣٨/٣٨٣ .

الرابع : فانتظروا هزيمتكم في معركة بدر وأحد والخندق ، واني معكم من المنتظرين لحكم الله ، وفي معركة بدر ورد قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١).

الخامس : فانتظروا انقطاع عادات الجاهلية والوثنية والوَاد .

السادس : فانتظروا وارقبوا دخول الناس في الإسلام افواجاً .

السابع : فانتظروا توالي نزول آيات القرآن ، وتثبيت أحكام الشريعة الإسلامية .

الثامن : فانتظروا هجرتي إلى المدينة ونجاتي من أذاكم وشروركم .

التاسع : فانتظروا بناء المساجد وإقامة الصلاة اليومية في المدينة .

العاشر : فانتظروا دخول أكثر أهل مكة الإسلام قبل فتحها .

الحادي عشر : فانتظروا فتح مكة والذي تم في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة .

الثاني عشر : يا أيها الذين كفروا انتظروا خزيكم وسخط الله عليكم .

الثالث عشر : فانتظروا حكم الله بيني وبينكم إني معكم من المنتظرين

فلا أقاتلكم .

ومن الدلائل على أن آية البحث غير منسوخة توجه النبي محمد إلى الله

بالدعاء لهداية قومه وتوبتهم ، لتكون هذه الهداية مما ينتظره فيهم ، وفي

معركة أحد ومع كثرة جراحات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وجريان الدم على وجهه ، توجه إلى الله عز وجل بالدعاء لقومه بالهداية .

وعن عبد الله بن مسعود قال (لقد رأيت النبي صلى الله عليه وآله

وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه وهو يحكي نبيا من الأنبياء وهو يقول اللهم

اهد قومي فإنهم لا يعلمون)^(٢).

(١) سورة آل عمران ١٢٣ .

(٢) تاريخ دمشق ٦٢/٢٤٧ .

الرابع عشر : فانتظروا دخول الناس في الإسلام من غير إكراه لهم ،
وتدل عليه سورة النصر ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي
دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾^(١).

الخامس عشر : فانتظروا هلاك رؤساء الكفر في ميادين القتال
لإصرارهم على محاربة الله ، وقتال رسوله .

السادس عشر : فانتظروا الأمن في الجزيرة لقانون الملازمة بين الإيمان
والأمن العام .

السابع عشر : فانتظروا حج المسلمين البيت الحرام وهو خال من
الأصنام والأوثان .

الثامن عشر : فانتظروا انحسار مفاهيم الكفر والضلالة .

التاسع عشر : فانتظروا وعيد الله لكم ، ووعده لنا إنني معكم من
المنتظرين .

العشرون : فانتظروا عاقبة أمركم واتخاذكم شركاء لله عز وجل ، وفي
التنزيل ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ﴾^(٢).

الواحد والعشرون : فانتظروا توالي نزول آيات القرآن وما فيها من بيان
الأحكام .

الثاني والعشرون : فانتظروا عذاب البرزخ عند موتكم على الكفر .

الثالث والعشرون : فانتظروا تخلي الأعوان عنكم بدخولكم الإسلام .

(١) سورة النصر ١-٤ .

(٢) سورة المائدة ٧٢ .

الرابع والعشرون : فانتظروا البعث من القبور والوقوف بين يدي الله عز وجل يوم القيامة ، وفي التنزيل ﴿وَكَاُنُوا يَقُولُونَ اٰنْذَا مٰنَا وَكُنَّا تُرَاٰبًا وَعِظَاٰمًا اٰنَا لَمَبْعُوْثُونَ﴾^(١).

دلالة إتحاد آيات في موضوعها

من إعجاز اتحاد موضوع آيات من القرآن أن قوله تعالى ﴿فَاتَنْظِرُوْا اِنِّيْ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِيْنَ﴾ ورد ثلاث مرات في القرآن وهن :

الأولى : آية البحث التي وردت بخصوص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإعلانه قرب تنجز الوعيد بالذين كفروا تخويفاً لهم وإقامة للحجة عليهم .

الثانية : في احتجاج هود على قومه ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَّبِّكُمْ رَجْسٌ وَعَظَبٌ اٰتٰجِدِلُوْنِيْ فِيْ اَسْمَاءٍ سَمِيْتُمْوهَا اَنْتُمْ وَاٰبَاؤُكُمْ مَا نَزَلَ اللّٰهُ بِهَا مِنْ سُلْطٰنٍ فَاتَنْظِرُوْا اِنِّيْ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِيْنَ﴾^(٢).

الثالثة : قوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا اُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَّبِّهِ فَقُلْ اِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّٰهِ فَاتَنْظِرُوْا اِنِّيْ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِيْنَ﴾^(٣) ، بخصوص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً ، وتجمع هذه الآية بين إخبار النبي محمد عن عدم علمه بالغيب ، لبيان أمور :

الأول : قانون نزول الآيات من علم الغيب .

الثاني : قانون لا يحيط بعلم الغيب إلا الله عز وجل .

(١) سورة الواقعة ٤٧.

(٢) سورة الأعراف ٧١.

(٣) سورة يونس ٢٠.

الثالث : نزول البلاء بالمشركين ، أما تعيينه وكيفيته وأوانه فلا يعلم به إلا الله ، قال تعالى ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ وَآتَيْنَا نُوحًا النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾^(١).

ويدل هذا التعدد في الإنتظار على أن الآية محكمة غير منسوخة .
ومن خصائص الحياة الدنيا قانون الإنتظار ، إنتظار المؤمنين البشارة والفرج وانتظار نزول العذاب بالذين كفروا .
ومن معاني امتناع آيات الإنتظار عن النسخ مجيؤها بخصوص قصص الأنبياء السابقين ، ولأن الإنتظار وعد ووعد ، ومنه انتظار رحمة الله العامة وفي التنزيل ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾^(٢).

سؤال المعجزات

لقد سألت قريش اليهود عن معجزات موسى عليه السلام ، وسألوا النصراني عن معجزات عيسى عليه السلام ، ثم توجه رجال قريش إلى سؤال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المعجزات الحسية .
لقد سأل مشركو قريش النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أن يجعل جبل الصفا ذهباً فيستغنوا به عن رحلة الصيف إلى الشام ، والشتاء إلى اليمن .

فأخبرهم بأن نزول الآيات والمعجزات وسنخيتها وكيفيتها هو بأمر ومشية من عند الله ، وهو أعلم بالمصلحة وأسباب دفع المفسدة .
(روى ابن عباس أن أهل مكة سألوا الرسول أن يجعل الصفا ذهباً ، وأن يزيل عنهم الجبال حتى يزرعوا تلك الاراضي ، فطلب

(١) سورة الإسراء ٥٩ .

(٢) سورة الرحمن ٢٩ .

الرسول ذلك من الله تعالى فقال الله تعالى: إن شئت فعلت ذلك لكن لو أنهم كفروا هلكتهم، فقال الرسول: لا أريد ذلك^(١).

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾^(٢) قال ابن عباس: نزلت في عبد الله بن أمية المخزومي ورهط من قريش قالوا: يا محمد أجعل لنا الصفا ذهباً ووسع لنا أرض مكة، وفجر الأنهار خلالها تفجيراً نؤمن بك^(٣).

وعن سعيد بن جبير (قال: سألت قريش اليهود فقالوا: حدثونا عما جاءكم به موسى من الآيات! فحدثوهم بالعصا وبيده البيضاء للناظرين.

وسألوا النصارى عما جاءهم به عيسى من الآيات، فأخبروهم أنه كان يُبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله.

فقالت قريش عند ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: ادع الله أن يجعل لنا الصفا ذهباً، فنزداد يقيناً، ونتقوى به على عدونا.

فسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربه، فأوحى إليه: إني مُعطيهم، فأجعل لهم الصفا ذهباً، ولكن إن كذبوا عذبتهم عذاباً لم أعذبه أحداً من العالمين^(٤).

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ذرني وقومي فأدعوهم يوماً بيوم. فأنزل الله عليه ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إن في ذلك لآية لهم، إن كانوا إنما يريدون أن أجعل لهم الصفا ذهباً،

(١) البحار ١٧/١٩٠.

(٢) سورة البقرة ١٠٨.

(٣) الثعلبي / الكشف والبيان ٢١٢/١.

(٤) سقط سهواً سطر كامل من رواية الدر المنثور ١/٣٢٨ بما يغير المعنى.

فخلق الله السموات والأرض واختلاف الليل والنهار، أعظم من أن أجعل لهم الصفا ذهباً ليزدادوا يقيناً^(١).

ولو جعل الله عز وجل جبل الصفا ذهباً لكسروه بالفؤوس وباعوه بأثمان زهيدة وقالوا إنما هو سحر من النبي محمد خاصة وأنهم كانوا ينعنون النبي محمد بأنه ساحر .

بينما بقي جبل الصفا من شعائر الله عز وجل يصعد عليه المسلمون ويطوفون كل يوم بينه وبين جبل المروة ، قال تعالى ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).

استحداث علمين

في هذه الآية استحدثت علمين :

الأول : يقسم علماء العربية والبلاغة الكلام إلى حقيقة ومجاز وأضفت لهما قسيماً ثالثاً وهو اللفظ الجامع للحقيقة والمجاز ومنه هذه الآية ، إذ ذهب المفسرون للقول بأن المراد هو الطواف بين الصفا والمروة ويكون تقدير الآية إن طواف الصفا بحذف مضاف . والمختار حمل الكلام على الحقيقة إلا مع القرينة الصارفة إلى المجاز.

والمراد هنا حقيقة ذات الصفا والمروة من شعائر الله ، فلا يجوز هدمها وتكسيهما طلباً للذهب .

مع حمل الكلام على المجاز أيضاً بحذف مضاف ، لوجوه :

الأول : قانون علوم القرآن أعم من قواعد البلاغة والنحو .

الثاني : قانون تعدد معاني اللفظ القرآني .

(١) تفسير الطبري ٢٦٩/٣ .

(٢) سورة البقرة ١٥٨ .

الثالث : قانون إحاطة كلمات الله المحدودة باللامحدود من الوقائع والأحداث .

الرابع : اجتماع الحقيقة والمجاز في اللفظ القرآني شاهد على إعجازه ونزوله من السماء .

(وأخرج ابن سعد من طريق عكرمة عن ابن عباس أن علي بن أبي طالب أرسله إلى الخوارج فقال: اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن فإنه ذو وجوه، ولكن خاصمهم بالسنة . وأخرج من وجه آخر أن ابن عباس قال له: يا أمير المؤمنين فأنا أعلم بكتاب الله منهم، في بيوتنا نزل قال: صدقت، ولكن القرآن حمال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن خاصمهم بالسنن، فإنهم لم يجدوا عنها محيصاً، فخرج إليهم فخاصمهم بالسنن فلم تبق بأيديهم حجة) (١).

أما صفات الله عز وجل فهي ثابتة على الحقيقة ، وفي التنزيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٢) ، والله تعالى يسمع الأصوات من غير آلة جارحة ، ولا أذن وخرق فيها ، ويصير الأشياء كلها من غير آلة باصرة ، فالأشياء كلها حاضرة عنده مستجيبة لأمره .

الثاني : قسمت شعائر الله إلى أقسام منها :

الأول : الشعائر الزمانية كصيام شهر رمضان ، ومناسك الحج .

الثاني : الشعائر المكانية كالوقوف على جبل عرفة والمبيت في

منى .

الثالث : الشعائر الفعلية ومنه أداء الصلاة اليومية ، وأداء مناسك الحج .

(١) السيوطي / الإتيان في علوم القرآن ١/١٦٤ .

(٢) سورة الشورى ١١ .

وتجتمع هذه الأقسام الثلاثة بقوله تعالى ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾.

ليكون في كل سنة مورداً للذهب والأموال لأهل مكة وإلى يوم القيامة وبما يغنيهم عن رحلة الشتاء والصيف ، ليصير جبل الصفا والمروة ذهباً كل سنة ينتفع منه عموم أهل مكة بصفة الإيمان ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١).

ثم أن آيات القرآن تترى في نزولها على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي لم يتلق دروساً وتعليماً عند استاذ ، ولم يقرأ كتب الأولين لتكون كل آية من شواهد الإعجاز . وأخبر الله بأن الصفا والمروة من شعائر الله .

فذات جبل الصفا وجبل المروة من شعائر الله ، وكذا الطواف بهما في موسم الحج ، وليس كما ذهب إليه المفسرون بأن المراد من الآية هو الطواف بالصفا والمروة وحده .

سلامة آية البحث من النسخ

من مصاديق سلامة آية البحث من النسخ وأن قوله تعالى ﴿فَاتَّظَرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ﴾ وجوه :

الأول : الإخبار عن قانون لا يعلم ما يأتي من الوقائع والأحداث إلا الله عز وجل .

الثاني : قانون إتصال وتجدد الوعيد من عند الله للذين كفروا في كل زمان .

(١) سورة الأعراف ٩٦ .

الثالث : من عمومات آية البحث خطاب المسلمين للذين كفروا ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ .

وفيه شاهد على أن آيات الإنتظار من مصاديق كل من :

الأول : قانون آيات القرآن سلم مستديم .

الثاني : قانون آيات السلم تدعو المسلمين لتعاهد السلم الذي أسسه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالث : مقاليد الأمور بيد الله عز وجل وحده .

الرابع : قانون الإنتظار والإمهال طريق إلى التوبة والإنبابة .

الخامس : انتظار النبي مصاديق الوحي والتنزيل بخصوص الذين كفروا .

وهل منها آية السيف ، الجواب نعم ، والتي تدل بالدلالة التضمنية على ظهور الإسلام ووهن وضعف الذين كفروا لتكون آيات الإنتظار شاهداً على الذين كفروا وحجة عليهم أمس واليوم وغداً ، وفي عالم الآخرة .

والخطاب موجه في الآية إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾^(١) وهو عام في موضوعه وموجه إلى المسلمين

والمسلمات جميعاً بدليل قوله تعالى ﴿قُلْ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾^(٢) بصيغة الجمع في (إننا) وكذا قوله تعالى ﴿وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾^(٣) .

(١) سورة يونس ٢٠ .

(٢) سورة الأنعام ١٥٨ .

(٣) سورة هود ١٢٢ .

الآية الثامنة والستون ﴿فَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ

ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾^(١).

القائلون بنسخ هذه الآية

ذكر أن الآية منسوخة بآية السيف ، وقال بالنسخ في المقام كل

من :

الأول : ابن سلامة المقرئ في كتابه الناسخ والمنسوخ^(٢).

الثاني : ابن حزم في كتابه الناسخ والمنسوخ^(٣) .

الثالث : في قوله تعالى ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾^(٤) ورد بالإسناد عن

ابن عباس أنه قال (نسخ هذا آية السيف فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم .

قال أبو جعفر هذا خبر لا يجوز أن ينسخ ومعنى وكيل حفيظ ورقيب والنبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس هو عليهم بحفيظ إنما عليه أن ينذرهم وعقابهم إلى الله عز وجل)^(٥).

وفي الكشف والبيان عن ابن عباس أيضاً : نسختها آية القتال^(٦).

الرابع : الكرمي في كتابه الناسخ والمنسوخ قال ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ

بِوَكِيلٍ﴾ منسوخة بآية السيف^(٧).

(١) سورة يونس ١٠٨.

(٢) الناسخ والمنسوخ ١٧/١.

(٣) الناسخ والمنسوخ ٤١/١ .

(٤) سورة الأنعام ٦٦ .

(٥) النحاس / الناسخ والمنسوخ ٤١٦/١ .

(٦) الثعلبي / الكشف والبيان ٦٩/٧ .

(٧) الكرمي / الناسخ والمنسوخ ١٢٣/١ .

الخامس : ابن جزى في كتابه التسهيل لعلوم التنزيل ، إذ قال ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ منسوخ بالقتال^(١).

السادس : ابن عطية المحاربي في المحرر الوجيز ، قال (وقوله ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ أي لست بأخذكم ولا بد بالإيمان وإنما أنا مبلغ ، وهذه الآية منسوخة بالقتال)^(٢).

وقوله (منسوخة بالقتال) أعم من النسخ بآية السيف .

السابع : في تفسير البغوي عن ابن عباس قال (نسختها آية القتال)^(٣).

والمراد من آية القتال هي آية السيف ، سميت آية القتال لقوله تعالى ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾^(٤).

الثامن : تفسير الخازن وفيه (وقال ابن عباس : هذه الآية منسوخة بآية السيف)^(٥).

التاسع : تفسير مقاتل بن سليمان الأزدي بالولاء (ت ١٥٠ هجرية) قال ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾^(٦) نسختها آية السيف^(٧).

(١) ابن جزى / التسهيل لعلوم التنزيل ٤٩١/١ .

(٢) المحرر الوجيز ٣/٣٩٥ .

(٣) تفسير البغوي ٤/١٥٥ .

(٤) سورة التوبة ٥ .

(٥) تفسير الخازن ٣/٤٣٣ .

(٦) سورة يونس ١٠٨ .

(٧) تفسير مقاتل ٢/١١٣ .

وتبين آية البحث قانون الدنيا دار اختبار واختيار ، وقانون نفع الهداية للذات والغير ، إذ أن الله ﴿غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

الجزاء بيد الله

لقد نهى الله عز وجل الناس عن المن على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند دخول الإسلام وليبان أن النبي ليس عليه الجزاء والثواب إنما هو مبلغ وهاد ، أما الجزاء فالله وحده هو المجازي الذي يقف الناس بين يديه يوم القيامة .

ويحتمل الجزاء في أوانه وجوهاً :

الأول : في الحياة الدنيا .

الثاني : في عالم الآخرة .

الثالث : في الدنيا والآخرة .

والصحيح هو الأخير أعلاه ، وهو من مصاديق ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ

وَالْأُولَى﴾^(٢).

وهل يمكن القول بقانون آيات القرآن من الجزاء الإلهي ، الجواب نعم ، سواء في دلالة الآية القرآنية أم ما فيها من البشارة والإنذار ، والوعد والوعيد.

وجاءت آية بصيغة الخطاب ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾^(٣) أما آية

البحث فجاءت بصيغة أما آية البحث فجاءت بصيغة المتكلم ، والأمر من أمر الله عز وجل إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله

(١) سورة آل عمران ٩٧.

(٢) سورة النجم ٢٥.

(٣) سورة الزمر ٤١.

وسلم بأن يبلغ المشركين بأنه ليس عليهم بوكيل أو حافظ أو قيم ،
ومثلها قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾^(١).

ومن دلائل سلامة هذه الآية من النسخ أن خطابات النبي محمد
صلى الله عليه وآله وسلم للناس متجددة لكل الأجيال بصيغة
الإنذار والوعيد ولغة الإحتجاج .

وجاء بيان وتفسير آية البحث بقوله تعالى ﴿وَأَنْ أتلُوا الْقُرْآنَ
فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ قُلُوبَنَا إِنَّمَا يَسْتَلِ
الْمُنذِرِينَ﴾^(٢).

والأمر في المقام لا ينحصر بالإنذار بل تأتي الآيات الأخرى
بالإخبار عن كون الله عز وجل الوكيل على الناس وهو الذي
يحصي أعمالهم ، والذي يتلى الذين كفروا ، قال تعالى ﴿يَحْسَبُ
الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾^(٣).

النداء النبوي العام

ابتدأت آية البحث بقوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ الذي ورد أربع
مرات في القرآن ، هي :

الأولى : مرة في سورة الأعراف .

الثانية والثالثة : مرتان في سورة يونس ، إحداهما آية البحث .

الرابعة : سورة الحج .

وكل سورة من هذه السور مكية نزلت قبل الهجرة في إنذار
للذين كفروا إذ كانوا مقيمين على عبادة الأوثان ، ليقى ذات النداء

(١) سورة الإسراء ٥٤.

(٢) سورة النمل ٩٢.

(٣) سورة القيامة ٣٦.

متجدداً كل يوم بين الناس إلى يوم القيامة ، وهو من أسرار تلاوة كل مسلم ومسلمة القرآن سبع عشرة مرة في اليوم والليلة في الصلاة اليومية الواجبة .

وهو من الشواهد العقائدية على سلامة هذه الآيات من النسخ ولتجتمع أمور :

الأول : قانون الحضور اليومي للقرآن بين الناس .

الثاني : قانون التجدد اليومي لبلاغات الإنذار .

الثالث : حضور نداءات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الأجيال المتعاقبة .

الرابع : قانون عموم النداءات النبوية وبلوغها للمسلم وغير المسلم .

الخامس : تقدير الآية : يا أيها الذين آمنوا قولوا للناس ﴿قَدْ

جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾^(١) .

ومن الدلائل على سلامة آية البحث من النسخ أن النبي محمداً لم يوكل على الناس ، ولا يقهرهم على الإيمان ، وليس هو حفيظ على الناس ، ولا يقدر على حفظ الناس وتوثيق أعمالهم إلا الله عز وجل وفي كل زمان ، وفيه رحمة بالناس ، فالله هو الرؤوف الرحيم ، فمضمون آية البحث ممتنع عن النسخ .

(١) سورة يونس ١٠٨ .

الآية التاسعة والستون : قوله تعالى ﴿وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾^(١).

هذه الآية هي الأخيرة من سورة يونس ، وتتمام الآية هو ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِيَّاكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾^(٢).

القائلون بنسخ هذه الآية

قال بأن الآية منسوخة كل من :

الأول : ابن سلامة في كتابه الناسخ والمنسوخ (قال نسخت بآية السيف)^(٣).

الثاني : الكرمي في كتابة الناسخ والمنسوخ ، قال منسوخة بآية السيف .
الثالث : النحاس في كتابه الناسخ والمنسوخ قال (فمذهب ابن زيد أنها منسوخة وإنما نسخ منها الصبر عليهم قال أنزل الله عز وجل بعد هذا الأمر بالجهاد والغلظة عليهم)^(٤).

الرابع : نسب ابن الجوزي نسخ هذه الآية إلى القليل ، إذ قال (واصبر حتى يحكم الله قيل نسختها آية السيف وليس بصحيح لأن الأمر بالصبر إلى غاية وما بعد الآية يخالف ما قبلها على ما بينا)^(٥).

لم يرد لفظ ﴿وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ في القرآن إلا في آية البحث ، وجاءت هذه الآية بعد آية قيل أنها منسوخة بآية السيف كما تقدم وهو قوله

(١) سورة يونس ١٠٩.

(٢) سورة يونس ١٠٩.

(٣) ابن سلامة / الناسخ والمنسوخ ١٧/١.

(٤) النحاس / الناسخ والمنسوخ ٥٢٩/١.

(٥) مصفى الناسخ والمنسوخ ٣٩/١.

تعالى ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِكِيلٍ﴾^(١) ، ولم يثبت توالي النسخ في آيات القرآن ، ولم يرد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما يدل على النسخ في المقام سواء في السنة القولية أو الفعلية أو التقريرية ، وعلى القول بالنسخ فإنه ينحصر بقوله تعالى ﴿وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ ولا دليل على ترك النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الصبر من وجوه :

الأول : قانون الملازمة بين الرسالة والصبر

الثاني : قانون **ملازمة الصبر للنبي** محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى مغادرته الحياة الدنيا .

الثالث : قانون أمر الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم تخفيف عنه وعن المسلمين والناس جميعاً ، وجاء النصر في ميدان المعركة بمدد وعون من عند الله عز وجل ، وفي معركة بدر قال تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢) لبيان أن التقوى والشكر لله واجب ، إنما يكون الصبر أزاء المشركين وعدم ابتدائهم بالقتال ، ومن مصاديق سلامة آية البحث من النسخ إمتناع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الإبتداء بقتال المشركين إلى آخر أيامه عندما قويت شوكة الإسلام وضعف ووهن المشركون ، وقل عددهم

فإن قيل هل فتح مكة عنوة ، الجواب لا ، إنما فتحت سلماً وبعد أن نقضت قريش بنود صلح الحديبية باعانتهم بني بكر على قبيلة خزاعة ، الآية بشارة قوله تعالى ﴿وَاصْبِرْ﴾ بشارة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين من جهات :

الأولى : تفضل الله بهداية الناس للإسلام

(١) سورة يونس ١٠٨ .

(٢) سورة آل عمران ١٢٣ .

الثانية : قانون لحوق الخزي بالذين كفروا

الثالثة : تعيين وظائف النبوة بالتبليغ والبشارة والإنذار .

الرابعة : قانون الملازمة بين الصبر والرسالة من عند الله .

الخامسة : قانون الصبر من وظائف النبوة ، وليس من نبي إلا وتحلى

بأسمى مراتب الصبر ، وتتجلى مدرسة الصبر في السنة النبوية بوضوح ، لذا فان صبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ممتنع عن النسخ ، سواء صبره مع المسلمين أو أهل الكتاب أو غيرهم .

والصبر النبوي فرع التوكل على الله والعلم بأن الله يفعل ما يريد ، وقانون الصبر النبوي تأديب من عند الله عز وجل .

وروي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، وقال أدبني ربي فأحسن تأديبي)^(١).

من وظائف الرسالة الخاتمة

لقد بعث الله عز وجل النبي محمداً ليعمل الناس بأحكام شريعته ، ولتبقى ثابتة إلى يوم القيامة ، ويبقى القرآن سالماً من التحريف والزيادة والنقصان ، وهذا البقاء من أبواب صلاح المجتمعات ، ومنع إتساع الفتن ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

وفي دعاء إبراهيم عليه السلام للمسلمين ورد في التنزيل ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣) إذ ذكر في هذه الآية وظائف الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم من وجوه :
الأول : تلاوة كلام الله عز وجل على الناس ، ومن إعجاز الآية نسبة الآيات إلى الله عز وجل .

(١) الطبرسي / مجمع البيان ٧٥/١٠ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٣) سورة البقرة ١٥٩ .

الثاني : تعليم المسلمين الكتاب ، ومع أن الكتاب هو القرآن فان هذه الآية تدل على أن النسبة بين الكتاب والقرآن عموم مطلق ، فالكتاب أعم ومنه مصاديق الوحي ، وتفسير آيات القرآن .

الثالث : تعليم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين السنة ، وبيان شرائع الإسلام وحدود الله في العبادات والمعاملات ﴿تَلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١).

الرابع : ارتقاء المسلمين في اكتساب المعارف الإلهية .
الخامس : تزكية وتطهير المسلمين من الذنوب والمعاصي ، وإصلاح مجتمع المسلمين باقامة الصلاة وأداء الفرائض العبادية .

ومن إعجاز القرآن إخباره عن إستجابة الله عز وجل لدعاء إبراهيم مع زيادة من فضل الله في تعليم المسلمين ، إذ قال تعالى ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

مصاديق صبر النبي

يتعدد موضوع صبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومصاديق قوله تعالى ﴿وَاصْبِرْ﴾ بما يدل على إمتناع الآية عن النسخ من وجوه :
الأول : الصبر في تبليغ الآيات ، وعدم الجزع أو الخوف من تكذيب المشركين .

الثاني : الصبر في أداء الفرائض العبادية ، ومن إعجاز القرآن ورود قوله تعالى ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ خطاباً وأمرأ إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مرتين في القرآن ، وبين موضوعهما عموم وخصوص مطلق ، أما العام

(١) سورة البقرة ٢٢٩.

(٢) سورة البقرة ١٥١.

فقوله تعالى ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾^(١)
وأما الخاص فهو ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾^(٢).

الثالث : ومن الصبر الصلاة ، وتعاهد أداؤها مع الأذى الذي يأتي من قريش بسببها (روي أن أبا جهل قال: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم، قال: فبالذي يحلف به لئن رأيتَه يفعل ذلك لاطأن على رقبتَه . فقيل له: ها هو ذلك يصلي، فانطلق ليطأ على رقبتَه فما فاجأهم إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه .

فقالوا : ما لك يا أبا الحكم ؟ قال: إن بيني وبينه خندقا من نار وهو لا وأجنحة، وقال نبي الله: والذي نفسي بيده لودنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا، فأنزل الله سبحانه ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾^(٣) إلى آخر (السورة)^(٤).

وقد صدر الجزء السابق وهو الثالث والسبعون بعد المائتين من هذا السفر بخصوص قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٥)، لبيان وجوه :

الأول : قانون الصبر من أركان الإيمان .

الثاني : قانون الصبر حاجة للمؤمنين مجتمعين ومتفرقين .

الثالث : الأجر والثواب على الصبر في طاعة الله ، والإمساك والتنزه عن المعاصي والسيئات .

(١) سورة مريم ٦٥ .

(٢) سورة طه ١٣٢ .

(٣) سورة العلق ٩ .

(٤) البحار ١٧١/٩ .

(٥) سورة آل عمران ٢٠٠ .

وعن السائب بن خلال الخزرجي الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (قال : ما من شيء يصيب المؤمن حتى الشوكة تصيبه إلا كتب الله له بها حسنة وحط عنه بها خطيئة)^(١).

ويمكن القول بقانون من الإرادة التكوينية بلزوم تحلي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين بالصبر ، وفيه عذوبة وحلاوة الطاعة لله عز وجل ، قال تعالى ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(٢).

بشارة الهجرة

هل هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الصبر ، الجواب نعم ، ليكون نزول آية البحث ﴿وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ﴾^(٣) إخبار سماوي ووعد من عند الله عز وجل بأن الهجرة من مكة واقعة ، كما جاءت هذه البشارة في بداية البعثة باخبار من ورقة بن نوفل .

ليبان ملازمة البشارة بالهجرة لبدايات الوحي ، وفيه إعانة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة وبيان منهج الدعوة إلى الله وسبل النجاة من القوم الكافرين .

فعندما نزل جبرئيل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في غار حراء الذي كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتحنث فيه فضمه على نحو متكرر وبشدة وهو يقول له ﴿اقْرَأْ﴾ ثم قال ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ

(١) الدر المنثور ٣/ ٢٥٨ .

(٢) سورة البقرة ٤٥ .

(٣) سورة يونس ١٠٩ .

الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿١﴾^(١) فارتجف قلب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصابه الفزع وهيبة وشدة وطأة الوحي .

فرجع إلى البيت مسرعاً ودخل على خديجة وهو يقول زملوني زملوني (أي غطوني) ولما هدا روعه أخبر خديجة بالآية والمعجزة التي حدثت له ، فأثنت عليه وبشرفته بخير وقالت له (كلا، والله لا يخزيك الله أبداً .

إنك لتصل الرحم وتقرى الضيف، وتحمل الكّل ، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق)^(٢) .

ومعنى تقرى الضيف أي تكرمه وتحسن ضيافته وقراه .

ومعنى تحمل الكّل أي تعطي صاحب العيلة ما يخفف عنه مؤونة عياله .
وتكسب المعدوم أي تبادر إلى إعطاء وإعانة الفقير قبل غيرك .

ومعنى تعين على نوائب الحق مما يصيب الناس من البلاء أو الفاقة أو المصيبة ، وفي رواية على نوائب الخير .

وذهبت مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى ابن عمها ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، وقد دخل في النصرانية ، ويكتب الإنجيل بالعبرانية ، وصار شيخاً كبيراً قد عمى .

وسأله أن يستمع لما يقوله النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مما رأى .

فأخبره النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بنزول جبرئيل عليه وتلاوته القرآن .

فقال ورقة (هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى ، يا ليتني أكون فيها جذعاً ، يا ليتني أكون فيها حياً إذ يخرجك قومك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أو مخرجي هم؟ قال : نعم .

(١) سورة العلق ١-٥ .

(٢) ابن كثير / السيرة النبوية ٣٨٦/١ .

لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً . ثم لم ينشب ورقة أن توفي^(١) .
 ليكون قول ورقة بن نوفل دعوة كتابية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للإستعداد للهجرة ، لذا كان يتصل مع وفود القبائل عند قدومهم إلى مكة في موسم الحج يسألهم إيواؤه وحمايته من بطش قريش إلى أن من الله عليه بوفد أهل يثرب من الأوس والخزرج .

الصبر وبيعة العقبة

لقد كانت بيعة العقبة الأولى والثانية في منى نتيجة لصبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجهاده بالحكمة والموعظة الحسنة واجتنابه القتال وبعث الحمية في النفوس .

ومن المدد السماوي للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم طيلة أيام نبوته قانون كل آية من القرآن سلاح يغني عن السيف .

لقد اجتمع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم باثني عشر رجلاً من يثرب عند العقبة خلف جمرة العقبة الكبرى في منى ، والذي أنشئ عليه مسجد سنة ١٤٤ هجرية ، ويسمى مسجد العقبة ، لتتجلى من الصبر والهجرة معاني استدامة مضامين آية البحث وسلامتها من النسخ .

وجمعت آية البحث بين الوحي والأمر بالصبر وبين انتظار حكم الله بقوله تعالى ﴿ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾^(٢) .

ليبان أن كل فرد منها دعوة سماوية للصبر من جهات :
الأولى : اتباع الوحي والذي ينزل تباعاً ويتضمن الأمر والنهي ،
 والبشارة والتنبيه .

(١) الدر المنثور ١٠/٢٨٩ .

(٢) سورة يونس ١٠٩ .

الثانية : الأمر الصريح بالصبر على نحو الإطلاق في العبادات والمعاملات.

الثالثة : إنتظار حكم الله وفيه العدل والرحمة وإعلاء كلمة التوحيد ، وذات هذا الإنتظار صبر وفيه الأجر والثواب .

حكم الله خير حكم

أختتمت الآية بقوله تعالى ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ ومن الإعجاز أن هذه الجملة هي أيضاً خاتمة لسورة يونس ، لتغشى آيات ومضامين السورة كلها ، وفيه وجوه :

الأول : قانون الحكم المطلق في الدنيا والآخرة لله عز وجل .

الثاني : قانون حكم الله هو خير حكم .

الثالث : قانون نفاذ حكم الله في المجتمعات .

الرابع : قانون خزي الذين كفروا حتم لأنه من حكم الله .

الخامس : مقاليد الأمور بيد الله عز وجل وحده .

وقد ورد ﴿حُكْمَ اللَّهِ﴾ ثلاث مرات في القرآن وهي :

الأولى : قال تعالى ﴿فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾^(١)

في سورة الأعراف في وعيد للذين كفروا من مدين قوم شعيب .

الثانية : آية البحث خطاب من الله عز وجل إلى النبي محمد صلى الله

عليه وآله وسلم .

الثالثة : في يوسف عليه السلام وإمتناع أخيه من الرجوع مع إخوته إلى

أبيه حتى يأذن له أبوه أو يتجلى الحق بفضل من الله مواساة له ، كما ورد

في التنزيل ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ

(١) سورة الأعراف ٨٧.

خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١﴾ لبيان قانون اختتام الوقائع بحكم الله ، وقانون حكم الله هو الأتقن ، وخير حكم للحاضر والغايب والذي لم يولد بعد .

الله هو الحاكم

تبعث نسبة الحكم بين الناس وفي عواقب الأمور إلى الله عز وجل السكينة في النفوس ، وتتجلى هذه النسبة بالقرآن والسنة ، إذ يتبين حكم الله عز وجل بما أنزل من آيات القرآن ، وما ورد في السنة القولية والفعلية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنها شعبة من الوحي .

(وعن ابن هانئ : أن هائثا لما وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع قومه فسمعهم يكتنون هائثا أبا الحكم ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فقال : إن الله هو الحكم وإليه الحكم ، فلم تكنى أبا الحكم ؟ ، قال : قومي إذا اختلفوا في شيء رضوا بي حكما فأحكم بينهم .

فقال : إن ذلك لحسن ، فما لك من الولد ؟ ، قال شريح ، وعبد الله ، ومسلم ، قال : فأيهم أكبر ؟ ، قال : شريح ، قال : فأنت أبو شريح فدعا له ولولده ، فلما أراد القوم الرجوع إلى بلادهم ، أعطى كل رجل منهم أرضا حيث أحب في بلاده .

قال أبو شريح : يا رسول الله ، أخبرني بشيء يوجب لي الجنة ، قال : طيب الكلام ، وبذل السلام ، وإطعام الطعام) (٢).

فلم يذكر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الجهاد والقتال طريقاً إلى الجنة بل ذكر مصاديق من السلم والسلام مما يدل على أن آيات السلم والموادعة محكمة غير منسوخة .

(١) سورة يوسف ٨٠.

(٢) صحيح ابن حبان ١/٣.

والظاهر أن الحديث في السنين الأخيرة من أيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا حيث قوة الإسلام ، والحديث لا يمنع من ورود آيات وأحاديث تدل على أن الجهاد والمرابطة طريق إلى الجنة أيضاً .

ليكون من معاني الصبر حتى يحكم الله عز وجل وجوه :

الأول : الصبر حتى النصر على الذين كفروا .

الثاني : الصبر حتى دخول الناس في الإسلام ، فهذا الدخول من حكم

الله ، قال تعالى ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (١) .

الثالث : قانون الصبر تخفيف لأن التعجل لا يغير من حكم الله وأوانه .

الرابع : خاتمة آية البحث بشارة باخبارهم بأن الله خير الحاكمين ، فهو

الذي لا يرضى للمشركين الرفعة ، واستمرار النعم ، لذا قال تعالى ﴿ لَا يَغْنَأُكَ

تَقْلُبُ الدِّينِ كَفْرًا فِي الْبِلَادِ ﴾ (٢) ، وقد أخبرت الآية التي بعدها بقرب زوال

النعم عنهم بقوله تعالى ﴿ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وُبُسٌّ الْمَهَادُ ﴾ (٣) .

الصبر أمر وجودي

الصبر لغة هو الحبس والإمساك المقيد بالضيق والشدة ، وهو في

الإصلاح حبس النفس على ما يقتضيه الشرع والعقل ، وعن الجزع

والسخط ، ومنه أيضاً حبس اللسان عن الشكوى .

وهل الصبر أمر وجودي أو أمر عدمي ، الجواب هو الأول ، وهو الذي

تدل عليه آية البحث بقوله تعالى ﴿ وَأَصْبِرْ ﴾ لبيان حاجة الصبر إلى النية والعزم

وحبس الجوارح من اللسان واليدين والرجلين وسميت الجوارح عامة لأنها

(١) سورة النصر ١-٣ .

(٢) سورة آل عمران ١٩٦ .

(٣) سورة آل عمران ١٩٧ .

تكسب الخير والشر لما فيه مرضاة الله الذي جاء مطلقاً ، وقد يكون مقيداً بقيد حسن كما في قوله تعالى مخاطباً النبي محمداً ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾^(١) وقال تعالى ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا لِأُولِي الْأَعْزَمِ﴾^(٢) لتأتي آية أخرى تبين الصبر الجميل بسيرة يعقوب عليه السلام بقوله تعالى ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾^(٣) .
وعن التابعي (حبان بن أبي جيلة)^(٤) : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن قوله (فصبر جميل) قال: صبر لا شكوى فيه)^(٥) .
وهناك مسألتان :

الأولى : هل يقيد صبر النبي في آية البحث ويكون تقديره : واصبر صبراً جميلاً ، الجواب نعم .

الثانية : هل يشمل هذا القيد المسلمين ، ويكون تقدير الآية واصبروا صبراً جميلاً ، الجواب نعم ، لبيان قانون (المؤمنون ورثة الأنبياء بالصبر الجميل).

إن تكرار الأمر من الله عز وجل بالصبر شاهد على قانون الصبر أمر وجودي يستلزم النية وحبس وتسخير الجوارح في طاعة الله ، والتقرب إليه ، وفيه الأجر والثواب ، قال تعالى ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾^(٦) .

(١) سورة المعارج ٥ .

(٢) سورة الأحقاف ٣٥ .

(٣) سورة يوسف ١٨ .

(٤) دفن في مدينة قرقشوفة في جنوب فرنسا ، وتسمى بالفرنسية (car cassonne) بعد خروجه مع جيش موسى بن نصير ، وتقع هذه المدينة على نهر الأود ، وتتصف بمحصن عظيم من القرون الوسطى .

(٥) تفسير الطبري ٥٨٥/١٥ .

(٦) سورة النحل ١٢٧ .

ومعلوم أن آيات الصبر محكمة غير منسوخة سواء التي توجهت إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتلحق به الأمة ، أو التي توجهت إلى المسلمين إذ ورد قوله تعالى ﴿اصْبِرُوا﴾ ست مرات ، منها اثنان بخصوص المسلمين ، وهما :

الأولى : قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١).

الثانية : قوله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢).

شواهد على إحكام الآية

من الشواهد على أن آية البحث محكمة غير منسوخة صبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومنها :

الأول : تحمل الأذى الشديد من الذين كفروا .

الثاني : مواظبة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الدعوة إلى الله عز وجل ، وتبليغ آيات وسور القرآن إلى الناس مع شدة حصار قريش الإجتماعي والإقتصادي على بني هاشم من أول السنة السابعة إلى السنة العاشرة للهجرة .

الثالث : لم يكتف النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعدم الشكوى إلى الناس إنما أخبر الناس ومنهم أعداء الإسلام بأمور :

الأول : اتباع الوحي من عند الله ، وهذا الوحي فوق تفكير وتدبر الناس ، وفي التنزيل ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

(١) سورة آل عمران ٢٠٠.

(٢) سورة الأنفال ٤٦.

(٣) سورة البقرة ٢١٦.

الثاني : بعث الخوف والرعب في قلوب الذين كفروا لما يأتي به الوحي .
الثالث : تحلي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر وتحمل الأذى ، وهذا الصبر من رشحات الوحي ، لبيان قانون الوحي رحمة عامة ، وفيه إمهال للذين كفروا .

الرابع : بيان قانون الصبر محدود ، وليس إلى ما لا نهاية ، ولا يعلم حد الصبر إلا الله عز وجل ، فقد أمر الله عز وجل به وهو الذي يبين انقضاء مدته بحكم منه تعالى .

الخامس : قانون النصر مع الصبر ، وورد هذا القانون في حديث (عن ابن عباس قال : أهدي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بغلة أهداها له كسرى فركبها جهل بن شعر ثم أردفني خلفه وسار بي ملياً ثم احتتالي . وقال لي : يا غلام ، قلت : لبيك يا رسول الله .

قال : إحفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، وإذا سألت فأسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله قد مضى القلم بما هو كائن فلو عمل الخلائق أن ينفعوك بما لم يقض الله لك .

لما قدروا عليه ولو جهدوا أن ينصروك بما لم يكتب الله عليك ما قدروا عليه فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل ، فإن لم تستطيع فاصبر فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً واعلم أن النصر مع الصبر فإن مع الكرب الفرج وإن مع العسر يسراً^(١) .

انتظار حكم الله

يتطلع الناس على مختلف مذاهبهم إلى فضل الله عز وجل في مجئ الخير ، وصرف البلاء والكرب ، وتوجهت الأوامر من الله عز وجل إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر لبناء دولة الحق ، وهداية الناس لسبيل الإيمان ، ودحر الكافرين ومفاهيم الضلالة .

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ٢٠٥/٥ .

وهل يعني انتظار حكم الله على نسخ الآية الجواب لا ، فله عز وجل حكم في كل واقعة ، وفي كل يوم ، وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(١) قال : من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً^(٢).

لقد ورد قوله تعالى ﴿اصْبِرْ﴾ تسع عشرة مرة ، وكلها موجهة من الله عز وجل إلى النبي محمد مع تعدد موضوع الصبر للدلالة على وجوه :

الأول : قانون موضوعية الصبر في تأريخ النبوة .

الثاني : قانون انفراد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأعلى مراتب الصبر .

الثالث : قانون الحاجة الخاصة والعامة إلى الصبر ، ومن مصاديق سلامة آية البحث من النسخ مجئ الأمر بالصبر بعد وجوب اتباع الوحي وقبل انتظار حكم الله عز وجل .

وقد ورد قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ مرتين في القرآن ، ووردت الآية الأخرى بخصوص شعيب إذ أمر قومه الذين كذبوا برسالته بالصبر ولغة الإنذار ، قال تعالى ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾^(٣) لبيان تسالم وتوارث الأنبياء القول بأن الله ﴿خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ ومن مصاديق حكم الله وجوه :

الأول : إزاحة الكفر .

الثاني : رمي الذين كفروا بالضعف والوهن .

الثالث : إعلاء كلمة التوحيد .

(١) سورة الرحمن ٢٩ .

(٢) الدر المنثور ٣٦١/٩ .

(٣) سورة الأعراف ٨٧ .

الرابع : الفصل بين الناس بهزيمة الكفر.

الخامس : صبر الله فرع ملكه المطلق للسماوات والأرض ، قال تعالى ﴿وَلَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١).

السادس : الإخبار عن تنجز وتحقيق أمر الله عز وجل ، وفي التنزيل ﴿لَا مُعْتَبِرَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٢) وتدل خاتمة الآية على عدم إبطاء أمر الله.

السابع : تفويض الأمور لله عز وجل ، وهو الذي يقضي بالحق بين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمشركون ، فمن خصائص آية البحث أنها إنذار ووعيد للذين كفروا .

استدامة إنذار الكافرين

استدامة الإنذار الإلهي للذين كفروا من الإرادة التكوينية ، لذا فآياته غير قابلة للنسخ ، لبيان أن سلامة آية البحث من النسخ لا تختص بقوله تعالى ﴿اصْبِرْ﴾ بل تشمل مضامين الآية كلها.

وقد ورد في خطاب النبي شعيب لقومه ﴿يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَيَّ مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾^(٤).

وذكر أن معنى ﴿وَارْتَبُوا﴾ انتظروا العاقبة ، والمعنى أخص من الانتظار لإفادته الإنتظار مع الوعيد والتهديد وحثمية نزول العذاب بالذين كفروا.

(١) سورة آل عمران ١٨٩.

(٢) أنظر الجزء السادس والعشرين بعد المائتين من هذا السفر الذي اخص بتفسير هذه الآية الكريمة .

(٣) سورة الرعد ٤١.

(٤) سورة هود ٩٣.

وقد ابتلاهم الله عز وجل بأنواع من البلاء والعذاب الشديد لإعراضهم عن دعوة شعيب لهم للإسلام ونقصهم الميزان ، والإساءة للناس ، وقال تعالى ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾^(١) ، وقال تعالى ﴿ فَأَخَذَهُمُ عَذَابٌ يَوْمِ الظَّلَّةِ ﴾^(٢) .

و(عن قتادة قوله ﴿ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ﴾^(٣) ذكر لنا أنهم كانوا أهل غيضة. وكان عامة شجرهم هذا الدوم. وكان رسولهم فيما بلغنا شعيب صلى الله عليه وآله وسلم، أرسل إليهم وإلى أهل مدين، أرسل إلى أمتين من الناس، وعذبنا بعداين شتى .

أما أهل مدين، فأخذتهم الصيحة ، وأما أصحاب الأيكة، فكانوا أهل شجر متكوس ، ذكر لنا أنه سلط عليهم الحرّ سبعة أيام، لا يظللهم منه ظل ، ولا يمنعهم منه شيء .

فبعث الله عليهم سحابة، فحلّوا تحتها يلتمسون الرّوح فيها ، فجعلها الله عليهم عذابا، بعث عليهم نارا فاضطرت عليهم فأكلتهم ، فذلك عذاب يوم الظلّة، إنه كان عذاب يوم عظيم)^(٤) .

ليان ملاقاته الأنبياء السابقين الأذى من قومهم ، فاخبروهم بأن عذاب الله نازل بالذين كفروا.

وقال تعالى ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدُعَايِنِ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾^(٥) .

(١) سورة العنكبوت ٣٧ .

(٢) سورة الشعراء ١٨٩ .

(٣) سورة الحجر ٧٨ .

(٤) تفسير الطبري ١٧/١٢٤ .

(٥) سورة الأحقاف ٩ .

ليكون من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) انتفاع الناس من قصص الأنبياء الواردة من القرآن ، وما فيها من البشارة والإنذار ، وشواهد سلامة القرآن من التحريف .

ومن دلائل هذه السلامة تجدد بشارات وإنذارات ومواعظ القرآن كل يوم وتوجهها للناس جميعاً ، وهو من أسرار تلاوة كل مسلم ومسلمة القرآن كل يوم على نحو الوجوب العيني في الصلاة ، وكأن المسلم والمسلمة يندران الناس يومياً بما حلّ بقوم نوح وشعيب ولوط من عذاب الإستئصال.

الآية السبعون : قوله تعالى ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢).

القائلون بنسخ هذه الآية

ذكر أن الآية منسوخة كل من :

الأول : ابن سلامة في الناسخ والمنسوخ وأنها (نسخت بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ والظلم ههنا الشرك)^(٣).

الثاني : ابن حزم في الناسخ والمنسوخ ، وقال (وناسخها قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ والظلم ههنا الشرك)^(٤).

الثالث : نسب الكرمي في كتابه الناسخ والمنسوخ نسخ هذه الآية إلى الضحاك ، والذي قال بأنها منسوخة بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ

بِهِ﴾.

وتحتمل الآية في تفسيرها وجوهاً :

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) سورة الرعد ٦.

(٣) ابن سلامة / الناسخ والمنسوخ ١٧/١.

(٤) ابن حزم / الناسخ والمنسوخ ٤٢/١ .

الأول : إمهال وستر الناس في الدنيا ، ومنهم الذين كفروا والفاسقون والعصاة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(١) بفتح صفحة جديدة للناس في كل يوم مع توثيق أعمالهم .

و(عن ابن عباس ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢)) قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : لولا عفو الله وتجاوزه ، ما هنا لأحد العيش ، ولولا وعيده ، وعقابه ، لا تكل كل أحد^(٣) .

الثاني : الإمهال من عند الله للناس ، وتوالي الرزق الكريم ، وعدم حجب ظلمهم لأنفسهم فضل الله عليهم .

الثالث : العفو والمغفرة من الله عز وجل لمن تاب .

الرابع : المراد ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ معناه في الآخرة ، قاله الطبري^(٤) .

ولا تعارض بين هذه الوجوه ، وكلها من مصاديق آية البحث .
قال مجاهد والذي عليه الأكثر أنها محكمة .

شمول رحمة الله للخلائق

وتحتل الآية وجهين :

الأول : التخصيص : وأن الله عز وجل يغفر للناس على ظلمهم وتعديهم إلا الشرك ، والنسبة بين الظلم والشرك عموم وخصوص مطلق ، فالظلم أعم وهو على مراتب متفاوتة وأشدّها الشرك بالله ، قال تعالى

(١) سورة الرحمن ٢٩ .

(٢) سورة الرعد ٦ .

(٣) الدر المنثور ٥/٤٧٥ .

(٤) المحرر الوجيز ٤/٦٢ .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيُغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾^(١).

الثاني : الآية محكمة وغير منسوخة : لبيان فضل الله عز وجل على الناس وسعة رحمته ، قال تعالى ﴿كَبُرَ بِكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾^(٢).

وعن سلمان المحمدي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (قال : خلق الله يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة ، منها رحمة يتراحم بها الخلق وتسع وتسعون ليوم القيامة ، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة)^(٣). لقد جمعت الآية بين الوعد والوعيد للإنذار من التمادي في الظلم ، وليبيان أن امهال الله عز وجل للعبد لا يعني تركه وشأنه .

ومن معاني الظلم ظلم الإنسان لنفسه بارتكاب المعاصي سواء الخاصة كالسرقة ، أو التي تستلزم المفاعلة كالزنا والربا ، ومنه ظلم الإنسان لإخوانه والتعدي على حقوق الآخرين وأموالهم وأعراضهم ، ومنها مجاوزة حدّ الشرع.

(و) عن عبد الله بن مسعود قال : قلت يا رسول الله أيّ الذنب أعظم .

قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك . قلت : ثم أي .

قال : أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك ، قلت : ثم أي .

قال : أن ترى حليلة جارك ، فأنزل الله سبحانه تصديق ذلك ﴿وَالَّذِينَ

لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾^(٤)(٥).

(١) سورة النساء ٤٨.

(٢) سورة الأنعام ٥٤.

(٣) الدر المنثور ٣٦/٤.

(٤) سورة الفرقان ٦٨.

(٥) الثعلبي / الكشف والبيان ٤٠١/٩.

والقرآن كتاب الرحمة في مضامين آياته وفي أوامره ونواهيه وفي ماهية رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) ومن هذه الرحمة هداية الناس للإيمان ، ومحاربة الشرك ، واستئصال الكفر وعبادة الأوثان في الجزيرة.

ومنه قيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالإخبار والبشارة بمصاديق من رحمة الله بما يفوق طمع العباد ، ولا تختص رحمة الله بالناس بعالم الآخرة بل هي متجددة كل يوم يجلب المنافع ، ودفع المفاسد والضرر. (وعن قتادة قال : ذكر لنا أن لقمان كان يقول : يا بني إياك والزنا فإن أوله مخافة وآخره ندامة)^(٢).

والمغفرة من عند الله رحمة بذاتها ، وهي مقدمة ونوع طريق لمصاديق أخرى من الرحمة ، وإزاحة لموانع تحول دون كسب المنافع والرزق الكريم ، لبيان وجوه :

الأول : قانون المغفرة حاجة متجددة للناس ، للفرد والجماعة .

الثاني : فضل الله في تجدد المغفرة من الله على تجدد الظلم من الناس.

الثالث : قانون تفرغ النعم عن المغفرة ، فذات المغفرة نعمة عظيمة ، وتتفرغ عنها نعم عظيمة ، وهي باب للهداية لذا فأية البحث نعمة وحاجة ، وفيها مصلحة للمسلمين وغيرهم فهي محكمة غير منسوخة .

وأية البحث من مصاديق رحمة الله العامة بالناس جميعاً ، ومنها إمهال الناس ، وهذا الإمهال مناسبة لتدبر الناس في المعجزات مع تفضل الله عز وجل بتقريبهم إلى سبل التوبة ، وتقريبها إليهم .

وهل سعة رحمة الله والآيات التي تدل عليها شاهد على سلامة آيات السلم والصلح والموادعة من النسخ بأية السيف ، الجواب نعم .

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ٤٠٢/٩ .

الإسلام والخلق الحميد

لقد كان خلق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو القرآن ، فكانت سنته مرآة لأحكام وسنن القرآن.

وقد أثنى الله عز وجل على سجاياه وقريحته ، وملكته الحميدة ، فقال ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

وقد دعا الأنبياء السابقون إلى الأخلاق الحميدة ، وحثوا قومهم على نبذ الأخلاق المذمومة ، وحينما أُنذر النبي هود قومه عاد من عذاب يوم عظيم أجابوه باعراض وتحد ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ * إِنِ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾^(٢).

لينزل بهم العذاب الأليم ، أما النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد بعثه الله بالأخلاق الحميدة ، وفيه وجوه :

الأول : قانون اقتداء المسلمين بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ

وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٣).

الثاني : قانون الملازمة بين الرسالة الخاتمة وسيادة الأخلاق الحميدة.

الثالث : قانون السنة النبوية تأديب وتعليم .

الرابع : قانون تعضيد السنة النبوية للقرآن في تهذيب الأخلاق .

الخامس : قانون الأخلاق الحميدة نوع طريق ومقدمة لإقامة الفرائض .

السادس : قانون الملازمة بين الأخلاق الحميدة والسلم المجتمعي.

(١) سورة القلم ٤.

(٢) سورة الشعراء ١٣٦-١٣٨.

(٣) سورة الأحزاب ٢١.

السابع : من الأخلاق الحميدة التنزه عن التعدي والظلم وتجاوز الحد في الحقوق .

وقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)^(١).

لتكون الشريعة الإسلامية شريعة الخلق الحسن وكمال الأخلاق السامية وهو من مصاديق بقائها إلى يوم القيامة .

ومن مكارم الأخلاق النفرة من سفك الدماء ، وعندما أخبر الله عز

وجل الملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا

وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢)

فانهم تضرعوا إلى الله عز وجل بامتناع الفساد وسفك الدماء في الأرض ،

فأجابهم الله عز وجل ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فالدنيا دار ابتلاء واختبار

وأن المؤمنين الذين يعملون الصالحات يفوزون بالخلود في النعيم .

ومن علم الله عز وجل فتح باب التوبة للناس ، وتقريبها منهم ، وهل

تدل الآية أعلاه على سلامة آيات السلم والصلح والمواذعة من النسخ ،

المختار نعم ، لأن هذه الآيات رحمة عامة بالناس ، ومناسبة لإتصاف الدنيا

بالبهجة .

ومن علم الله عز وجل بعث الأنبياء لمحاربة الفساد في الأرض وللمنع

من القتل وسفك الدماء .

فان قلت قد ورد قوله تعالى ﴿وَكَايِنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتِلٍ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ

فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^{(٣)(٤)}.

(١) المحرر الوجيز ٦/٣٩٤.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة آل عمران ١٤٦.

(٤) أنظر الجزء الثامن عشر بعد المائة من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه الآية

والجواب كان قتال الأنبياء دفاعاً واضطراراً ولإزاحة الفساد وأشدّ ضروبه وهو الشرك بالله .

وكان قتال الأنبياء لوقف القتال ، ومنع سفك الدماء .
وقد صدرت لي ثلاثون جزءاً من هذا السفر بخصوص قانون (لم يغز النبي محمد (ص) أحداً) وهي :

(١٦٤-١٦٥-١٦٦-١٦٨-١٦٩-

١٧٠-١٧١-١٧٢-١٧٤-١٧٦-

١٧٧-١٧٨-١٨٠-١٨١-١٨٢-

١٨٣-١٨٧-١٩٣-١٩٤-١٩٦-

٢٠٤-٢١٢-٢١٦-٢٢١-٢٢٩-

٢٣٩-٢٥٦-٢٦١-٢٦٦-٢٧١).

قانون فتح مكة تنزيه

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم تمر ثماني سنوات على الهجرة النبوية حتى تم فتح مكة ودخل الناس في الإسلام أفواجاً وتنزهت الجزيرة عن أمور منها :

الأول : الغزو بين القبائل .

الثاني : الغارة والنهب والسلب .

الثالث : الثأر وقتل غير القاتل ، والزجر من عمومات قوله تعالى ﴿وَلَا

تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(١).

الرابع : انقطاع ظاهرة الوأد بآية قرآنية واحدة ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ *

بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾^(١).

الكريمة .

(١) سورة الأنعام ١٦٤.

الخامس : عبادة الأوثان والشرك ومفاهيم الضلالة وشرب الخمر والقمار والإستقسام بالأزلام ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٢).

السادس : امتناع الناس عن قطع الطرق ، وإخافة الطريق .
إذ جاء الإسلام بجرمة الحرابة وإرهاب المارة وترويع السائرين بالجماعة العامة مع شدة عقوبة الحرابة ، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ حِزْبٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^(٣).

السابع : العادات والأخلاق المذمومة كالسرقة والربا والزنا إذ كانت عواهر ترفع الرايات في الجاهلية .

ومن إعجاز القرآن إصلاحه للمجتمعات ، وورود آيات في النهي عن القبائح والفواحش على نحو التعيين ، كما وردت آيات عامة في حرمتها منها قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ ﴾^(٤) ، وقد سمي الله عز وجل الخمر بأنه اثم كبير في قوله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾^(٥).

(١) سورة التكوير ٨-٩.

(٢) سورة المائدة ٩٠.

(٣) سورة المائدة ٣٣.

(٤) سورة الأعراف ٣٣.

(٥) سورة البقرة ٢١٩.

الثامن : بناء دولة الإسلام ، وتثبيت أركان الحكم بالكتاب والسنة .
ومن الإعجاز في الآية أعلاه تكرار كلمة (يسألونك) مرتين مع تعدد
الموضوع من بين ورود خمس عشرة مرة لكلمة (يسألونك) في القرآن .

كراهية اسم حرب ونحوه

مع أن الاسم غير المسمى ، والمدار على عالم المسمى ، فقد رغب النبي
محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالأسماء الحسنة ونهى عن الأسماء القبيحة
والتي تدل على الحرب والقتال .

فأكد على اختيار أسماء العبودية لله عز وجل وأسماء الأنبياء ، وقد
سمى ابنه (إبراهيم) وقال (وَلِدَ لِي اللَّيْلَةَ مَوْلُودٌ ، فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي
إِبْرَاهِيمَ) (١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم (إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم
وأسماء آبائكم فأحسنوا أسمائكم) (٢) .

وقام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بتغيير أسماء عدد من
الصحابة رجالاً ونساءً بترك الأسماء القبيحة نحو الاسم الحسن والأحسن .
وسأل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم جد سعيد بن المسيب قال :
ما اسمك ، قال : حزن ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أنت سهل .
(وَقَالَ : السَّهْلُ يُوطَأُ وَيُمْتَهَنُ) (٣) أي أنه أبى تبديل اسمه .
قال سعيد بن المسيب (فَطَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُصِيبُنَا بَعْدَهُ حَزُونَةٌ .

قَالَ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْمَ الْعَاصِ وَعَزِيزٍ
وَعَتْلَةَ وَشَيْطَانَ وَالْحَكْمَ وَغُرَابَ وَحَبَابَ وَشَهَابَ فَسَمَاهُ هَشَامًا وَسَمَى حَرْبًا
سَلْمًا وَسَمَى الْمُضْطَجِعَ الْمُنْبَعِثَ ، وَأَرْضًا تَسْمَى عَفْرَةَ سَمَاهَا خَضِرَةٌ .

(١) تفسير الثعالبي ١/٢٠٣ .

(٢) تفسير القرطبي ١٠/٢٤٠ .

(٣) زاد المعاد ٢/٣٠٥ .

وَشَعْبَ الضَّلَالَةِ سَمَاءُ شَعْبِ الْهُدَى وَبَنُو الزَّيْنَةِ سَمَاهُمْ بَنِي الرُّشْدَةِ
وَسَمَى بَنِي مَغْوِيَةَ بَنِي رَشْدَةَ .

قال أبو داود تركت أسانيدها للاختصار^(١).

ويبين الحديث أعلاه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدل اسم حرب
الى اسم سلم ، ليوافق الأسماء المسميات في القرآن وتنعكس على سلوك
وسيرة المسلمين ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(٢).

ومن الإعجاز في الآية أعلاه بيان التضاد بين السلم واتباع الشيطان ،
وفيه مسائل :

الأولى : قانون السلم المجتمعي العام حاجة للناس .

الثانية : قانون القرآن كتاب السلم .

الثالثة : ترك السلم حسرة وندامة .

الرابعة : من عداوة الشيطان للمسلمين بث الفرقة والشقاق بينهم ،
واشعال الفتن والمعارك بينهم ، سواء تلك التي تكون على نحو القضية
الشخصية أو القبلية أو المذهبية أو البلدية .

الخامسة : قانون الملازمة بين الإيمان والسلم .

السادسة : قانون الإسلام دين السلم والأمن العام .

أواصر المودة والتألف

لقد أولى الكتاب والسنة عناية خاصة بالأحوال الإجتماعية ، والشؤون
اليومية للناس ، وما من مسألة في السلوك صغيرة أو كبيرة إلا وتجدها بياناً
ودعوة للكيفية الأحسن لها ، ومنها آداب المجالس والمناجاة والجدال
والمعاملة ولزوم التحلي بالصدق والأمن ونشر مفاهيم السلم فيها ، قال

(١) سنن أبي داود ٤/٤٤٤ .

(٢) سورة البقرة ٢٠٨ .

تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١).

ليبيان قانون الإكرام على الإيمان ، فقيراً كان المسلم أو غنياً .

وفي سبب نزول الآية أعلاه وجوه منها ما ورد (عن عكرمة قال : مشى عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وقرظة بن عبد ، عمر ، وابن نوفل ، والحارث بن عامر بن نوفل ، ومطعم بن عدي بن الحيار بن نوفل ، في أشراف الكفار من عبد مناف إلى أبي طالب .

فقالوا : لو أن ابن أخيك طرد عنا هؤلاء الأعبد فانهم عبيدنا وعسفاؤنا كان أعظم له في صدورنا ، وأطوع له عندنا ، وأدنى لاتباعنا إياه وتصديقه ، فذكر ذلك أبو طالب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

فقال عمر بن الخطاب : لو فعلت يا رسول الله حتى ننظر ما يريدون بقولهم وما يصيرون إليه من أمرهم ، فأنزل الله ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ (٢) إلى قوله ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ (٣).

قالوا : وكانوا بلالاً ، وعمار بن ياسر ، وسالمًا مولى أبي حذيفة ، وصباحًا مولى أسيد ، ومن الحلفاء ابن مسعود ، والمقداد بن عمرو ، وواقد بن عبد الله الحنظلي ، وعمرو بن عبد عمر ، وذو الشمالين ، ومرثد بن أبي مرثد ، وأشباههم ونزلت في أئمة الكفر من قريش والموالي والحلفاء ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا﴾ (٤) (٥).

(١) سورة الأنعام ٥٤.

(٢) سورة الأنعام ٥١.

(٣) سورة الأنعام ٥٣.

(٤) سورة الأنعام ٥٣.

(٥) الدر المنثور ٥٩/٤.

ومن خصائص آيات القرآن والشريعة الإسلامية أنها تبعث على الود والتألف والشفقة والإحسان بين الناس ، وهي خصال تمنع من الحروب والإقتتال ، ومنع القرآن من التمايز والتفاضل بالمال والجاه ، قال تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١).

قانون بذل السلام أمان عام

من أسماء الله (السلام) وفي التنزيل ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢).
فالله عز وجل هو السلام ومنه السلام ، وإليه يعود السلام .
ليبان قانون التضاد بين السلام والقتال ، وقانون آيات السلام برزخ دون نسخ آيات السلم والصلح .

وبالسلام تقابل الجهالة والمغالطة ومفاهيم الضلالة ، قال تعالى ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٣) ، ليشمل السلام القول الحسن واللطف وطلاقة الوجه وقبض اليد عن الأذى .

ورد (عَنْ مُجَمِّعِ التَّيْمِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ مَاهَانَ قَالَ: جَاءَ قَوْمٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا أَصَبْنَا ذُنُوبًا عَظِيمًا، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا، فَلَمَّا ذَهَبُوا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ

(١) سورة الحجرات ١٣.

(٢) سورة الحشر ٢٣.

(٣) سورة الفرقان ٦٣.

يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴿١﴾ فَدَعَاهُمْ فَمَقَرَّهَا عَلَيْهِمْ ﴿٢﴾.

وقد ورد لفظ (سلام عليكم) في القرآن ست مرات ، أربعة منها بخصوص أهل الجنة وسلام الملائكة .

والآية أعلاه التي هي أمر من الله عز وجل الى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليتلقى المؤمنين بالسلام ، لا ينتظر سلامهم عليه ، وهل قوله تعالى ﴿قُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ من الخطابات الخاصة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أم أنها تشمل الرؤساء والملوك والعلماء المسلمين .

الجواب هو الثاني لنشر شآبيب السلم والمودة بين الناس .
كما أمر الله عز وجل المسلمين بالإذن عند دخول البيوت ، والسلام على أهلها ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٣﴾.

وقوله تعالى ﴿عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ يفيد العموم سواء كانوا أهلها مسلمين أو غير مسلمين وأن التحية والسلام على أهل البيوت خير ونفع ونشر لألوية السلم والمؤاخاة والمودة ونبد للخصومة ، وتأکید للملكية الشخصية وقاعدة السلطنة .

وقال تعالى ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾ ﴿٤﴾، فلا تصروا على دخول البيوت من غير إذن لتضمن الآية النهي عن التعدي وعن السرقة والفتنة.

(١) سورة الأنعام ٥٤.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٢٤٦/٥ .

(٣) سورة النور ٢٧ .

(٤) سورة النور ٢٨ .

وهل آيات السلام وبذل السلام حواجز تمنع نسخ آية السيف لآيات السلم ، الجواب نعم .

إفشاء السلام إطفاء للنائرة

النائرة : هي العداوة والبغضاء ، والشحناء ، ويقال (أطفأ نائرة الحرب) أي أخمدها وأوقف الفتنة .

(قال البراء بن عازب أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسبع ونهانا عن سبع أمرنا بعبادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس وإبرار القسم ونصر المظلوم وإفشاء السلام وإجابة الداعي ونهانا عن خواتيم الذهب وعن آنية الفضة وعن المياثر والقسية والاستبرق والحريز والديباج)^(١).

وكل فرد من الأمور السبعة أعلاه التي أمر بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مصداق للسلم المجتمعي ودعوة للأمن العام والتعاون بين الناس.

وعن (عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانَ : الْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ ، وَبِذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ وَالْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ)^(٢).

لييان أمور :

- الأول : قانون سلام وتحية المسلم على الناس على مختلف مشاربهم .
- الثاني : قانون مبادرة المسلم للسلام حتى في حال الخلاف والخصومة .
- الثالث : قانون السلام على القريب والبعيد وهو من مصاديق إفشاء السلام ، فلا يختص السلام بالمعرفة .

(١) النسائي / السنن الكبرى ٦٣١/١ .

(٢) تهذيب سنن أبي داود ٣٤٠/٢ .

الرابع : قانون السلام والتحية أداء ورداً لواء سلم وباعث للطمأنينة بين الناس ، قال تعالى ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾^(١) ووردت ثلاث كلمات في الآية أعلاه لم ترد في غيرها من آيات القرآن وهي (حييتم ، بتحية ، فحيوا).

وفي افشاء السلام الأجر والثواب ، وهو طريق إلى دخول الجنة بينما تكون الحروب وسفك الدماء برزخاً دون دخولها إلا ما يكون بالحق والدفاع.

وفي المبادرة إلى السلام أجر وثواب ، وكذا في رده ، نعم ثواب ابتداء السلام أكثر أضعافاً من ثواب رده .

و(عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أفشوا السلام بينكم فإنها تحية أهل الجنة ، فإذا مر رجل على ملاء فسلم عليهم كان له عليهم درجة وإن ردوا عليه ، فإن لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم الملائكة)^(٢).

قانون الإسلام دين الرحمة العامة

من خصائص الأنبياء بيانهم لسعة رحمة الله عز وجل ، وبشارتهم للمؤمنين بأسباب السعادة الدائمة في الآخرة .
والرحمة ضد العنف والقسوة والإرهاب والظلم والتعدي والجور والتعسف .

ويدل هذا التعدد في أضداد الرحمة على الحاجة إلى الرحمة العامة والخاصة ، وتقوم الحياة الدنيا بالرحمة فقال الله عز وجل بخصوص رسالة

(١) سورة النساء ٨٦ .

(٢) الدر المنثور ٣/١٨٠ .

النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) ،
وفيه وجوه :

الأول : قانون القرآن كتاب الرحمة السماوي .

الثاني : قانون الملازمة بين السنة النبوية والرحمة .

الثالث : حاجة الناس لرحمة الله عز وجل في اليوم واللييلة .

الرابع : قانون استدامة الحياة الدنيا بالتراحم والوثام بين الناس .

الخامس : دعوة القرآن المسلمين والناس للتراحم بينهم ، قال تعالى

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٢) .

ومن مصاديق ومرادفات الرحمة : الإحسان ، الإشفاق والشفقة ،

الحنان ، العطف ، العفو ، المغفرة ، اللطف ، الرفق .

ومن أسماء الله الرحمن ، الرحيم ، أرحم الراحمين ، الرؤوف ،

الودود.

ومن رحمة الله الرزق الكريم للناس ، والهداية ، والعافية ، وبعث

الأنبياء ، وإنزال الكتب السماوية ، فكل كتاب سماوي هو رحمة للناس .

أما الرحمة عند الإنسان فهي رقة القلب ، والإحسان إلى الغير ، وهذه

الرقة من مصاديق هداية الله الناس إلى التراحم بينهم ، وهي من عمومات

قوله تعالى ﴿وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٣) .

ليبان أن هذا القرب لا ينحصر بعلم الله بما يدور في خلد الإنسان وما

يفعله بل يشمل رحمته في صلاحه وهدايته وصرفه عن القسوة والعنف

والشدة والغلظة .

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) سورة الحجرات ١٣.

(٣) سورة ق ١٦.

وهل من صلة بين جعل الله عز وجل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) وبين التراحم بين الناس ، والهداية إليه بالوحي والتنزيل واللفظ الخاص والعام ، الجواب نعم .

ومن أسباب الهداية له اصلاح الناس مجتمعين ومتفرقين للرحمة للغير ، وتكون أسباب الرحمة التي تتوجه إلى الذي يتولى الحكم والسلطة ، والأمرة على جماعة من الناس أكثر من غيره ، وهو من مصاديق خلافة الإنسان في الأرض .

وجاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالترغيب بالرحمة وبيان الثواب العظيم الذي ينتظر أهلها إذ قال (الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء ، الرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله ومن قطعها قطعها)^(٢).

وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله وسلم (لا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ)^(٣).

النسبة بين الرحمة والسلام

أصل خلق الناس والخلائق الرحمة من عند الله ، لبيان قانون خلق الناس رحمة من عند الله ، وقانون بعث الأنبياء والرسول رحمة متجددة من عند الله ، فقد انقطعت النبوة بمغادرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى ولكن أحكام وسنن النبوة باقية في الأرض .

وهل التراحم بين الناس من مصاديق خلافتهم في الأرض وقوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٤) ، الجواب نعم .

(١) سورة البقرة ٣٠ .

(٢) الدر المنثور ٢٠١/٩ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤٠٩/٨ .

(٤) سورة البقرة ٣٠ .

وهذا التراحم والعزوف عن الحروب من أسباب استدامة الحياة الإنسانية ، وتوارث عبادة الناس لله عز وجل ، قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(١).

ومن رحمة الله هداية الناس لاتباعها وتوارث العمل بها وتعاهد آيات القرآن رسماً ولفظاً وأوامر ونواهي وأحكاماً.
ومن رحمة الله النعم الظاهرة والباطنة على الناس ، وما من إنسان إلا والله عز وجل رحمة خاصة به لم ينلها غيره من الناس من أيام آدم إلى يوم القيامة.

والنسبة بين الرحمة والسلم عموم وخصوص مطلق ، فالسلم فرع الرحمة والتراحم بين الناس ، لذا فإن آيات السلم محكمة والعمل بها مستديم لمصاحبة الرحمة للناس والحاجة العامة للتراحم بينهم.
(وعن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما يرحم الله من عباده الرحماء)^(٢).

ومن رحمة الله استئصال أسباب الظلم والقهر والجور في الأرض .
وهل تختص الرحمة والتراحم والإحسان بين المسلمين ، الجواب لا ، إنما تصح الرحمة والإحسان على غير المسلمين ، بل وعلى أعداء الدين إذا تضمن منفعة ومصلحة شرعية ، ولا يشترط قصد القرية في التراحم نعم ، فيه أجر إضافي .

(وعن عائشة قالت: قدم ناس من الأعراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ قالوا: نعم. قالوا: ولكننا والله ما نقبل.

(١) سورة الذاريات ٥٦.

(٢) الدر المنثور ٩/٢٣٥.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأملكُ أن كان الله نزع منكم الرحمة^(١).

ليان تنمية ملكة الرحمة في القلوب ، وشمولها للكبير والصغير والقريب والبعيد ، وبها يكون السلم والصلح والعفو هو الأقرب للناس . لقد ذكر اسم الرحمن سبعا وخمسين مرة ، واسم الرحيم مائة وأربع عشرة مرة في القرآن .

وهل هذه الكثرة وآيات الرحمة على منع نسخ آية السيف لآيات السلم ، وهل آخر آية السيف من مصاديق رحمة الله ، الجواب نعم . لقد وردت آية البحث بالإخبار عن مغفرة الله للناس جميعاً لإفادة الألف واللام في ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾^(٢) العموم الإستغراقي ، فحتى الكافر ينال من مغفرة وعفو الله عز وجل . وكان الآية تخبر بأن العقاب لا ينزل بالكافرين على كل معصية وذنب ، فمنها ما غفرها الله بفضله ورحمته وينال المؤمنون أفراداً ومصاديق من رحمة ومغفرة الله أكثر .

وهل في آية السيف ضروب من مغفرة الله ، الجواب نعم ، منها حصر الذين كفروا ورصدهم وما فيهما من الإمتناع عن قتلهم ، ومناسبة للتوبة والإنابة لذا فان آية السيف لا تنسخ آية البحث .

(١) تفسير ابن كثير ٢٠٢/٤ .

(٢) سورة الرعد ٦ .

الآية الواحدة والسبعون ﴿ذَرُّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمْتَعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ

يَعْلَمُونَ﴾^(١).

القائلون بنسخ هذه الآية

ذكر أن هذه الآية منسوخة وممن قال بنسخها :

الأول : ابن سلامة في الناسخ والمنسوخ ، قال (نسخت بآية السيف)^(٢).

الثاني : ابن حزم في الناسخ والمنسوخ ، قال (نسخت بآية السيف)^(٣) ،

وقال (سورة الحجر : مكة وفيها من المنسوخ خمس آيات)^(٤).

الثالث : الكرمي في الناسخ والمنسوخ إذ قال (سورة الحجر مكة وآياتها

تسع وتسعون آية وفيها من المنسوخ أربع آيات ، قوله تعالى ﴿ذَرُّهُمْ يَأْكُلُوا

وَيَمْتَعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^(٥) منسوخة بآية السيف .

قوله تعالى ﴿فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾^(٦) أي أعف عن المشركين منسوخة بآية

السيف.

قوله تعالى ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ

وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٧) منسوخة بآية السيف .

قوله تعالى ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٨) أي اكفف عن حربهم ولا

تبال بهم منسوخة بآية السيف)^(٩).

(١) سورة الحجر ٣.

(٢) ابن سلامة / الناسخ والمنسوخ ١٨/١ .

(٣) ابن حزم / الناسخ والمنسوخ ٤٢/١ .

(٤) ابن حزم / الناسخ والمنسوخ ٤٢/١ .

(٥) سورة الحجر ٣.

(٦) سورة الحجر ٨٥.

(٧) سورة الحجر ٨٨.

الرابع : ابن عطية في المحرر الوجيز إذ قال (وقوله ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا﴾ الآية وعيد وتهديد ، وما فيه من المهادنة منسوخ بآية السيف)^(٣).

الخامس : ابن الجوزي في مصفى الناسخ والمنسوخ (قالوا نسخت بآية السيف والتحقيق أنها وعيد وذلك لا ينافي قتالهم)^(٤).
وقال ابن الجوزي في زاد المسير في تفسير القرآن (وهذه الآية عند المفسرين منسوخة بآية السيف)^(٥).

السادس : الثعالبي في تفسيره إذ قال (وقوله سبحانه ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَسْمَعُوا﴾^(٦) الآية : وعيد وتهديد ، وما فيه من المهادنة منسوخ بآية السيف ، وروى ابن المبارك في رقائقه ، قال : أخبرنا الأوزاعي عن عروة بن رويم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : شرار أمتي الذين ولدوا في النعيم ، وغذوا به ، همتهم ألوان الطعام ، وألوان الثياب ، يتشدقون بالكلام ، انتهى)^(٧).

ولكن موضوع الآية هو خصوص الذين كفروا وليس طائفة من المسلمين.

السابع : أبو الحسن الخازن في كتابه إذ قال (وهذه الآية منسوخة بآية القتال ، وفي الآية دليل على أن إثارة التلذذ ، والتنعم في الدنيا يؤدي إلى طول الأمل وليس ذلك من أخلاق المؤمنين

(١) سورة الحجر ٩٤.

(٢) الكرمي / الناسخ والمنسوخ ١٢٨/١ .

(٣) المحرر الوجيز ١١٧/٤ .

(٤) ابن الجوزي / مصفى الناسخ والمنسوخ ٤١/١ .

(٥) ابن الجوزي / زاد المسير في تفسير القرآن ٤٨/٤ .

(٦) سورة الحجر ٣.

(٧) تفسير الثعالبي ٢١٣/٢ .

قال علي بن أبي طالب : إنما أخشى عليكم اثنتين طول الأمل واتباع الهوى فإن طول الأمل ، ينسي الآخرة ، واتباع الهوى يصد عن الحق^(١).
الثامن : القرطبي في تفسيره إذ قال (وهذه الآية منسوخة بالسيف ، في مسند البزار عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أربعة من الشقاء جمود العين وقساوة القلب وطول الأمل والحرص على الدنيا)^(٢).

والمختار أن آية البحث غير منسوخة خاصة وأنها نزلت في مكة ولم يشهر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سيفاً قبل الهجرة في السنة الثالثة عشرة من البعثة .
 والآية من آيات التهديد والوعيد اليومي للمشركين ، لذا فهي سالمة من النسخ .

ويتجلى الوعيد اليومي للمشركين بتلاوة كل مسلم ومسلمة لآية البحث خمس مرات في اليوم واللييلة .
 وهذا الوعيد اليومي المتجدد محكم إلى يوم القيامة ، وهو من الشواهد على سلامة الآية من النسخ .

آية البحث سكيئة وإنذار

من خصائص آية البحث التخفيف عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وعن المسلمين .
 وبعث للسكيئة والرضا في نفوسهم لفضل الله عز وجل بهدايتهم ، كما تتضمن الآية الإنذار والوعيد للذين كفروا على لهوهم ولعبهم وغرورهم وزهوهم ولهتهم وراء الدنيا .
 وتضمن الآية أموراً :

(١) الخازن / لباب التأويل في معاني التنزيل ٤/١٣٣ .

(٢) تفسير القرطبي ٦/١٠ .

الأول : الأمر إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بترك الذين كفروا بخصوص تمتعهم في الحياة الدنيا .

الثاني : إمهال الله عز وجل للذين كفروا ، والقرآن يفسر بعضه بعضاً ، قال تعالى ﴿لَا يَغْرِبُكَ ثَقَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾^(١) ، فمن مصاديق قوله تعالى ﴿وَيَسْمَعُوا﴾ ضربهم في البلاد وكثرة تجارتهم كما قال تعالى ﴿لِإِلَافِ قُرَيْشٍ * إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(٢) .

وهل في هذه السورة إنذار لقريش ومن والاهم ، الجواب نعم .
الثالث : توالي نزول آيات القرآن ، والمعجزات الحسية سبيل مبارك للهداية .

(وأخرج ابن مردويه عن أنس : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خط خطوطاً وخط خطأً منها ناحية ، فقال : أتدرون ما هذا . . . ؟ هذا مثل ابن آدم ، وذاك الخط الأمل ، فبينما هو يؤمل إذ جاءه الموت)^(٣) .
الرابع : نزول البلاء بالذين كفروا .

الخامس : انشغال الذين كفروا بالآمال وأرباح التجارات وحظوظهم من الدنيا ، ومباهج الدنيا ، التي تشغلهم عن التدبر في الآيات والمعجزات التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعن الإستعداد للأجل وعالم الآخرة .

قانون الأمل شعبة من الفطرة

يبعث الأمل الفرد والجماعة على السعي بتفكر وعزيمة وصبر ، وسعي لتجاوز العقبات وتدارك العثرات برغبة بالبقاء وطول العمر .

(١) سورة آل عمران ١٩٦ .

(٢) سورة قريش ١-٤ .

(٣) الدر المنثور ٦/٨٤ .

الأمل رجاء ورغبة في بلوغ أمر محبوب سواء من أمور الدنيا أم الآخرة ، والأمل باب للدعاء لأن مقاليد الأمور بيد الله ، والأمل نعمة من عند الله لقانون الأمل باعث على العمل ، وقانون تزين الدنيا بالأمل .
وتبين آية البحث أن آمال الذين كفروا مذمومة .

وتبين الآية تعدد ماهية الأمل ، وهو قبيح مع الكفر لاطمئنان الكافر للدنيا ، وظنه باستقامة الحال واستدامة تجارة الصيف إلى الشام وتجارة الشتاء إلى اليمن ، ولكن ما أن سيرت قريش الجيوش نحو المدينة حتى تعطلت تجارتهم لتسخير إبل القوافل لنقل الجنود ، ونحرها لإطعامهم .
ولا تحرم آية البحث الأمل ، ولكنها تنوعد الذين كفروا على آمالهم الخبيثة ولهتهم وراء الدنيا ، وترك وظيفتهم العبادية لذا قال تعالى في سورة قريش ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾^(١).

ولفظ (الأمل) في آية البحث اسم جنس لتعدد آمال الفرد والجماعة ، وفي الآية بشارة الفتح .

(وعن أبي سعيد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غرس عوداً بين يديه وآخر إلى جنبه وآخر بعده . قال : أتدرون ما هذا؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإن هذا الإنسان وهذا أجله وهذا أمله ، فيتعاطى الأمل فيختلجه الأجل دون ذلك .

وأخرج ابن أبي الدنيا في ذم الأمل وابن مردويه عن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : مثل الإنسان والأمل والأجل ، فمثل الأجل إلى جانبه ، والأمل أمامه ، فبينما هو يطلب الأمل إذ أتاه الأجل فاختلجه)^(٢).

(١) سورة قريش ٣-٤.

(٢) الدر المنثور ٨٤/٦ .

قانون الأمل فرع الخلافة

قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَيَحْنُ نُسْبِحُ بِحَمْدِكَ وَتَقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

لقد سخر الله عز وجل ما في الأرض للإنسان ليتنعم بها ، ويكون هذا التنعم مادة وسبباً لذكر الله وعبادته ، وبعث الله الأنبياء مبشرين ومنذرين ، ومن البشارة في المقام الأمل باللبث الدائم في النعيم الأخروي ، ومن الإنذار اللهث وراء الدنيا وزينتها ، والأمل بعيد المنال .

ليس من حصر لموضوع (الأمل) كما أنه من الكلبي المشكك الذي يكون على مراتب متفاوتة قوة وضعفاً ، وهو باعث على العمل ، وتارة يكون برزخاً دون أداء الوظائف العبادية ، لذا نزلت الآيات في ذم الأمل في المنافع الدنيوية ، واللهث وراء زينتها .

مع بيان أن الأمل في عمل الصالحات محبوب ، قال تعالى ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾^(٢).

و(عن أبي سعيد الخدري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : استكثروا من الباقيات الصالحات ، قيل : وما هن يا رسول الله؟ قال : التكبير والتهليل والتسييح والتحميد ولا حول ولا قوة إلا بالله)^(٣).

وعن الإمام علي عليه السلام قال ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ﴾ حرث الدنيا ، والعمل الصالح حرث الآخرة ، وقد يجمعهما الله لأقوام^(٤).

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة الكهف ٤٦.

(٣) الدر المنثور ٦/٣٦٨.

(٤) الدر المنثور ٦/٣٦٨.

والأمل عند الإنسان من مصاديق خلافته في الأرض ، وما رزقه الله من العقل والجوارح والصلوات الإجتماعية ، وفيه أمور :

الأول : قانون الأمل مناسبة للجوء إلى الله لتحقيق الرغائب ، والتفكير الواقعي السليم .

الثاني : تمييز الإنسان بالأمل عن سائر الحيوان .

الثالث : لكل إنسان أمل يخفف عنه الهم والحزن .

الرابع : قانون الأمل باعث إلى السعي والعمل .

وفي حديث الصحابي أبي وهب الجشمي (قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وَهَمَامٌ ، وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ وَمَرَّةٌ)^(١) .

ويستقرأ السعي والكسب والعمل في اسم حارث وهمام ، أما لفظ الهمام - بضم الهاء - فمعناه (الملك لعظم همته . وتقول: لا يكاد ولا يههم كوداً ولا همماً ولا مهممةً ولا مكادةً)^(٢) .

وكل إنسان له آمال وأماني منها ما يتحقق ، ومنها ما تحول دونه الموانع ، ومنها ما يكون فاقداً للأسباب والمقدمات ، ولكن آمال الإنسان أكبر من واقعه ويحدها الإيمان والرضا بما قسمه الله الذي فيه إصلاح للنفوس ، وواقية من الأمراض النفسية وما يتعقبها من العلل البدنية ، ويقربها الدعاء لأصالة الإطلاق في قوله تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٣) .

والنتجات الإنسان إلى النعم التي عنده ، فيشكر الله عز وجل عليها ، وتستدرج الأمانى الإنسان ويلهث وراءها إلى أن يباغته الموت . وقد ذم الله عز وجل المنافقين ، وأخبر عن سوء عاقبتهم يوم القيامة ، لتعلقهم بالأمانى ووردت كلمة (أمانى) خمس مرات في القرآن ، منها

(١) تفسير الثعالبي ٢٠٣/١ .

(٢) العين ٢٤٧/١ .

(٣) سورة غافر ٦٠ .

مرتان في قوله تعالى ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يُعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾^(١).

ليبان عدم موضوعية الأمانى في الآخرة إنما المدار على سنخية العمل في الدنيا ، وخسارة الذين كفروا في الآخرة لأن عملهم هو الإنقطاع إلى ملذات الدنيا ، والإنشغال بالأمل .

ومن خصائص آيات السلم إجتناّب الناس الحروب والإقتتال وإصلاحهم للأمال النافعة ، والسعي الجاد في أمور الدين والدنيا .

لفظ (الأمل) في القرآن

لم يرد لفظ (الأمل) في القرآن إلا في آية البحث ، ولم يرد فيه بصيغة التثنية أو الجمع (آمال) ولكنه اسم جنس لإفادة ذم الذين كفروا لطول أملهم في الدنيا المقترن بالإنقطاع إلى الملذات ، بمعنى أن طول الأمل داء وابتلاء وهو حرام عندما يقترن بالكفر والجحود والإنقطاع إلى الملذات والركون إلى الدنيا .

(و) عن أبي سعيد الخدري قال : اشترى أسامة بن زيد وليدة بمائة دينار إلى شهر ، فسمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر .

إن أسامة لطويل الأمل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناى وطنت أن شفري يلتقيان حتى أقبض ، ولا رفعت طرفي وظنت إنى واضعه حتى أقبض .

ولا لقت لقة فظنت أنى أسينها حتى أغص بالموت . يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم في الموتى ، والذي نفسي بيده ﴿إِنْ مَا تُوعَدُونَ لَكَاتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾^(٢)^(١).

(١) سورة النساء ١٢٣ .

(٢) سورة الأنعام ١٣٤ .

ولا تنحصر مضامين آية البحث بأهل مكة بل هي متجددة في كل زمان.
لتبين آية البحث مصاحبة الأمل الطويل للذين كفروا بسبب افتتانهم
بزهرة الحياة الدنيا .

وتبين الآية قبح اللهو بما ليس فيه نفع ، فمع أن أمل الذين كفروا
كالسراب فقد ذكرت الآية أنه مادة لإنشغال الذين كفروا به عن التدبر في
الآيات .

وهل المراد من الأمل في الآية خصوص الظن والرجاء والوهم ،
الجواب لا ، إنما يشمل القول والسعي لبلوغ الآمال الباطلة .
وهل تدل الآية على أن الله عز وجل يحول دون بلوغ الذين كفروا
لأمانيتهم ، الجواب نعم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾
كما تخبر آية البحث بأن أملهم وبال عليهم ، وتعدد معاني خاتمة الآية من
الشواهد على سلامتها من التحريف .

وتمام آية البحث هو ﴿ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَسْتَعْبُوا وَيُلْهِمُ الْأَمْلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾^(٢) .
ومن الإعجاز في ألفاظ القرآن عدم ورود لفظ (الأمل) فيه إلا في آية
البحث مع الهم للذين كفروا من جهات :

الأولى : الأمر من الله عز وجل إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله
وسلم بترك الذين كفروا ولكنه ليس تركاً على نحو السالبية الكلية ، إنما
تصلهم الإنذارات وأنباء المعجزات ولقانون قيام الحجة على الذين كفروا
بتعدد البراهين الدالة على صدق النبوة ونزول القرآن .

وتتجلى معاني ترك الذين كفروا بقوله تعالى ﴿ إِنِ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ
عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٣) .

(١) الدر المنثور ٤/١٣٧.

(٢) سورة الحجر ٣.

(٣) سورة البقرة ٦.

الثانية : قانون ذم الأمل المترشح عن الكفر .

الثالثة : الأمل مع الكفر سراب .

الرابعة : يجعل الله عز وجل أمل الكافرين وبالاً عليهم .

يلهمهم الأمل عن ماذا ؟

وفيه وجوه :

الأول : يلهي الأمل الذين كفروا عن التفكير بالآيات الكونية وبديع

صنع الله ، قال تعالى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَآ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ
إِن فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^(١).

الثاني : يلهمهم الأمل عن التصديق بالرسالة الخاتمة .

الثالث : يلهمهم الأمل عن حظهم في الآخرة الذي لا يتال إلا بالإيمان

وعمل الصالحات .

وابتدأت الآية بفعل الأمر إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

(ذرهم) أي اتركهم واخل بينهم وبين آمالهم .

وورد بسند ضعيف (عن رجل ، من أصحاب النبي صلى الله عليه

وسلم قال : اتركوا الترك ما تركوكم وذرروا الحبشة ما وذرؤكم)^(٢).

الرابع : يلهمهم الأمل بزينة الدنيا عن التوبة والإنابة .

الخامس : تركهم يرجون الرغائب الدنيوية ، والأمور بيد الله لذا فان

خاتمة الآية (فسوف يعلمون) بعث للسكينة في نفس النبي والمؤمنين ، وإخبار

بأن الذين كفروا لا يلقون من آمالهم إلا الخيبة والخسران .

السادس : يلهمهم الأمل عن محاربة الإسلام والتنزيل حتى يتم الفتح ،

فآية البحث وعيد للذين كفروا في الدنيا وسوء العاقبة الذي ينتظرهم في

الآخرة ، وهو من أسباب سلامتها من النسخ .

(١) سورة الجاثية ١٣ .

(٢) ابن أبي عاصم / الأحاد والمثاني ٢٢/٨ .

السابع : يسيح الذين كفروا في سراب الأمل ، لتركوا حظهم من الدنيا والآخرة ، وفي التنزيل في ذم وتوبيخ أهل النار من المنافقين والكافرين ﴿وَعَرَّضْتُمُ الْآمَانِيَّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَرَّضْتُمُ الْبَلَاءَ الْغُرُورُ﴾^(١).

الثامن : يلهم الأمل عن الأجل ، والإستعداد للموت وما بعده من الأهوال .

قوله تعالى ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

ورد خبر ضعيف أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^{(٣)(٤)}.

و(عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾^(٥) دخل في قلوبهم منه شيء لم يدخل من شيء فقالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقال : قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا . فألقى الله الإيمان في قلوبهم ، فأنزل الله ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾^(٦) الآية ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾^(٧) قال : قد فعلت ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَيَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قال :

(١) سورة الحديد ١٤ .

(٢) سورة البقرة ٢٨٤ .

(٣) سورة البقرة ٢٨٦ .

(٤) الطبرسي / مجمع البيان ٥٠٠/٢ .

(٥) سورة البقرة ٢٨٤ .

(٦) سورة البقرة ٢٨٥ .

(٧) سورة البقرة ٢٨٦ .

قد فعلت ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال : قد فعلت ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا
وَارْحَمْنَا﴾ الآية قال : قد فعلت^(١).

سلامة آية البحث من النسخ

من خصائص آية البحث أنها تخفيف عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في التبليغ وأداء الرسالة وتفقه للمسلمين في أحكام الشريعة ، ومن مصاديق سلامة الآية من النسخ أمور :

الأول : بيان فضل الله على الناس جميعاً .

الثاني : تثبيت قاعدة السلطنة ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ان الناس مسلطون على أموالهم)^(٢).

الثالث : القبح الذاتي لطول أمل الذين كفروا ، هذا القبح يختص بأمال الذين كفروا لأنها خالية من الإيمان ، وبعيدة عن الإستعداد لعالم الآخرة .

الرابع : صحيح أن الخطاب في الآية موجه إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولكن المسلمين يلحقون به ، وتقدير الآية في كل زمان : ذروهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون .

وهذا العموم وتجدد الخطاب في كل زمان شاهد على سلامة آية البحث من النسخ .

ومن مصاديق سلامة الآية من النسخ تجدد موضوعها في كل زمان بينما ينحصر موضوع آية السيف بخصوص أيام نزولها في أهل مكة وما حولها ممن بقي على الكفر والشرك .

فقد أراد الله عز وجل أن يحج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حجة الوداع وليس من مشرك في مكة ، وأن يغادر إلى الرفيق الأعلى وقد دخل أهل الجزيرة الإسلام ، وفيه مقدمة للقضاء على الردة العامة التي

(١) الدر المنثور ٢/٢٦٤ .

(٢) البحار ٢/٢٧٢ .

حدثت بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهل هذا القضاء من معجزاته الغريبة ، أم أن القدر المتيقن منها ما كانت في أيام حياته ، الجواب هو الأول .

علم التقدير

بلحاظ علم التقدير الذي أسسته في هذا التفسير يكون تقدير خاتمة الآية ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ على وجهين :

الأول : في الحياة الدنيا لموضوعية الفاء في قوله تعالى ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ التي تفيد الفورية والتعقيب ، ومن معانيه :

الأولى : فسوف يعلمون بظهور الإسلام ، وأحكام الرسالة.

الثانية : فسوف يعلمون بإقامة المساجد في المدينة (يثرب).

الثالثة : فسوف يعلمون بهدم الأصنام التي يعبدون ، فحينما دخل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مكة فاتحاً بسلم وأمن عام وجد البيت الحرام مملوءاً بالأصنام وعددها ثلاثمائة وستون صنماً . فلم يوبخ أهل مكة بخصوصها لاسيما وأن أكثر أهل مكة يوم الفتح مسلمون .

ولكنه صار يطعنها بعود في يده وهي تتساقط الواحد تلو الآخر ثم أمر باخراجها من المسجد ، فأخرجت وأحرقت لقطع انجذاب الناس إليها.

وعندما دخل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم البيت كان في الكعبة أصنام وصور في جدرانها منها صنم على صورة إبراهيم ، وصنم على صورة إسماعيل عليهما السلام ، ويديهما الأزلام ، فأخرجها .

(عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وفي أيديهما الأزلام .

فقال : قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط ، ثم دخل البيت فكبر في نواحي البيت وخرج ولم يصل^(١) .

الرابعة : فسوف يعلمون صدق نبوتك .

الخامسة : فسوف يعلمون أن آيات القرآن كلام الله ونزل بانذارهم ووعيدهم على الكفر .

السادسة : فسوف يعلمون سوء فعلهم وجحودهم النبوة .

السابعة : فسوف يعلمون نصر الله عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثامنة : فسوف يعلمون خيبتهم وسراب آمالهم .

التاسعة : فسوف يعلمون سوء العاقبة التي تنتظرهم .

الثاني : فسوف يعلمون في الآخرة ومن معانيه :

الأولى : فسوف يعلمون حال الدخول إلى القبور بالعقاب على الكفر

والفسوق ، قال تعالى ﴿ وَمِن رَّأْسِهِمْ بُرْزُخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُعْرَضُونَ ﴾^(٢) .

الثانية : فسوف يعلمون أن أهوال البرزخ ومساءلة منكر ونكير حق وصدق .

الثالثة : فسوف يعلمون عند البعث من القبور بالعذاب بالخلود بالنار

على الشرك والكفر وطول الأمل في غير مرضاة الله ، وفي التنزيل ﴿ إِنْ

اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾^(٣) .

الرابعة : فسوف يعلمون المقام المحمود للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الآخرة .

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٥٧٣/٣ .

(٢) سورة المؤمنون ١٠٠ .

(٣) سورة النساء ٤٨ .

الخامسة : فسوف يعلمون فوز المؤمنين بالشفاعة ، وحرمان الذين كفروا منها ، قال تعالى ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾^(١).

السادسة : فسوف يعلمون أن الجنة حق والنار حق ، وأن الله يبعث من في القبور .

السابعة : فسوف يعلمون أن رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

فمن الناس من يدرك وهو في الدنيا منافع هذه النعمة ، ومن الناس لا يدركها إلا عند دخوله القبر ، وفي عالم الحساب ، قال تعالى ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(٣).

وجاءت خاتمة الآية بلفظ الفاء ﴿فَسَوْفَ﴾ لدلالة الفاء على التعقيب والفوري ومنه ما يعلمون وهم في الدنيا من نصر الإسلام وفتح مكة ، وإبطال الإسلام للسرقة والغصب والربا ، وتفيد (سوف) البعيد لأمر الآخرة لبيان مغادرتهم الدنيا من غير توبة .

قال تعالى ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَرَأَاهُ قَرِيبًا﴾^(٤) وهذه الآيات محكمة غير منسوخة .

(١) سورة الأنبياء ٢٨ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٣) سورة ق ٢٢ .

(٤) سورة المعارج ٥-٧ .

الآية الثانية والسبعون ﴿فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾^(١).

القائلون بنسخ هذه الآية

ذكر أن هذه الآية نسخت بآية السيف ، ومن قال به :

الأول : ابن سلامة في الناسخ والمنسوخ^(٢).

الثاني : ابن حزم في الناسخ والمنسوخ قال (نسخت بآية السيف)^(٣).

الثالث : النحاس في كتابه الناسخ والمنسوخ قال : لم نجد فيها - أي في

سورة الحجر - (مما يدخل في هذا الكتاب إلا حرفين قوله تعالى ﴿فَاصْفَحَ

الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ قال سعيد عن قتادة نسخته ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ﴾^(٤) والحرف

الآخر ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٥) وروى عن ابن عباس نسخته براءة

والأمر بالقتال^(٦).

الرابع : الكرمي في الناسخ والمنسوخ قال (قوله تعالى ﴿فَاصْفَحَ الصَّفْحَ

الْجَمِيلَ﴾ أي أعف عن المشركين منسوخة بآية السيف)^(٧).

الخامس : ابن الجوزي في المصنفى بألف أهل الرسوخ ﴿فَاصْفَحَ الصَّفْحَ

الْجَمِيلَ﴾ قالوا نسخ بآية السيف^(٨).

(١) سورة الحجر ٨٥.

(٢) ابن سلامة / الناسخ والمنسوخ ١٨/١ .

(٣) ابن حزم / الناسخ والمنسوخ ٤٣/١ .

(٤) سورة البقرة ١٩١.

(٥) سورة الحجر ٩٤.

(٦) النحاس / الناسخ والمنسوخ ٥٣٩/١ .

(٧) الكرمي / الناسخ والمنسوخ ١٢٨/١ .

(٨) ابن الجوزي / المصنفى بألف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ ٤١/١ .

السادس : ابن جزري في التسهيل لعلوم التنزيل (وفي الآية مهادة للكفار منسوخة بالسيف)^(١).

السابع : قال مجاهد (هذا الصفح الجميل ، كان قبل القتال)^(٢).
الثامن : (أنه أمر بالصفح عنهم في حق الله تعالى ، ثم نسخ بالسيف ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك : لقد أتيتكم بالذبح ، وبعثت بالحصاد ولم أبعث بالزراعة ، قاله عكرمة ومجاهد)^(٣).

وقد تقدم عدم ثبوت حديث (جئتمكم بالذبح) وآيات القرآن بخلافه وتشمله أحاديث العرض ، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٤).
التاسع : قال ابن أبي زمنين (فاصفح الصفح الجميل وهذا منسوخ بالقتال)^(٥).

العاشر : في تفسير الخازن (الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي فأعرض عنهم يا محمد واعف عنهم عفواً حسناً . واحتمل ما تلقى من أذى قومك وهذا الصفح والإعراض منسوخ بآية القتال ، وقيل فيه بعد)^(٦).
الحادي عشر : ابن عباس في تنوير المقباس الذي ينسب له وقال أنها (منسوخة بآية القتال)^(٧).

الثاني عشر : تفسير مقاتل (يقول للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : فأعرض عن كفار مكة الإعراض الحسن ، فنسخ السيف الإعراض والصفح)^(٨).

(١) ابن جزري / التسهيل لعلوم التنزيل ٦٣/٢ .

(٢) الدر المنثور ١٠٨/٦ .

(٣) النكت والعيون ٣٥٩/٢ .

(٤) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٥) تفسير ابن أبي زمنين ٣٣٨/١ .

(٦) تفسير الخازن ١٥٤/٤ .

(٧) تنوير المقباس ٢٧٨/١ .

وتمام آية البحث هو ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾^(٢).

الثالث عشر : قال الثعلبي (﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾ نسختها آية القتال)^(٣).
ليبان أن علة خلق الناس عمارتهم للأرض بعبادة وذكر الله ، وسعة الرزق التي جعل الله عز وجل لهم باب للثواب أو العقاب ، ولا يدرك كنهه وأسرار هذا الخلق إلا الله عز وجل وهو ﴿غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٤).

آية البحث محكمة

الخطاب في آية البحث خاص إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والأصل في هذه الخطابات هو الحكم العام وإلحاق أجيال المسلمين والمسلمات به إلا ما ورد دليل قاطع به مثل ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ﴾^(٥).

ومن أدلة ثبوت سلامة الآية من النسخ قراءة تمام الآية ، وعدم حصر الموضوع بالشطر الخاص الذي يقال أنه منسوخ .

وتمام آية البحث هو ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾^(٦).

ليبان آيات الخلق والإرادة التكوينية ، وقرب النفخ في الصور وحتمية وقوف الناس بين يدي الله للحساب ، ومع هذا القرب فلا تصل النوبة للنسخ .

(١) تفسير مقاتل ٢٠٧/٢ .

(٢) سورة الحجر ٨٥ .

(٣) الثعلبي / الكشف والبيان ١١٢/١٢ .

(٤) سورة آل عمران ٩٧ .

(٥) سورة المزمل ١ .

(٦) سورة الحجر ٨٥ .

فمن معاني آية البحث وجوه :

الأول : الله عز وجل غني عن الناس جميعاً ، والسماوات والأرض ملك طلق له .

الثاني : آية البحث تذكير يومي بيوم القيامة وأنه قريب وتتجلى صفة اليومية بتلاوة كل مسلم ومسلمة آيات من القرآن في الصلوات اليومية كل يوم .

الثالث : لزوم مبادرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الفورية إلى الصفح لمقام الفاء في (فاصفح) .

الرابع : إرادة العموم في العفو عنهم ، والتجاوز عن أذاهم وتعديهم ، لأصالة العموم والإطلاق .

وعن محمد بن علي عن الإمام علي عليه السلام (في قوله تعالى ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ قال : هو الرضا بلا عتاب) (١).

ويدل سياق هذا الخبر على أن الآية محكمة غير منسوخة .

والآية خطاب إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو من الخطابات الخاصة لفظاً ويشمل الأمة ، إذ تلحق به الأمة لإشاعة الصفح والصبر والحلم مع استحضار قرب يوم القيامة ، والصفح الجميل المذكور في الآية من عمومات كل من :

الأول : قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢).

الثاني : قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٣).

(١) تفسير التستري ٢٦٥/١ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٣) سورة القلم ٤ .

وهل هو من مصاديق العفو والإستغفار في قوله تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾^(١).

الجواب الآية أعلاه خاصة بالمسلمين ، أما آية الصفح الجميل فهي عامة وتشمل الذين كفروا والصبر عليهم .

ولم يرد لفظ (الصفح) في القرآن إلا في آية البحث وكذا لفظ (الجميل) معرفاً بالألف واللام .

دوران الامر بين إحكام الآية ونسخها

لو دار الأمر في الآية القرآنية بين كونها محكمة أو منسوخة ، فالأصل أنها محكمة ، وتعضد هذا المعنى الآيات التي تفسرها وتبين معناها ودلالاتها. وتتضمن آية البحث الإخبار بأن الله عز وجل هو خالق السموات والأرض والناس جميعاً وعالم الأفلاك ، وهذا الخلق حق وبرحمة من الله عز وجل .

والأصل في الآية القرآنية سلامتها من النسخ وطرو الناسخ عليها ، وعدم مجئ خطاب متأخر زماناً عنها ينسخ حكمها ، وقولنا بإحكام الآية القرآنية من عمومات قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾^(٢).

ومن رحمة الله تعالى أمره إلى نبيه الكريم بالصفح الجميل عن الناس ، والحلم والصبر عليهم مع الإجتهد في تبليغ الآيات وفي إقامة الصلاة ، ولم

(١) سورة آل عمران ١٥٩.

(٢) سورة آل عمران ٧.

يأت الأمر بالصفح في آية البحث إلا بعد الإخبار بأن يوم القيامة قريب لبيان اقترانه بالإندار والوعيد .

وهل ذكر الساعة في آية البحث مواساة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودعوة سماوية له لتحمل أذى المشركين ، الجواب نعم ، كما أنها بعث له لدعوة الناس للإسلام ، وبعث للمسلمين للإستعداد ليوم القيامة . ترى ما هي النسبة بين الإعراض والصفح ، الجواب هي العموم والخصوص المطلق ، وكل صفح هو إعراض وليس العكس ، وأن الإعراض أشد على الذين كفروا .

ان الصفح الجميل الذي ورد في آية البحث من مصاديق قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(١) وتبسط مصاديق هذه الرحمة على وجوه الحياة العامة ، وعلى المسلمين وغير المسلمين لأصالة الإطلاق والعموم فيها .

مصاديق الصفح الجميل

لم يقف الصفح عليه بالذات بل جاء وصفه وتقييده بأنه جميل ، ومن معاني الجمال فيه وجوه :

الأول : صفح من غير عتاب .

الثاني : صفح بترك ترتب العقوبة على الفعل .

الثالث : صفح من مقام النبوة والخلق الحميد .

الرابع : الصفح المقترن بالعفو ، وهذه الآية مكية ، ومن الإعجاز فيها

بشارة مجئ الحكم للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الخامس : الإعراض بحلم وإغضاء .

السادس : تحمل أذية المشركين مع دعوتهم إلى الإيمان .

السابع : الإمتناع عن توجيه اللوم ، وعن التشكي .

(١) سورة الأنبياء ١٠٧ .

الثامن : الصفح الخالي من التهديد والوعيد ، فمع كل صفح تفتح صفحة جديدة خالية من العتاب واللوم والتهديد .

التاسع : صفح من غير حنق أو سخط أو حقد .

العاشر : صفح جميل بانتظار تجلي الحق ، وظهور دولة الإسلام .

قانون الصفح لطف

قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(١).

هل تدل الآية أعلاه على عدم حاجة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى السيف ، الجواب نعم ، إلى أن اضطر والمهاجرون والأنصار للدفاع في معركة بدر وأحد والخندق .

لذا بينت آية البحث أن ملك السموات والأرض لله عز وجل ثم أمرت النبي محمداً بالصفح الجميل لأن مقاليد الأمور بيد الله ، وأن كيد المشركين وجيوشهم لن تحول دون نصر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي أمر الله عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالصفح الجميل وجوه :

الأول : إنه لطف من الله تعالى بالعباد .

الثاني : فيه إشاعة للأخلاق الحميدة .

الثالث : كفاية المعجزات الحسية والعقلية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في هداية الناس للإيمان .

الرابع : الآية وعد من عند الله عز وجل في عدم لحوق الأذى والضرر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من كيد ومكر الذين كفروا .

(١) سورة الصف ٩ .

فلا تصل التوبة إلى استعمال السلاح ضد الذين كفروا جميعاً ، إنما ورد الوعيد بالسيف بخصوص أهل مكة ليحج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعشرات الآلاف من أصحابه والبيت الحرام خال من المشركين ولا يزاحمون المسلمين ، قال تعالى ﴿وَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(١).

استحداث قسيم

الواو هي أصل حروف العطف ، ويقال في علم النحو أنها أم الباب ، لكثرة استعمالها ووضوح معناها ، وسهولتها ، وتعدد الموارد التي تستعمل فيها ، ومعناه الأصلي هو العطف ومشهور النحويين أنها لمطلق الجمع ، وقيل أنها تفيد الترتيب .

والمختار هو قول جديد باضافة قسيم ثالث لهما ، فتكون على وجوه :

الأول : تأتي الواو للجمع وحده .

الثاني : تأتي الواو للترتيب .

الثالث : تأتي الواو للجمع والترتيب معاً في لفظ واحد .

ويعرف المقصود من (الواو) من الوجوه أعلاه بالقرائن وقابلية اللفظ لتعدد معنى الواو والعطف أو الإستثناف أو هما معاً في آن واحد .

وقال سيويه (يجوز أن تقول : مررت بزيد وعمرو والمبدوء به في المرور عمرو ، ويجوز أن يكون زيدا ، ويجوز أن يكون المرور وقع عليهما في حالة واحدة).

فالواو تجمع هذه الأشياء على هذه المعاني . فإذا سمعت المتكلم يتكلم بهذا أجبته على أيها شئت؛ لأنها قد جمعت هذه الأشياء^(٢). ولا تصل التوبة إلى سؤال السامع للمتكلم أيها شئت .

(١) سورة القصص ٥.

(٢) سيويه / الكتاب ١/ ٨٩.

لأن المتبادر هو المرور بزيد أولاً إلا مع القرينة الصارفة إلى إرادة المرور عليهما مجتمعين ، أما المرور على المعطوف قبل المعطوف عليه فهذا بعيد بلغة التخاطب عند العرب .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه جعل بعض مضامين آية السيف عند مستوى التهديد والوعيد ، وآية السيف هي قوله تعالى ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضِرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(١).

وقد تخرج الواو عن معناها الأصلي فتستعمل نيابة عن غيرها من حروف العطف خاصة حرف العطف الفاء ، وتستعمل الواو بدل (أو) في ثلاث مواضع :

الأول : تأتي بمعنى التقسيم (وأجاز بعضهم أن تكون الواو في قولهم الكلمة اسم وفعل وحرف بمعنى أو، لأنه قد يقال : اسم أو فعل أو حرف. قلت: العكس أقرب، لأن استعمال الواو في ذلك هو الأكثر. قال ابن مالك: استعمال الواو فيما هو تقسيم أجود من استعمال أو)^(٢).

الثاني : الإباحة (وبمعناها في الإباحة جالس الحسن وابن سيرين، أي أحدهما)^(٣).

والفرق بين الإباحة والتخيير ، أن الإباحة لا تمنع الجمع والتخيير يمنعه .
الثالث : تكون الواو بمعنى التخيير كقول الشاعر (وقالوا نأت فاختر لها الصبر والبكا)^(٤).

(١) سورة التوبة ٥.

(٢) المرادي / الجنى الداني في حروف المعاني ٢٧/١ .

(٣) الفيروز آبادي / القاموس المحيط ٤٩٦/٣ .

(٤) تاج العروس ٨٧٠٧/١ .

لأن الصبر والبكاء لا يجتمعان .

إفادة الواو التخيير

وتفيد الواو في آية السيف التي تكررت فيها ثلاث مرات التخيير خاصة مع القرائن منها :

الأولى : مجئ الأمر بأخذ المشركين واحصارهم والعودة لهم في كل مرصد بعد الأمر بقتلهم ، فلو كان الأمر بالقتل قطعياً لما أمر الله عز وجل بالوجوه الأخرى أعلاه التي تدل على التشديد على المشركين وبقائهم أحياء .

الثانية : التباين في حال المشركين ، فمنهم من يتعظ من الإنذار والوعيد ومنهم من يأخذ العناد والإصرار .

الثالثة : المندوحة والسعة في عمل المسلمين ، ومنع الإسراع في القتل وسفك الدماء .

الرابعة : لو كان المأمور به هو القتل لكان الأمر به في آخر وجوه التخيير ، ويأتي بعد ﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾^(١) ، أو لاكتفت الآية بذكر القتل وحده .

الخامسة : دلالة خاتمة الآية على التخيير بين هذه الوجوه لقوله تعالى ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلَوْا سَبِيلَهُمْ﴾^(٢) .

وتقديم عدم القتل لإرادة توبتهم وإقامتهم الصلاة وإخراجهم الزكاة من أموالهم .

ليبان أن خاتمة آية السيف ناسخة لأولها ، إذ اختتمت بقوله تعالى ﴿فَخَلَوْا

سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣) .

(١) سورة التوبة ٥ .

(٢) سورة التوبة ٥ .

(٣) سورة التوبة ٥ .

إذ تتضمن الأمر بتركهم وشأنهم حالما يتوبون ويؤدون الصلاة والزكاة ، فلا يقبل منهم ترك الشرك وحده بل لابد من الإيمان وأداء الفرائض العبادية.

السادسة : قوله تعالى ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ شاهد على التخيير والمهلة ، وعدم اللجوء إلى السيف في معاملة المشركين .

السابعة : مضمون آية السيف خاص بأهل مكة وما حولها لتتطو صفحة الشرك في ﴿أَمْ الْقُرَى﴾ .

فان قلت الآية القرآنية غضة طرية إلى يوم القيامة ، فكيف تكون آية السيف خاصة بأهل مكة مدة الأشهر الحرم ، الجواب أن مضامين وأحكام آية السيف باقية إلى يوم القيامة بخلو مكة وجزيرة العرب من الشرك وعبادة الأوثان إلى يوم ينفخ في الصور وهي شاهد على أيام التنزيل.

انعدام التزاحم بين آية السيف وآية البحث

هل من تضاد أو تزاحم بين آية البحث ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾^(١) وبين آية السيف ، الجواب لا .

فمع التهديد والوعيد المقيد في وقته ومكانه في آية السيف يتغشى عمل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قانون الصفح الجميل الناس جميعاً ، ويتجلى ثبوته مشركي مكة أيضاً ، الذين لم يبق منهم مقيم على الكفر إلا عدداً قليلاً حين نزول آية سيف والتي نزلت متأخرة عن فتح مكة بأكثر من سنة إذ تم فتح مكة في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة ونزلت سورة براءة في موسم الحج من السنة التاسعة للهجرة .

ويوم فتح مكة نهي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن قتل أي مشرك ، وقال إن تم قتل شخص فاهله بالخيار بين القصاص والدية وإن كان

(١) سورة الحجر ٨٥.

مشركاً وهو من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

ولما قدم عمرو بن الزبير مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير قائداً لجيش يزيد بن معاوية وراسل أخاه فلان ابن الزبير وأجابه عبد الله وقيل امتنع عبد الله بن الزبير عن جعل جامعة في عنقه .

(فبرز عبد الله بن صفوان في عسكر، فالتقوا، فخذل الشاميون، وجئ بعمرو أسيراً، وقد جرح، فقال أخوه عبيدة بن الزبير: قد أجرته.

قال عبد الله: أما حقّي، فنعم، وأما حق الناس، فقصاص، ونصبه للناس، فجعل الرجل يأتي فيقول: نتف لحيتي، فيقول: انتف لحيته .

وقال مصعب بن عبد الرحمن بن عوف: جلدني مئة جلدة، فجلد مئة فمات، فصلبه أخوه.

وقيل: بل مات من سحبهم إياه إلى السجن وصلب، فصلب الحجاج ابن الزبير في ذلك المكان)^(٢).

ولما قدم عمرو بن الزبير مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير جاءه الصحابي أبي شريح الخزاعي ووعظه وقال له (يَا هَذَا ، إِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ افْتَتَحَ مَكَّةَ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ عَدْتُ خِزَاعَةً عَلَى رَجُلٍ مِنْ هَذِيلٍ فَقَتَلُوهُ وَهُوَ مُشْرِكٌ .

فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِينَا خَطِيْبًا ، فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَهِيَ حَرَامٌ مِنْ حَرَامٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا يَحِلُّ لِمَرِيٍّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ فِيهَا دَمًا ، وَلَا يَعْضُدَ فِيهَا شَجْرًا .

لَمْ تَحْلِلْ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي ، وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ يَكُونُ بَعْدِي ، وَلَمْ تَحْلِلْ لِي إِلَّا هَذِهِ السَّاعَةَ غَضَبًا عَلَى أَهْلِهَا .

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) سير اعلام النبلاء ٤٧٣/٣ .

لَا ، ثُمَّ قَدْ رَجَعَتْ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ فَمَنْ قَالَ لَكُمْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَاتَلَ فِيهَا ، فَقُولُوا : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَلَّهَا لِرَسُولِهِ وَلَمْ يُحَلِّهَا لَكُمْ .

يَا مَعْشَرَ خِزَاعَةَ أَرْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ عَنِ الْقَتْلِ فَلَقَدْ كَثُرَ الْقَتْلُ إِنْ نَفَعَ لَقَدْ قَتَلْتُمْ قَتِيلًا لِأَدِينِهِ فَمَنْ قَتَلَ بَعْدَ مَقَامِي هَذَا فَأَهْلُهُ بِخَيْرِ النَّظَرِينَ إِنْ شَاءُوا فَدَمُ قَاتِلِهِ وَإِنْ شَاءُوا فَعَقْلُهُ وَدَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي قَتَلْتَهُ خِزَاعَةَ^(١) .

أي أن النبي محمداً أدى دية المشرك ، وأخبر عن حكم القصاص فيما يأتي إن سأله أهل القتل .

حلية مكة للنبي (ص) ساعة النهار

فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حلية مكة له ساعة من نهار يوم الفتح لغضب الله عز وجل على أهلها في جحودهم برسالته ، وتجهيز الجيوش لقتاله في معركة بدر وأحد والخندق ، ومع استباحة مكة في ساعة من النهار فلم يأمر النبي محمد إلا بقتل أربعة ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة لشدة إيذائهم للنبي محمد والمسلمين .

وفي التقييد والحصر الزمني لحلية مكة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بساعة من نهار مسائل :

الأولى : بعث السكينة في نفوس أهل مكة في يوم الفتح وما بعده من الأيام ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٢) .

الثانية : نهي الصحابة من المهاجرين والأنصار عن الإساءة أو التعدي على أهل مكة .

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٤١٥/٢٢ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧ .

الثالثة : دعوة مسلمي مكة إلى عدم الثأر أو البطش بالذين كفروا من أهل مكة .

الرابعة : بيان قدسية مكة ، وإن تمادى أهلها في الظلم والتعدي .
(وعن أنس ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة يوم الفتح وذقنه على رحله متخشعا)^(١) .

إسلام عكرمة بن أبي جهل

لقد شرب العداوة للنبي عكرمة بن أبي جهل محمد من أبيه عمرو بن هشام المخزومي أبي جهل ، فهرب يوم فتح مكة إلى اليمن عن طريق البحر ، فذهبت زوجته أم حكيم إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأخبرته بهروبه خشية قتل النبي له وسألته أن يأمنه ، فقال لها : هو آمن . فغادرت مكة للحاق به ، ومعها غلام لها رومي ، فجعل يراودها في طريق السفر عن نفسها ، حتى قدمت على حي من عك فاستغاثتهم عليه فاوثقوه رباطاً ، وأدركت عكرمة على أحد السواحل شاهدهة وقد ركب البحر ، فنادته وألحت عليه .

وقالت : يا ابن عم ، جئتك من عند أوصل الناس وأبر الناس وخير الناس ، لا تهلك نفسك .

وقالت له : إني قد استأمنت لك محمداً رسول الله ، وحينما ذكرت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصفة النبوة علم أنها أسلمت ثم أخبرته بأنها أخذت له الأمان ، قال أنت فعلت ، قالت نعم ، أنا كلمته فأمنك فرجع معها وأسلم .

ليبان مسألة وهي حتى الذي أباح النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم دمه يوم فتح مكة على كثرة إيذائه وعداوته له وللمسلمين سرعان ما عفا عنه بسؤال امرأة .

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٥٥٥/٣ .

العفو عن عبد الله بن سعد بن أبي السرح

ولد سنة (٢٣) قبل الهجرة دخل الإسلام بعد البعثة ثم ارتد وصار يفترى على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويصد الناس عنه .

وقد تقدم الكلام عنه في الجزء الواحد والستين بعد المائتين .

و(عن ابن عباس قال : كان ابن أبي سرح يكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأزله الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم أن يقتل، فاستجار له عثمان)^(١).

الذي سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأمنه .

وعن (علي بن جدعان عن ابن المسيب أن رسول الله أمر بقتل ابن أبي سرح يوم الفتح، فشفع له عثمان)^(٢).

وهو أخو عثمان من الرضاعة فاستعمله على خراج مصر ، وعزل عنه عمرو بن العاص الذي أقره على الصلاة والجنود فتداعيا ، وأشتكى كل منهما لعثمان صاحبه .

و(أقام عبد الله بن سعد بعسقلان، بعد قتل عثمان، وكره (أن يكون مع) معاوية، وقال: لم أكن لاجامع رجلا قد عرفته، إن كان ليهوى قتل عثمان)^(٣).

وتوفي أيام خلافة الإمام علي عليه السلام .

وفي عفو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عنه شاهد على صفحه عن أهل مكة ، لتبقى آية البحث من إعجاز القرآن ، وقانون السنة النبوية مرآة للقرآن .

إن نزول ﴿فَاصْفَحْ الصَّحْحَ الْجَمِيلَ﴾^(٤) في مكة قبل الهجرة .

(١) سير أعلام النبلاء ٣/٣٤ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/٣٤ .

(٣) سيرة أعلام النبلاء ٣/٢٥ .

(٤) سورة الحجر ٨٥ .

مصاديق الصبح يوم الفتح

لقد تجلت مصاديق للصبح النبوي الجميل في السنة النبوية يوم الفتح من وجوه :

الأول : دخول النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مكة مسلماً من غير قتال .

الثاني : منع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه من القتل أو النهب أو السبي يوم فتح مكة .

الثالث : العفو العام عن أهل مكة .

وعندما جمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجالات قريش عند البيت الحرام وسألهم (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فَيْكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ وَأَبْنُ أَخٍ كَرِيمٍ)^(١).

ولم يقولوا له أنك رسول الله ، وأنت نبي الرحمة إنما ذكروا صلة القربى وحدها ومع هذا أجابهم بالقول : اذهبوا فانتم الطلقاء ، ومعنى الطلقاء هنا أنهم احرار ولم يستعبدوا .

ومع أن الحديث رواه ابن إسحاق من غير سند فان صفة الطلقاء لأهل مكة الذين دخلوا الإسلام يوم الفتح وما بعده ، وارد في السنة النبوية . وبالإسناد (عن جرير بن عبد الله، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالطَّلَاقُ مِنْ قُرَيْشٍ، وَالْعِتْقَاءُ مِنْ ثَقِيفٍ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)^(٢).

الرابع : ترك النبي محمد للدور التي اغتصبت منه ومن المهاجرين ، وتم بيعها من قبل عقيل بن أبي طالب وأبي سفيان وغيرهما .

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٤١١/٢.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٣٣٠/٧.

الخامس : صلة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع ذوي قرباه ، وتلييه ما يطلبه الناس وفق الشريعة .

السادس : إجابة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن أسئلة قريش وسماع شكواهم ، وقد ورد لفظ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ خمس عشرة مرة في القرآن ، كلها خطاب من عند الله عز وجل إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع مجئ الجواب من عند الله عز وجل ، كما في قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(١).

السابع : منع الصحابة من الثأر لقتلاهم في معارك الإسلام الأولى .
الثامن : عفو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن آذاه وظلمه .
التاسع : نصب والياً على مكة من أهلها ، ومن دخل الإسلام يوم الفتح وهو عتاب بن أسيد شاب من بني أمية عمره عشرون سنة ، وحج بالناس تلك السنة سنة ثمان للهجرة ، وعن (عمرو بن أبي عقرب سمعت عتاب بن أسيد وهو مسند ظهره إلى بيت الله وهو يقول والله ما أصبت في عملي هذا الذي ولاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا ثوبين معقدين فكسوتهما كيسان مولاي)^(٢).

وبقي والياً على مكة إلى حين وفاته (وقال محمد بن سلام وغيره جاء نعي أبي بكر إلى مكة يوم دفن عتاب بن أسيد بها)^(٣).

العاشر : السماح للمشركين بالحج في السنة الثامنة إذ تم الفتح في شهر رمضان منها ، فحج المسلمون وحج المشركون من غير خصومة لقوله تعالى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ

(١) سورة الإسراء ٨٥.

(٢) تهذيب الكمال ١٩/٢٨٣.

(٣) تهذيب الكمال ١٩/٢٨٣.

وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزِدُّوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١﴾.

نعم في السنة التاسعة بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الإمام علي عليه السلام بسورة براءة ، وأنه لا يحج مشرك بالبيت .

التفسير بالتقدير

تقدير ﴿فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾^(٢) فيه وجوه :

- الأول : يا أيها النبي اصفح الصفح الجميل .
- الثاني : اصفح الصفح الجميل في مكة وبعد الهجرة إلى المدينة .
- الثالث : اصفح الصفح الجميل عن المؤمنين والناس جميعاً .
- الرابع : اصفح الصفح الجميل لقانون الملازمة بين النبوة والصفح الجميل .

- الخامس : اصفح الصفح الجميل في حال السلم والقتال .
- السادس : اصفح الصفح الجميل تأديباً للمسلمين وهداية للناس .
- السابع : فاصفح الصفح الجميل عمن أساء لك ، وللتنزيل .
- الثامن : فاصفح الصفح الجميل عن الذين حاربوك ويحاربونك في معركة بدر وأحد والخندق وحنين .

وآية البحث مكية ، ومن إعجازها أن الشأن والحكم دلالتها بصيرورة الحكم للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي يصفح أو يعاقب ، وتقدير الآية : أن الحكم سيكون لك وستفتح لك مكة ، فلا بد أن تصفح وتعفو ، وهو من الشواهد بسلامة آية البحث من النسخ .

(١) سورة البقرة ١٩٧.

(٢) سورة الحجر ٨٥.

التاسع : فأصفح الصفح الجميل لأن مقاليد الأمور بيد الله الذي له ملك السموات والأرض ، فمن إعجاز آية البحث ابتداؤها بقوله تعالى ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ... ﴾ (١).

العاشر : فأصفح الصفح الجميل الذي يصلح المجتمعات ، ويبقى إرثاً للحكام والعلماء وعامة المسلمين ، قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢).

الحادي عشر : فأصفح الصفح الجميل الخالي من العقاب والإعراض والهجران .

الثاني عشر : فأصفح الصفح الجميل الذي لا تبقى معه ضغينة .
الثالث عشر : فأصفح الصفح الجميل عمن يستحقه ومن لا يستحقه لأصالة الإطلاق .

الرابع عشر : فأصفح الصفح الجميل عن عباد الله ، قال تعالى ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٣).

الخامس عشر : يا أيها الذين آمنوا اصفحوا الصفح الجميل .
السادس عشر : الصفح الجميل من مصاديق قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٤).

السابع عشر : بعث الصفح الجميل السكينة في النفوس .

(١) سورة الأحقاف ٣.

(٢) سورة الأحزاب ٢١.

(٣) سورة الزمر ٥٣.

(٤) سورة الأنبياء ١٠٧.

الثامن عشر: فاصفح الصفح الجميل ليكون باباً لتوبة الذي تصفح عنه وغيره .

ويستقرأ قانون الصفح إحسان من قوله تعالى ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، وهذه الآية من سورة المائدة وهي آخر آيات القرآن نزولاً لبيان أن الصفح غير منسوخ .

وجمعت الآية أعلاه بين العفو والصفح وتام الآية هو ﴿فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

وقال تعالى ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

لذا ذهب بعض العلماء لجواز ابتداء اليهود والنصارى بالسلام وليس الرد وحده للإطلاق الوارد في الآية أعلاه .

لماذا الصفح بعد الخلق العام وذكر الساعة

من أسرار آية البحث ابتداؤها بالإخبار عن خلق الله عز وجل لجميع الخلائق ، إذ ذكرت أربعة أمور :

الأول : خلق الله عز وجل للسموات بصيغة الجمع .

الثاني : خلق الله الأرض بصيغة المفرد ، وتحتل هذه الصيغة جهات :

الأولى : ليس من أرض إلا التي نحن عليها .

الثانية : الأرض اسم جنس .

(١) سورة المائدة ١٣ .

(٢) سورة المائدة ١٣ .

(٣) سورة الزخرف ٨٩ .

الثالثة : تعدد الأرضين لقوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(١) .

ولم يرد لفظ ﴿مِثْلَهُنَّ﴾ ولفظ ﴿تَنْزَلُ﴾ ولفظ ﴿بَيْنَهُنَّ﴾ في القرآن إلا في هذه الآية ، وفيه جهتان :

الأولى : إرادة طبقات سبعة لذات الأرض التي نحن عليها .

الثانية : المراد تعدد الأرضين ، وهو الذي يدل عليه ظاهر هذه الآية القرآنية وأحاديث نبوية متعددة منها قوله (من غصب شبراً من أرض طوقه من سبع أرضين)^(٢) .

وعن (سعيد بن زيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين)^(٣) .
وعن (صهيب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم ير قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها : اللهم رب السماوات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين فإننا نسألك خيراً هذه القرية ، وخيراً أهلها ، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها)^(٤) .

وقال ابن كثير (ما يذكره كثير من أهل الكتاب وتلقاه عنهم طائفة من علمائنا من أن هذه الأرض من تراب والتي تحتها من حديد والأخرى من حجارة من كبريت والأخرى من كذا .

(١) سورة الطلاق ١٢ .

(٢) المحرر الوجيز ٦/٣٧٥ .

(٣) تفسير ابن كثير ٢/١٥٢ .

(٤) الدر المنثور ٦/٣٦٧ .

فكل هذا إذا لم يخبر به ويصح سنده إلى معصوم فهو مردود على قائله وهكذا الأثر المروي عن ابن عباس أنه قال في كل أرض من الخلق مثل ما في هذه حتى آدم كأدمكم وإبراهيم كإبراهيمكم^(١).

لقد ذكرت آية البحث بداية الخلق تم انطوائه والنفخ في الصور ، قال تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(٢).

ولم يرد لفظ (نطوي) (كطي) (السجل) (للكتب) (بدأنا) (نعيد) إلا في الآية أعلاه .

ليان أن الصفح أمر حسن وجميل ، وأن عالم الحساب قريب ، ومن معاني الصفح والعفو أنه لا يضر الرسالة والتنزيل وهو من أسرار سلامة الآية من النسخ .

لقد ارتقت علوم الفضاء كثيراً في هذا الزمان بطفرات مبهرة ، وتجلى قانون عجز العلماء عن إكتشاف الأفلاك وعالم الأكوان كله ، ومع هذا يظنون بوجود حياة في كواكب أخرى ، وإن لم تكن هناك ملازمة بين الأرض والسكن فيها .

فالقدر المتيقن من صيغة الجمع في الأرضين هو التشابه في السنخية وبيان بديع صنع الله وعظيم قدرته .

وقد يكتشف العلماء أهلية بعض الكواكب لعيش الإنسان ، وقد تتحول بعض الكواكب من انعدام الحياة فيها إلى إمكان حياة البشر والأنعام والزراعة فيها ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾^(٣).

(١) البداية والنهاية ٢١/١.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٤.

(٣) سورة الروم ٤.

الثالث : أخبرت آية البحث عن دنو وقرب يوم القيامة ، ووقوف الناس بين يدي الله للحساب .

الرابع : توجه الأمر إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالصفح والعفو عن الناس .

معاني الآية شواهد على السلامة من النسخ

من معاني آية البحث وجوه :

الأول : يخاطب الله عز وجل النبي محمداً وأجيال المسلمين بأن خلق السموات والأرض وما بينهما كله بمشيئة الله ، وهو العالم الخبير بها ، فأصفحوا واعفوا عن الناس .

الثاني : لا تبطشوا بالمشركين خشية منهم أو عقوبة لهم فهم إلى هلاك ، قال تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُلَهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(١) .

الثالث : اذا استحضر المسلم أن السموات والأرض كلها ملك لله عز وجل يهون عليه شأن المشركين ، ويدرك أن الصفح عن الناس طاعة لله عز وجل ، بدليل هذه الآية الكريمة ، وفيه قرينة إليه تعالى .

الرابع : قانون الصفح طريق إلى الهداية والصلاح لإقترانه المعجزات الحسية والعقلية .

ومن إعجاز القرآن قانون اتصال موضوع وأثر ونفع الآية القرآنية مع غيرها من الآيات القرآنية .

الخامس : بالصفح الجميع إشاعة للأمن والسلم المجتمعي ، ونهي عن العنف والبطش والثار .

وتتضمن الآية ثلاثة أمور :

(١) سورة آل عمران ١٤٠ .

الأول : وجوب مبادرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الصفح عن الذين كفروا ، وتتجلى المبادرة في المقام بورود الفاء في (فاصفح).

الثاني : الأمر إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم المسلمين للصفح عن الذين كفروا لصيغة الأمر في الآية ، والتي تحمل على الوجوب إلا مع القرينة على الإستحباب .

الثالث : نشر مفاهيم السلام في الأرض ، وبعث الطمأنينة في نفوس الناس من الإسلام ، وعدم الوقوف عند الصفح الجميل ، لتكون هذه الوجوه من إعجاز الآية ونظمها ، وقال الماوردي في الصفح في الآية (أنه الهجر الخالي من ذم وإساءة ، وهذا الهجر الجميل قبل الإذن في السيف)^(١).
الرابع : التهديد والوعيد لمن يبقى في مستنقع الكفر بعد الصفح الجميل والسلام بقوله تعالى ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ومنه الإخبار عن خسارتهم في معارك الإسلام الأولى ، وقرب فتح مكة .

قانون الصفح من الخلق العظيم

لقد جعل الله عز وجل سنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم القولية والفعلية معجزة حسية من معجزاته بالتحدي الوارد في قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) لبيان قانون كل قول وفعل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الخلق العظيم في كل أحواله ، وهو من خصائصه وفيه وجوه :

الأول : الحياة الأسرية ، وصلة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع أزواجه وأهل بيته ، وعن (أبي كبشة الأنماري ، يقول : سمعت رسول الله

(١) النكت والعيون ٣٤٣/٤ .

(٢) سورة القلم ٤ .

صلى الله عليه وآله وسلم يقول : خيركم خيركم لأهلكم وأنا خيركم لأهلي^(١).

وفيه حاجة لأجيال المسلمين لوجوب اتباع سنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وما في هذا الاتباع من أسباب الإستقرار والصلاح المجتمعي ، وإتخاذ البيت مدرسة في توارث عبادة الله عز وجل بحسب الكتاب والسنة .

الثاني : بيان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأحكام الشريعة الإسلامية بسعة صدر مع الناس ، وتكرار التبيان على المنبر ، وفي المجالس وحال السفر ، وإعانة المسلمين والمسلمات لأداء وظائفهم العبادية .

الثالث : الكرم والسخاء ، وإنفاق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الأموال حال وصولها إليه ، وربما انفق مائتي ألف وثلاثمائة ألف درهم في اليوم ، ثم يأتي المساء وليس من نار توقد لعشاء في بيوت أزواجه ، وهن يرين هذا الأمر وكأنه من المتضادين إنما هو من الخلق العظيم فأكرمهن الله عز وجل بمرتبة أمومة المؤمنين بقوله تعالى ﴿التَّبِيِّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ...﴾^(٢).

الرابع : قانون امتناع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن الإبتداء بقتال المشركين ، وفيه شواهد عديدة ، كما في كل معركة من معارك الإسلام الأولى .

وقد ذهب ابن جزى الكلبي في التسهيل لعلوم التنزيل إلى القول بأن في الآية مهادنة للكفار ، وأنها منسوخة بالسيف ، ولا دليل عليه من وجوه :
الأول : التباين الموضوعي بين الصفح الجميل وبين مهادنة الكفار .

(١) الأحاد والمثاني ١٥٣/٧.

(٢) سورة الأحزاب ٦.

الثاني : أصالة الإطلاق الزمني في حكم الآية القرآنية إلا مع الدليل على التخصيص .

الثالث : الحسن الذاتي للصفح مطلقاً .

الرابع : صفح النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن الناس من مصاديق قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(١) .

الخامس : قانون الملازمة بين النبوة والصفح عن الناس .

لقد أراد الله عز وجل بقوله تعالى ﴿ فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ العفو عن الإساءة بجلم من دون لوم أو عتاب أو تذكير بالذنب وقبحه ، أو مع التهديد بالانتقام وتأسيس قانون الصفح الجميل بين المسلمين والناس جميعاً وهو من أسرار حفظ وتوثيق المسلمين للسنة النبوية القولية والفعلية لتكون نبراساً وضياءاً .

تقدير آية الرحمة العامة

قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٢) وتقدير الآية على وجوه

منها :

الأول : وما أرسلناك يا محمد إلا رحمة للعالمين) ليؤمنوا بك ويتبعوك .

الثاني : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) لأن الدنيا دار رحمة الله عز

وجل .

الثالث : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فاعمل بالقرآن والوحي .

الرابع : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) لينزل عليك القرآن ﴿ تَبَيَّنَا لِكُلِّ

شَيْءٍ ۗ ﴾^(٣) وعن (ابن عباس في قوله ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ ﴾^(١) قال : فضله

(١) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٣) سورة النحل ٨٩ .

الإسلام ورحمته القرآن^(١) ليكون من معاني الآية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣) برحمة تنزيل عامة .

الخامس : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) من المسلمين وأهل الكتاب والناس جميعاً ، وفي المرسل عن (ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله بعثني رحمة مهداة)^(٤).

السادس : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) تهدي الناس إلى سبل الرشاد ومصالحهم في الدنيا وأسباب الفوز في الآخرة .

السابع : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) لتحكم بين الناس .

الثامن : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) لتبقى مصاديق الرحمة عند أجيال أمتك إلى يوم القيامة .

التاسع : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فأصبر على أذى المشركين حتى يفتح الله عز وجل ، وهل تدل هذه الآية على نصر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتولييه الحكم بين الناس ، الجواب نعم .

العاشر : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فلا تبدأ قتالاً .

الحادي عشر : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾^(٥).

الثاني عشر : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) للبر والفاجر

و﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٦) .

(١) سورة يونس ٥٨ .

(٢) الدر المنثور ٥/٢٤٣ .

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٤) تفسير ابن كثير ٥/٣٨٦ .

(٥) سورة الحجر ٨٥ .

(٦) سورة التوبة ١٢٨ .

ليبان أن النسبة بين عامة الناس والمؤمنين في المقام عموم وخصوص مطلق بزيادة الرأفة بالمؤمنين ، وهو من إعجاز القرآن والدقة والتفصيل في وظائف النبوة .

الثالث عشر : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فارض بالصلح مع المشركين ، وقد تم صلح الحديبية بشروط فرضها المشركون ، ليكون الداخلون في الإسلام في السنتين بينه وبين فتح مكة أكثر من الداخلين فيه بمجموع السنين التسع عشرة التي سبقته من حين البعثة النبوية .

الرابع عشر : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) من الإنس والجن من حين البعثة وإلى يوم القيامة .

قال ابن زيد (﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) يعني المؤمنين خاصة) ولا أصل لهذا التخصيص ، وهو خلاف الكتاب والسنة القولية والفعلية (وعن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله بعثني رحمة للعالمين وهدى للمتقين)^(٢) .

ومع شدة أذى قريش للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في معركة بدر وأحد فقبل له (ألا تلعن قريشاً بما أتوا إليك ، فقال : لم أبعث لعاناً إنما بعثت رحمة يقول الله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣)^(٤) .

وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت ١٨٢ هجرية) من تابعي التابعين .

(١) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٢) الدر المنثور ١١٢/٧ .

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٤) الدر المنثور ١١٢/٧ .

و(قال ابن عباس : هو عامّ فمن آمن بالله واليوم الآخر كتب له رحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن عوفي بما أصاب الأمم من المسخ والحسف والقذف)^(١).

الخامس عشر : ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فيتبعك المؤمنون وتقتبس منك ومن أمتك الأمم الأخرى .

السادس عشر : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) ففي كل يوم هناك من يدخل الإسلام ويتبع سنتك .

السابع عشر : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) باقامتك وأمتك الصلاة اليومية فيدفع الله عن الناس أنواع العذاب .

الثامن عشر : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) ليبدأ نزول الرزق الوفير والبركة على أهل الأرض .

وهو ظاهر في أحوال العرب قبل البعثة النبوية وشدة الفقر التي كانوا عليها ، حتى أنهم كانوا يقتلون أولادهم ﴿خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ﴾^(٢)، لتبسط الدنيا وتتسع الأرزاق في الجزيرة وما حولها إلى يومنا هذا.

لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتهما وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي .

فتقدم أبو عبيد بماله من البحرين فسمعت الانصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انصرف فتعرضوا له.

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين رآهم قال أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشئ من البحرين قالوا أجل قال أبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما من الفقر أخشى عليكم ولكنني أخشى عليكم ان تبسط

(١) الكشف والبيان للثعلبي ١٧٤/٩.

(٢) سورة الإسراء ٣١.

الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوا فيها كما تنافسوا وتهلككم كما أهلكتهم^(١).

التاسع عشر : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) في الدنيا والآخرة ، إذ يفوز الذين يتبعونك باللبث الدائم في النعيم .

العشرون : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فابليغ الناس جميعاً رسالتك ، قال تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا...﴾^(٢).

آيات الرحمة مدرسة

يستحب تخصيص باب ودراسة أكاديمية لكل من :

الأول : الشواهد القرآنية التي تدل على أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رحمة للعالمين .

الثاني : الشواهد من السنة القولية والفعلية التي تدل على أن النبي محمداً رحمة للعالمين .

الثالث : قانون حاجة النبوة للصفح عن الناس .

في آية البحث مسائل :

الأولى : من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه يصفح الصفح الجميل .

الثانية : قانون لزوم انتهاج المسلمين الصفح عن الناس .

الثالثة : بيان الأصل في الحياة الدنيا أنها دار الصفح .

الرابعة : قانون الصفح قهر للنفس الغضبية والشهوية .

الخامسة : الأجر والثواب على الصفح والعفو والتسامح .

وهل يشترط فيه قصد القربة ، الجواب لا ، لما فيه من مرتكز النية بأنه امتثال لأمر الله ، واقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) النسائي / السنن الكبرى ٢٣٤/٥ .

(٢) سورة الأعراف ١٥٨ .

الآية الثالثة والسبعون : قوله تعالى ﴿لَا تَمْدَنَّ عَيْنِكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا

بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

القائلون بنسخ هذه الآية

ذكر أن الآية منسوخة كل من :

الأول : ابن سلامة إذ قال (قوله تعالى ﴿لَا تَمْدَنَّ عَيْنِكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ﴾

هذا قبل أن يؤمر بالقتال ، ثم صار ذلك منسوخا بآية السيف)^(٢).

الثاني : ابن حزم في الناسخ والمنسوخ في (قوله تعالى : (لا تمدن عينيك

إلى ما متعنا به أزواجا منهم...)^(٣) نسخت بآية السيف)^(٤).

الثالث : الكرمي في الناسخ والمنسوخ (قوله تعالى لا تمدن عينيك إلى ما

متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين منسوخة بآية السيف)^(٥) أي أنه ذكر الآية كلها .

الرابع : قال المقرئ في الناسخ والمنسوخ (كان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم

ثم صار ذلك منسوخا بآية السيف)^(٦).

وأغلب علماء التفسير لم يذكر نسخ آية البحث لسلامة موضوعها من

النسخ ، فهي خطاب خاص إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وتلحق به أجيال المسلمين إلى يوم القيامة لإرادة عدم الإفتتان بما عند

الأغنياء من الكفار من المال والجاه وكثرة الأسفار .

(١) سورة الحجر ٨٨.

(٢) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة ١٨/١.

(٣) سورة الحجر ١٥.

(٤) الناسخ والمنسوخ لابن حزم ٤٣/١.

(٥) الناسخ والمنسوخ للكرمي ٢٩/١.

(٦) الناسخ والمنسوخ للمقرئ ١١١/١.

ومن مصاديق آية البحث قوله تعالى ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْنَا حَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) أي لا تنظر وترغب فيما عند أصناف الكفار من زينة وبهجة الحياة الدنيا ، ووصفت بأنها زهرة أي كالزهر فانه جميل المنظر ولكنه سريع الذبول والذهاب .

والنسبة بين موضوع الآية أعلاه وبين آية البحث عموم وخصوص مطلق ، فهذه الآية أعم ولا يختص موضوعها بكثرة أسفار الذين كفروا ، إنما تشمل كثرة الأموال والجاه ، والأزواج والأولاد وكثرة البناء والزراعات ونحوها ، وهي إلى زوال ولا ينفع الإنسان في قبره وآخرته إلا الإيمان والعمل الصالح .

وفي الآية دعوة للمسلمين للرضا بما قسم الله عز وجل ، والشكر على نعمة الإيمان ونزول القرآن ، واستحضاره ضياء ينير سبل الرشاد في العبادات والمعاملات .

وقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (مَنْ أُوتِيَ الْقُرْآنَ ، فَرَأَىٰ أَنْ أَحَدًا أُعْطِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُعْطِيَ ، فَقَدْ عَظَّمَ صَغِيرًا وَصَغَّرَ عَظِيمًا)^(٢) .
وتبين الآية أن ما عند الذين كفروا من النعم فتنة لهم ، ويلزم ألا يكون فتنة للمسلمين لأن الله عز وجل رزقهم القرآن وأداء الصلاة والفرائض العبادية وهو أعظم رزق ومن عظمتها أنها تحضر في الآخرة كجبال من الحسنات ، والمراد من لفظ ﴿أَزْوَاجًا﴾^(٣) أي أفراداً وجماعات .

ولم يرد لفظ ﴿زَهْرَةٌ﴾ في القرآن إلا في سورة طه في قوله تعالى ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ

(١) سورة الحجر ٨٨ .

(٢) تفسير الثعالبي ٣٢٧/٢ .

(٣) سورة الحجر ٨٩ .

وَأَبْقَى ﴿١﴾ ، وهي بذات موضوع آية البحث ، وزهرة الحياة الدنيا زينتها وحسنها وبهجتها ، وكذا الأموال والأولاد والجاه فيها ، ولو تنزلنا وقلنا بنسخ آية السيف لآية البحث فما يكون تقدير الآية خاصة وأنها تتضمن النهي عن النظر والرغبة بما في أيدي الناس .

وتكون هذه النعم عند المشركين استدراجاً وامتحاناً لهم ، ودعوة لهم للإقرار بالعبودية لله ، وأنه هو الرزاق الكريم ، ومن يقيم على الكفر والضلالة فإن هذه النعم تكون حجة عليه في الدنيا والآخرة لركوبه المعصية بها ولإمتماعه عن تسخيرها في طاعة الله ، ولركون المعصية بها .

طلب رهن من النبي (ص)

في أسباب نزول آية البحث ورد عن الصحابي (أبي رافع قال : أضاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ضيفاً ولم يكن عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يصلحه ، فأرسلني إلى رجل من اليهود أن بعنا أو أسلفنا دقيقتاً إلى هلال رجب .

فقال : لا ، إلا برهن .

فأتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته فقال : أما والله إنني لأمين في السماء أمين في الأرض ، ولو أسلفني أو باعني لأدبت إليه ، اذهب بدرعي الحديد .

فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية ﴿لَا تَمْدَنَّ عَيْنُكَ إِلَى مَا

مَعَّنَا بِهِ أَرْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ (٢) كأنه يعزبه عن الدنيا (٣).

وفيه مسائل :

(١) سورة طه ١٣١ .

(٢) سورة الحجر ٨٨ .

(٣) الدر المنثور ٤٥/٧ .

الأولى : لم يقتض النبي صلى الله عليه وآله وسلم لنفسه وعياله وكانوا يصبرون على الجوع ، إنما جاءه ضيف وأراد إكرامه .

الثانية : من السنة القولية والفعلية إكرام النبي محمد للضيف ، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)^(١) .

الثالثة : وجود اليهود مجاورين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة .

الرابعة : نقل الصحابة الأقوال والأخبار إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الخامسة : لم يغضب النبي محمد من شرط اليهودي طلب الرهن ، وهل هو من الصّحح الجميل في قوله تعالى ﴿فَاصْحَحْ الصَّحْحَ الْجَمِيلَ﴾^(٢) ، الجواب نعم .

السادسة : بيان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن أهل السموات وأهل الأرض يعلمون أنه أمين ، وكانت قريش تسميه قبل البعثة (الأمين) .
(وكانت قريش تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم الامين)^(٣) .

السابعة : نزول القرآن تعزيد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لتكون توثيقاً سماوياً للواقعة ، وفيه شاهد على سلامة الآية من النسخ لعموم الخطاب وشموله المسلمين ، وبقاء حكم الآية وما فيها من التأديب والإصلاح العام والسلم المجتمعي .

الثامنة : حرص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على أن يكون في المعاملات واحداً من البشر وأسوة لهم لتأديب الملوك والأمراء والعلماء

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ١/٢١٣ .

(٢) سورة الحجر ٨٥ .

(٣) ابن كثير / السيرة النبوية ١/٢٨١ .

بالتأسي بسنته ، قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ ۚ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ۝﴾ (١).

التاسعة : تواضع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بشواهد كثيرة وكان يجلس بين أصحابه كواحد منهم ليس من مجلس خاص يميزه ، حتى إذا أتى الغريب لا يعرفه فيسأل عن رسول الله ، فيشيرون إليه ، لقانون التواضع من الخلق العظيم في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾ (٢).

قانون استدراج الكافر

قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾ (٣).
من سعة رحمة الله في الدنيا إسباغ النعم ، ومجيؤها للمؤمن والكافر ، ويلزم الشكر عليها ، ولكن الكافر يتخلف عن مقامات الشكر لله عز وجل ، فتكون هذه النعم حجة عليه .

(وعن السدي ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ ۝﴾ (٤) يقول : كف عنهم وأخرهم على رسلهم ان مكري شديد ، ثم نسخها الله فأنزل الله ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ... الآية ٥﴾ (٥) (٦).
والأصل أن الآية محكمة .

وتبين آية البحث قانوناً وهو ما عند الذين كفروا من النعم استدراج لهم ، وحجة عليهم ، ومادة لفتنتهم وافتتانهم بها ، وقال تعالى فيما أنعم على

(١) سورة الكهف ١١٠.

(٢) سورة القلم ٤.

(٣) سورة الأعراف ١٨٢.

(٤) سورة الأعراف ١٨٣.

(٥) سورة التوبة ٥.

(٦) الدر المنثور ٤/٣٧٩.

الإنسان مطلقاً ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ * ولساناً وشفقتين * وهديناها للنجدين ﴿١﴾ أي سبيل الخير والشر ، مع تقريب سبل الخير لكل إنسان ، وكلما تقرب منها زاد الله عليه من لطفه وفضله .

وأما من اختار طريق الكفر والضلالة والشر فان هذه النعم تكون وبالاً عليهم ومادة للحساب والعقاب يوم القيامة ، ولييان قانون الإيمان سبب لاستدامة النعم .

وفي مرسلة مكحول قال (قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : يقول الله يا ابن آدم قد أنعمت عليك نعماً عظيماً لا تحصي عدداً ، ولا تطيق شكرها ، وإن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما ، وجعلت لهما غطاء فانظر بعينيك إلى ما أحللت لك ، فإن رأيت ما حرمت عليك فأطبق عليهما غطاءهما .

وجعلت لك لساناً وجعلت له غلاًفاً فانطق بما أمرتك وأحللت لك ، فإن عرض لك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك .
وجعلت لك فرجاً وجعلت لك ستراً فأصعب بفرجك ما أحللت لك ، فإن عرض لك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك . ابن آدم إنك لا تحمل سخطي ولا تستطيع انتقامي) ﴿٢﴾ .

تجدد مضامين آية البحث

آية البحث محكمة ومضامينها تجري مع الأيام والليالي ، وتخطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين في كل زمان وتدعوهم لأمر :
الأول : الصبر ، والتأسي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا التأسي من أسرار توجه الخطاب فيها إليه ، ومن خلفه أجيال المسلمين .
الثاني : الإقامة على أداء الفرائض العبادية .

(١) سورة البلد ٧-٩ .

(٢) الدر المنثور ١٠/٢٧٠ .

الثالث : إتخاذ المسلمين آية البحث للوعظ والإنذار ، والإحتجاج على الذين كفروا.

الرابع : بيان مسائل :

الأولى : قانون الرزق كما وكيفاً وأواناً بيد الله عز وجل.

الثانية : قانون لا ملازمة بين الإيمان وسعة الرزق ، وهو من وجوه الإبتلاء والإختيار في الدنيا.

الثالثة : قانون ليس من ملازمة بين الكفر وضمنك العيش ، لأن الدنيا دار امتحان واختبار .

الرابعة : قانون الدنيا ذلول للإنسان برأ أو فاجراً .

الخامس : احتراز المسلمين من الفتنة والإفتتان عند انبساط الدنيا لهم .

لقد أراد الله عز وجل للمسلمين إدراك أن الإيمان أعظم نعمة .

ويدل حديث (أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :

إن أخوف ما أخاف عليكم ، ما يفتح الله لكم من زهرة الدنيا .

قالوا : وما زهرة الدنيا يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال :

بركات الأرض^(١) على معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من

علم الغيب بإخراج الأرض كنوزها للمسلمين من النفط والذهب والمعادن

والزراعات إلى جانب بركات السماء من المطر والغيث .

ليشكر المسلمون الله عز وجل بالعمل الصالح ونشر ألوية السلم

والإحسان للناس ، وإخراج الزكاة والحقوق الشرعية وإيصالها إلى

مستحقيها.

ولتكون حجة عليهم فلا يلتفتوا إلى ما عند الكفار من النعم ، إذ اجتمع

عند المسلمين الإيمان والنعم الدنيوية والشكر لله عز وجل عليها ، قال تعالى

﴿لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٢).

(١) الدر المنثور ٤٥/٧ .

(٢) سورة إبراهيم ٧ .

وهذا الحديث من مصاديق قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(١) .

وليجمع هذا الحديث الشهادة والبشارة والإنذار معاً وهو من مصاديق مجئ النبي محمد بجوامع الكلم وقانون اجتماع المصاديق والمعاني المتعددة في اللفظ القرآني أو النبوي وكلاهما من الوحي ، ولكن الآية القرآنية تنزيل بالنص وهو قطعي الصدور قطعي الدلالة .

قانون الحصانة الإيمانية من الإفتتان

الحصانة من الإفتتان بما عند الذين كفروا من النعم ، وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (أدبني ربي فأحسن تأديبي) فأية البحث تأديب يومي متجدد للمسلمين تصاحب المسلمين في الأسواق والمنتديات ، وهي سلاح عقائدي وبقاهة في الدين ، فلا تصل إليها يد النسخ أو التخصيص ، وتقدير الآية بلحاظ الخطاب العام إلى المسلمين والمسلمات : ولا تمدوا عيونكم إلى ما متعنا به أزواجاً منهم .

ومن منافع الآية وسلامتها من النسخ منع الخلافات داخل الأسرة المسلمة ، فلا تسأل الزوجة حاجات وطلبات كثيرة ، ولا تطلب المشابهة والمحاكاة بينها وبين الذين كفروا بل تقتنع الأسرة المسلمة بما رزقها الله ، وترضى بالكفاف .

وعن (عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أصبح معافى في بدنه آمناً في سربه وعند قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها)^(٢) .

ليبان أن إحراز قوت اليوم نعمة عظيمة تكون برزخاً دون النظر والإفتتان بما عند الذين كفروا .

(١) سورة الأحزاب ٤٥ .

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ٥٣/٥ .

ومن خصائص آية البحث وسلامتها من النسخ أنها موضوع وحكم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيحث المسلمون بعضهم بعضاً على الشكر لله على نعمة الهداية والتقيد بأحكام الشريعة ، وعلى الإعراض عما في أيدي الذين كفروا من النعم لأنها فتنة لهم وإلى زوال ، قال تعالى ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وِبْسَ الْمِهَادِ﴾ (١) (٢).

وهذه الآية محكمة غير منسوخة ، إذ ان مضامينها القدسية باقية طيلة أيام النبوة وإلى يوم القيامة .
وتبين الآية صيرورة القناعة عند المسلمين حرزاً من الإغواء والطمع والظلم .

ومن معاني آية البحث وسلامتها من النسخ أنها واقية من الحسرة والأمراض النفسية التي يجلبها النظر إلى غنى الآخرين ، ومقارنته مع حال النقص والعوز الذاتية ، وقال تعالى ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٣).

وعن الإمام علي عليه السلام (القانع غني وإن جاع وعري) (٤).

من أقسام الخطاب

من الخطاب القرآني ما يكون خاصاً في لفظه عاماً في حكمه مثل قوله تعالى ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَآمَ الْغُيُوبِ * قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ (٥).

(١) سورة آل عمران ١٩٧.

(٢) أنظر الجزء الثامن والستين بعد المائتين من هذا السفر المبارك .

(٣) سورة التوبة ٨٥.

(٤) مستدرک الوسائل ١٥/١٨٥ .

(٥) سورة سبأ ٤٨-٤٩.

وأكثر خطابات القرآن إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من هذا القسم ، ومن الآيات تلقي المسلمين هذه الخطابات وكأنها موجهة إليهم على نحو العموم الإستقرائي والمجموعي والبدلي .

فصحيح ان الخطاب في الآية خاص إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا أنه عام يشمل أجيال المسلمين إلى يوم القيامة ، لذا ورد عن ابن عباس (في قوله ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ قال : نهى الرجل أن يتمنى مال صاحبه)^(١) أي أن الآية لا تختص بالنظر إلى ما عند الكفار بل هي مطلقة في عموم الناس .

لذا ورد (عن مجاهد في قوله ﴿أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ قال : الأغنياء ، الأمثال ، الأشباه)^(٢) .

وروي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (مر يابل بني المصطلق وقد عبست في أبوالها وأبعارها من السمن فتقنع بثوبه ثم مضى لقوله عز وجل ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَنَّآ بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ الآية)^(٣) .

ومعنى عبست أي التصقت وتجمدت أبوالها وجفت أبعارها على أفخاذها من كثرة الشحم والسمن في الإبل ، وفي الدر (عنست في سهو من النساخ .

وقد وردت كلمة (متعنا) ثلاث مرات في القرآن بخصوص النعم في الدنيا ، وجحود الذين كفروا بالنعم وعدم اتعاضهم بها . والآيات هي :

(١) الدر المنثور ٦/١١١ .

(٢) الدر المنثور ٦/١١١ .

(٣) تفسير القرطبي ١١/٢٣١ .

(٤) الدر المنثور ٦/١١١ .

الأولى : قال تعالى ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْنَا حَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

الثانية : قال تعالى ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقْنَاكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾^(٢).

الثالثة : ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٣).

قانون توالي وتتابع النعم

من خصائص الحياة الدنيا توالي النعم من الله على الناس البر والفاجر ، والمؤمن والكافر لأنها دار امتحان واختبار وابتلاء .

وهل علة النهي عن التطلع برغبة إلى ما في أيدي أصناف من الكفار هي ما أعطى الله عز وجل النبي محمداً من القرآن والسبع المثاني كما قال عدد من المفسرين ، الجواب إنها من مصاديق وأفراد هذه العلة ، إنما جاء النهي مطلقاً من وجوه :

الأول : توجه الخطاب في الآية إلى أجيال المسلمين والمسلمات بالإلحاق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : شمول موضوع النهي في الآية جميع الناس بما فيهم أهل الكتاب وأصناف الفقراء من الذين كفروا .

الثالث : قانون النهي العام عن الإفتتان بما في أيدي أصناف من الذين كفروا من كثرة الأموال والجاه لأنها فتنة واختبار .

(١) سورة الحجر ٨٨.

(٢) سورة طه ١٣١.

(٣) سورة الأنبياء ٤٤.

الرابع : قانون سرعة زوال النعم التي بأيدي الذين كفروا ، وحتى إذا لم تزول فإن أيامهم في الدنيا قصيرة ومحدودة سواء فيما يخص قلة أيام عمر الإنسان بالنسبة لأفراد الزمان الطولية أو بخصوص انقضاء تمتع الذين كفروا بالنعم بالفتح من عند الله ، قال تعالى ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَيَرَاهُ قَرِيبًا﴾^(١).

ويدل النهي الوارد في آية البحث عن التطلع برغبة وشوق لما في أيدي الذين كفروا على الوعد من عند الله عز وجل على توالي النعم على المسلمين وهو الذي تجلّى في الواقع.

وقد صدر الجزء الخامس والستون بعد المائتين من هذا السفر خاصاً بقوله تعالى ﴿لَا يَغْرَبُكَ قَلْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾^(٢) مع قلة كلمات هذه الآية .

وهل تقلب وكثرة أسفار الذين كفروا مما متعهم الله عز وجل به ، الجواب نعم .

فقد بدأت الدعوة الإسلامية والمسلمون الأوائل في حال عوز وفاقة ، وزاد منها شدة إيذاء رؤساء قريش لهم وضربهم الحصار الإقتصادي والاجتماعي على بني هاشم .

وقد وثق القرآن حال المسلمين في معركة بدر التي جرت في السنة الثانية للهجرة بأنهم أذلة إذ قال ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٣).

ولم تمر بضع سنين حتى توالى النعم والأموال والغنائم وانتعشت التجارة ، وصلحت الأسواق وإلى يومنا هذا .

(١) سورة المعارج ٦-٧.

(٢) سورة آل عمران ١٩٦.

(٣) سورة آل عمران ١٢٣.

استدامة موضوع آية البحث

من معاني سلامة آية البحث من النسخ استدامة موضوعها في كل زمان ، فهناك كفار أغنياء وكفار ذوو جاه وسلطان ، فعلى المسلم إلا يفتتن بهم ، ولا يستلزم هذا الأمر محاربتهم بالسيف أو قتالهم إنما تدعو آية البحث إلى التعاون والتكافل بين المسلمين ، وهو برزخ دون الإفتتان بما في أيدي المشركين ، وتدل هذه الظاهرة على أن الدنيا دار إمتحان وأختبار وأن الله عز وجل أراد المسلمين في كل سلامة الوقاية والإحتراز من الإفتتان بالنعمة التي عند الآخرين ، وأن يشكروا الله عز وجل على نعمة الإيمان ونزول القرآن وهي أعظم النعم .

وبخصوص كتاب الإمام علي عليه السلام إلى معاوية قال (ابن أبي الحديد : يوم أسر أخوك ، يعني يزيد بن أبي سفيان أسر يوم الفتح في باب الخندمة وكان خرج في نفر من قريش يحاربون ويمنعون من دخول مكة فقتل منهم قوم وأسرى يزيد بن أبي سفيان أسره خالد بن الوليد فخلصه أبو سفيان منه وأدخله داره فأمن لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن)^(١).

وعن الإمام جعفر الصادق عن أبيه عليهم السلام قال (إن رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة لم يسب لاهلها ذرية، وقال، من أغلق بابه وألقى سلاحه أو دخل دار أبي سفيان فهو آمن)^(٢).

وكذا قال الإمام علي عليه السلام في معركة يوم البصرة (لا تسبوا لهم ذرية، ولا تجهزوا على جريح ولا تتبعوا مدبرا، ومن أغلق بابه وألقى سلاحه فهو آمن)^(٣).

(١) البحار ٣٣/٩٥.

(٢) البحار ٢١/١١٧.

(٣) البحار ٩٧/١٧.

آية البحث ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾^(١) محكمة غير منسوخة ، وهي في جانب منها أجنبية عن آية السيف موضوعاً وحكماً وهو أمر ظاهر لغة ودلالة .

وفيها إصلاح وتأديب وبيان لحكم شرعي ، وإنذار للذين كفروا بزوال النعم التي عندهم ، وهذا الإنذار متجدد وهو رحمة عامة لما فيه من ثبات المسلمين في منازل الإيمان ، ودعوة للذين كفروا للتدارك والتوبة والإنابة . ومضامينها باقية إلى يوم القيامة ، ويتوجه فيها الخطاب إلى المسلمين والمسلمات ، وتبرز موضوعيتها في زمان العولمة والتداخل بين الأمم والشعوب ، ورؤية ما يمتاز به بعض الأغنياء من الثراء الفاحش ، والجاه العريض .

لتكون آية البحث مواساة للمؤمنين ، ودعوة للإجتهد في طاعة الله ، والدعاء والصبر ورجاء فضل الله في الدنيا والآخرة ، وبشارة توالي النعم عليهم .

قانون الشكر على النعم

في الآية وجوه :

الأول : تستلزم نعمة نزول القرآن الشكر لله عز وجل ، والإنشغال بالأمل منها .

الثاني : متعة الذين كفروا إلى زوال ، ولم يرد قوله تعالى ﴿مَتَّعْنَا﴾ إلا ثلاث مرات في ذات الموضوع ، قال تعالى ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْنَا حَتَّىٰ حَمَلَكُمُ الْمُنِينُ﴾^(٢) ليدل هذا التعدد على موضوعية النهي الوارد في آية البحث ، وبيان أنه وبال على الذين

(١) سورة الحجر ٨٨ .

(٢) سورة الحجر ٨٨ .

كفروا لتخلفهم عن الشكر لله عز وجل على النعم ويتجلى هذا الشك بطاعة الله ورسوله ، وإجتنا ب ما نهى عنه .

وقال تعالى ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي
الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(١).

إنما عند الذين كفروا نعم ظاهرة ، ووفرة في الأموال فنزلت الآية للزوم الصبر وتحمل الأذى والعوز في مرضاة الله ، ومنه هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرين إلى المدينة ، وتركهم أموالهم في مكة ليستحوذ عليها رجالات قريش .

ليكون من مصاديق الوعد في آية البحث فتح مكة في السنة الثامنة ، ودخول الناس في الإسلام طوعاً وسلاماً ، ولم يغادر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى إلا وقد ارتفعت حال العوز التي كان عليها المسلمون .

الثالث : ولا تحزن عليهم في تسخيرهم الأموال لمحاربتك والتنزيل .

الرابع : لا تحزن على صدودهم عن المعجزات بسبب ما عندهم من النعم ، فانها إلى زوال لبيان أمور :

الأول : قانون الكفر سبب لزوال النعم .

الثاني : قانون الكفر منغص وحائل دون التمتع بالنعم .

الثالث : قانون الكفر وبال على أهله وتركه قبيحة وضرر محض .

ومن إعجاز آية البحث الجمع بين النهي والأمر الذي ورد في قوله تعالى

﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) ، لإظهار الفرق بالمؤمنين والتواضع ولين

الجانب معهم .

(١) سورة الأنبياء ٤٤.

(٢) سورة الحجر ٨٨.

قانون سلامة آيات السلم من النسخ

من الشواهد على سلامة آيات السلم من النسخ أنه لم يقف أمر سلامة آيات السلم من النسخ بخصوص ذات الآيات بل يأتي الدليل على إحكامها وبقاء وتجدد موضوعها في كل زمان من وجوه:

الأول: دلالة أسماء الله الحسنى على سعة رحمة الله وشمولها للناس جميعاً ، ومن أسمائه تعالى الرحمن ، الرحيم ، أرحم الراحمين .
وفي الحديث القدسي (أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : قال الله أنا الرحمن وهي الرحم فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته)^(١).

الثاني: آيات البشارة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين بالنصر والفتح ، وقهر الشرك ، وإبطال مفاهيم الضلالة وعبادة الأوثان ، قال تعالى ﴿وَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنُدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٢). وقال تعالى ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٣).

الثالث: الوعد من عند الله عز وجل للمؤمنين بالخزي والقطع للذين كفروا ، قال تعالى ﴿لَيَقْطَعَنَّ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾^(٤) وهل الإعراض عن المشركين وعدم الإفتتان بالنعم التي عندهم من نصر المسلمين للتوحيد والنبوة والتنزيل ، الجواب نعم ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(٥).

(١) الدر المنثور ٢٠١/٩ .

(٢) سورة الصافات ١٧١-١٧٣ .

(٣) سورة غافر ٥١ .

(٤) سورة آل عمران ١٢٧ .

(٥) سورة محمد ٧ .

الرابع : تفضل الله عز وجل بازاحة الشرك من الأرض ببركة بعثة الرسل ، ونزول الكتب السماوية ، والله هو الذي ينتقم من المشركين ، ويسلب النعم التي عندهم ، قال تعالى ﴿ فَاتَّقِنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(١).

قانون الاجتهاد النبوي لدخول الناس في الإسلام

ترى لماذا خاطبت آية البحث النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَأَن تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ﴾ فيه وجوه :

الأول : لا تحزن عليهم لتخلفهم عن دخول الإسلام إذ كان النبي محمد يحرص على إيمان الناس ، ويرغب بإيمان الذين كفروا رجاء نجاتهم من العذاب الأخروي ، وكان إذا دخل بعض وجوه ووجهاء قريش الإسلام أسند لهم رياسة وأمرة في السرايا وقربهم إليه ليكون ترغيباً لرؤساء قريش وغيرهم بالإسلام .

الثاني : لا تحزن على الذين كفروا لما سيلقون من البلاء في الدنيا ، والعذاب في الآخرة .

الثالث : التخفيف عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة من الإنشغال بعناد الذين كفروا مع كثرة الآيات والبراهين التي تدعوهم وعامة الناس إلى الإيمان ، فنزلت الآية لطرد الغم والحزن والغيظ عن المسلمين بسبب جحود الذين كفروا ، قال تعالى ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾^(٢).

ومن إعجاز آية البحث تعقب الأمر للنهي ، فبعد النهي عن الرغبة بما عند الذين كفروا من النعم والنهي عن الحزن عليهم لسوء اختيارهم وما

(١) سورة الروم ٤٩.

(٢) سورة الكهف ٦.

ينتظرهم من الهلاك والعذاب جاء الأمر إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) أي تواضع لهم ، واستمع لأسئلتهم وشاورهم في الأمر وأمن الجانب لهم.

ليبان قانون التباين في معاملة المسلمين بالرفق والأمن والذين كفروا بالإعراض عنهم ، قال تعالى ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٢).

لقد اجتهد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في دعوة الناس للإسلام ، لذا نهاه الله عن الحزن على الذين كفروا .

الآية الرابعة والسبعون : قوله تعالى ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣).
وتمام الآية هو ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾.

القائلون بنسخ هذه الآية

وممن قال بالنسخ في المقام :

الأول : ابن سلامة في الناسخ والمنسوخ إذ قال (قوله تعالى ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾^(٤) هذا محكم ، وهذه الآية نصفها منسوخ ، فالمنسوخ قوله تعالى ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ نسخ المنسوخ منها بآية السيف)^(٥).

(١) سورة الحجر ٨٨.

(٢) سورة آل عمران ١٥٩.

(٣) سورة الحجر ٩٤.

(٤) سورة الحجر ٩٤.

(٥) الناسخ والمنسوخ لان سلامة ١٨/١.

الثاني : ابن حزم في الناسخ والمنسوخ إذ قال (قوله تعالى ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١) نصفها محكم ونصفها منسوخ بآية السيف)^(٢).

الثالث : الكرمي في الناسخ والمنسوخ قال (وقوله ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: اكف عن حربهم ولا تبال بهم: كلها منسوخة بآية السيف)^(٣).

الرابع : النحاس في الناسخ والمنسوخ قال (لم نجد فيها مما يدخل في هذا الكتاب إلا حرفين قوله تعالى ﴿فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾^(٤) قال سعيد عن قتادة نسخته ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ﴾^(٥) والحرف الآخر وأعرض عن المشركين الحجر وروى عن ابن عباس نسخته براءة والأمر بالقتال)^(٦).

الخامس : ابن الجوزي في الناسخ والمنسوخ قال (وأعرض عن المشركين قالوا نسخ بآية السيف)^(٧).

السادس : ابن البازري في ناسخ القرآن ومنسوخه قال (نسختها آية السيف)^(٨).

السابع : ابو داود في ناسخه عن ابن عباس (﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ قال : نسخته قوله ﴿أَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾^(١)^(٢).

(١) سورة الحجر ٩٤.

(٢) الناسخ والمنسوخ لابن حزم ٤٣/١.

(٣) تلخيص الناسخ والمنسوخ للكرمي ١٣/١.

(٤) سورة الحجر ٨٥.

(٥) سورة البقرة ١٩١.

(٦) الناسخ والمنسوخ للنحاس ٥٣٩/١.

(٧) مصفى الناسخ والمنسوخ ٤١/١.

(٨) ابن البازري / ناسخ القرآن ومنسوخة ٢٨/١.

الثامن : ابن عطية في المحرر الوجيز (وقوله ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ من آيات المهادنات التي نسختها آية السيف)^(٣).

وظاهر كلامه أن آيات المهادنات منسوخة بآية السيف .

التاسع : ابن أبي حاتم في تفسيره (عن ابن عباس ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ قَالَ : نَسَخَهُ قَوْلُهُ ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾^(٤)^(٥).

لقد كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يدعو الناس إلى نبوته ، ويجهر بقراءة القرآن ، ويصلي في البيت الحرام ، ويتوالى نزول آيات القرآن ، وفيها ذم للذين كفروا وآبائهم على عبادتهم الأوثان منها قوله تعالى ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَسْتَبُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٦).

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُم يُنصَرُونَ﴾ * لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُم جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ * فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾^(٧).

(١) سورة التوبة ٥.

(٢) الدر المنثور ١١٢/٦ .

(٣) المحرر الوجيز ١٤٦/٤ .

(٤) سورة التوبة ٥.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم ٧٤/٩ .

(٦) سورة يونس ١٨.

(٧) سورة يس ٧٤-٧٦.

﴿وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ
يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرَىٰ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا
سِحْرٌ مَبِينٌ ﴿١﴾﴾

دخول الإسلام بيوت رؤساء قريش

لقد صار الناس يدخلون الإسلام فرادى ، ودخل الإسلام في بيوت رؤساء قريش ، يأتي أحدهم من رحلة الصيف إلى الشام أو رحلة الشتاء إلى اليمن فيجد ابنه أو بنته قد دخلت الإسلام.

ويتفاجئ بسماع آيات القرآن تتلى في بيته ، أو أنه يسير في طرق مكة فيخبره الناس بأن ابنك فلان صبا واتبع محمداً .

فتوجهت قريش بالأذى الشديد إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

ومشى رجالات قريش إلى أبي طالب عم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لمنعه من سب آبائهم وألهم .

فصار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يدعو الناس إلى الإسلام خفية وبصبر ، وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يجلس إلى جانب زائر البيت الحرام ، ويدعوه للإسلام ، ويطلب منه كتمان أمره خشية بطش قريش .

وأشار على رهط من أصحابه بالهجرة إلى الحبشة في سلامة دينهم ، ولمنع الإحتكاك والقتال مع المشركين لأن رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم رسالة أمن وسلام ، ولأنها تنفذ إلى القلوب ، وتنبسط في المجتمعات بالمعجزة الحسية والعقلية .

وعن (أبي عبيدة أن عبد الله بن مسعود قال : ما زال النبي صلى الله عليه وآله وسلم مستخفياً حتى نزل ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾^(١) فخرج هو وأصحابه)^(٢).

بقاء أحكام آية البحث

ليس في الآية نسخ فهي محكمة وباقية أحكامها إلى يوم القيامة ، إذ تتألف من شعبتين متداخلتين في حال جديدة من الدعوة والتبليغ وهي إظهار الدعوة إلى الإسلام ، والإجهار بتلاوة آيات القرآن ، وبيان النبي محمد رسالته للناس جميعاً ، ودعوة الناس علانية للإسلام والمبتادر حينئذ اشتداد أذى قريش ، وتعرض حياة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للأخطار واحتمال الغدر والأغتيال .

فقال الله تعالى ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ وفيه وعد من عند الله عز وجل بسلامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من شرورهم ، قال تعالى ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾^(٣).

وعن (أبي صالح عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستخفياً سنين لا يظهر شيئاً مما أنزل الله حتى نزلت ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾^(٤) يعني : أظهر أمرك بمكة ، فقد أهلك الله المستهزئين بك وبالقرآن ، وهم خمسة رهط . فاتاه جبريل بهذه الآية .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أراهم أحياء بعد كلهم ، فاهلكوا في يوم واحد وليلة .

(١) سورة الحجر ٩٤.

(٢) الدر المنثور ٦/١١١٢.

(٣) سورة الحجر ٩٥.

(٤) سورة الحجر ٩٤.

منهم العاص بن وائل السهمي ، خرج في يومه ذلك في يوم مطير فخرج على راحلته يسير وابن له يتنزه ويتغدى ، فنزل شعباً من تلك الشعاب . فلما وضع قدمه على الأرض قال : لدغت . فطلبوا فلم يجدوا شيئاً ، وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير ، فمات مكانه .

ومنهم الحارث بن قيس السهمي ، أكل حوتاً فأصابه غلبة عطش ، فلم يزل يشرب عليه من الماء حتى أنقذ بطنه ، فمات وهو يقول : قتلني رب محمد .

ومنهم الأسود بن المطلب ، وكان له ابن يقال له زمعة بالشام ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد دعا على الأب أن يعمي بصره وأن يثكل ولده ، فأتاه جبريل بورقة خضراء فرماه بها فذهب بصره . وخرج يلاقي ابنه ومعه غلام له ، فأتاه جبريل وهو قاعد في أصل شجرة ، فجعل ينطح رأسه ويضرب وجهه بالشوك ، فاستغاث بغلامه فقال له غلامه : لا أرى أحداً يصنع بك شيئاً غير نفسك . حتى مات وهو يقول : قتلني رب محمد .

ومنهم الوليد بن المغيرة ، مرّ على نبل لرجل من خزاعة قد راشها وجعلها في الشمس ، فربطها فانكسرت ، فتعلق به سهم منها فأصاب أكحله فقتله .

ومنهم الأسود بن عبد يغوث ، خرج من أهله فأصابه السموم فاسودّ حتى عاد حبشياً ، فأتى أهله فلم يعرفوه فاغلقوا دونه الباب حتى مات . وهو يقول : قتلني رب محمد . فقتلهم الله جميعاً ، فأظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمره وأعلنه بمكة^(١) .

(١) الدر المنثور ١١٢/٦ .

وموضوع آية البحث هو الإعراض عن المشركين مع وجودهم وسلطانهم وبغيهم ، لبيان المنعة والحفظ والواقية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من عند الله عز وجل ، وفي التنزيل ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^(١).

مصاديق الإعراض

من معاني الإعراض في آية البحث وجوه :

الأول : لا تسمع لقول المشركين .

الثاني : الوعد من عند الله بقانون سلامة النبي محمد من كيد المشركين مع اجتهاده في تبليغ الرسالة ، لذا وردت الآية التي بعدها ﴿إِنَّا كُنَّا نَكَارًا مُسْتَهْزِئِينَ﴾^(٢).

الثالث : يا أيها النبي أعرض عن إغراء المشركين وما يعرضونه من الأموال وكثرة الأزواج والجاه العريض .

وكان رجالات قريش يحض بعضهم بعضاً على الانتقام من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والبطش به وبأصحابه خاصة بعد نزول الآيات التي تدم عبادتهم وآبائهم الأوثان ، ومشوا إلى عمه أبي طالب أكثر من مرة لأنه كان يذب عنه ، ويشد عضده ويأبى تسليمه إليهم .

(مشى رجال من أشرف قريش إلى أبي طالب: عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي، وأبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، وأبو البختری، واسمه العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي .

والاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى، وأبو جهل، واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم، والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى، ونبيه ومنبه،

(١) سورة الزمر ٣٦.

(٢) سورة الحجر ٩٥.

ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى، والعاص بن وائل بن سعيد بن سهم^(١).
وعندما رأوا أن النبي محمداً لم ينقطع عن دعوة الناس للإسلام، وعن تلاوة آيات القرآن والصلاة في المسجد الحرام واتصال دخول الناس في الإسلام مشى رجال من قريش مرة أخرى إلى أبي طالب ليوجهوا الإنذار والتهديد بقتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي أعرض عنهم بمواصلة قيامه بتبليغ الرسالة .

الرابع : لا تلتفت إلى الأباطيل التي يقولها المشركون .

الخامس : البشارة بأن الناس لا يستمعون إلى ما يقول المشركون .

السادس : الوعد من الله عز وجل بالانتقام من المشركين الذين يحاربون

النبوة والتنزيل .

ومن فضل الله عز وجل مجئ الآية التالية لآية البحث بالإخبار عن كفاية الله عز وجل النبي بقوله تعالى ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾^(٢)، ولم تقل كفيناك المحاربين لك .

إنما جاءت بالمعنى الأعم والأوسع ، فذات الإستهزاء بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إثم ومعصية يدفعها الله عز وجل بالانتقام من الذين يكثرون الإستهزاء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

دوران الأمر بين إحكام الآية ونسخها

لو دار الأمر بين إحكام الآية القرآنية أو نسخها ، فالأصل هو أن الآية محكمة ، كما في آية البحث .

فمن خصائص الآية القرآنية خلودها وبقاء أحكامها وتلاوة أجيال المسلمين لها كل يوم إلى يوم القيامة ، ولا يتبادر إلى الأذهان عند التلاوة إلا

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ١/ ٤٧٣ .

(٢) سورة الحجر ٩٥ .

سلامة الآية من النسخ والتحريف والزيادة والنقص ، والتبادر من علامات الحقيقة ، إلا أن يدل دليل ظاهر على النسخ .

والنسبة بين الإعراض عن المشركين وآية السيف لا تنحصر بالتضاد بينهما لأن معنى الإعراض عن المشركين عام منه :

الأول : عدم الإلتفات إلى تكذيبهم الرسالة .

الثاني : إجتناّب ابتدائهم القتال ، وقد صاحب هذا الإجتناّب النبي محمداً حتى آخر أيامه إلا أن يكون مدافعاً كما في معركة بدر وأحد والخندق .

الثالث : ترك المشركين وشأنهم بعد تبليغهم ، قال تعالى ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ

مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^(١) .

الرابع : قانون الإمتناع عن طاعة الكافرين .

الخامس : قانون الصبر على أذى الكافرين والمنافقين ، قال تعالى ﴿وَكَأ

تَطْعُ الْكَاْفِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعَّأْهُمْ﴾^(٢) ، وهذه الآية من سورة الأحزاب والتي نزلت بعد معركة الخندق في السنة الخامسة للهجرة .

السادس : قانون العصمة من الخشية والخوف من المشركين .

ومن مصاديق تقدير آية البحث لغة العموم فيها ، وتقديرها على وجوه :

الأول : يا أيها الذين آمنوا أعرضوا عن المشركين .

الثاني : يا أيها الذين آمنوا اقتدوا بالنبي محمد في الإعراض عن

المشركين .

الثالث : يا أيها الذين آمنوا قد كفاكم الله شرور المشركين .

(١) سورة النجم ٢٩ .

(٢) سورة الأحزاب ٤٨ .

وتقسم آية البحث الناس إلى مؤمنين ومشركين ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^{(١)(٢)}.

ويتجلى تعدد معاني الإعراض في آية البحث من الشطر الأول من ذات
الآية ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أي اجتهد في تبليغ الرسالة ، ولا تلتفت أو تخشى
المشركين فالواو هنا تفيد الجمع .

وتبليغ الرسالة مستمر طيلة أيام النبوة ، ويلازمه الإعراض عن المشركين
في الجزيرة وخارجها ، بينما موضوع آية السيف خصوص أهل مكة ومن
حولها .

ولم يرد الإعراض عن المشركين في آية البحث مستقلاً بل هو فرع الأمر
﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ ليجتهد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالعمل فيما
يوحى له الله عز وجل من سنن الشريعة والاجتهاد بآيات القرآن التي كانت
تنزل عليه في مكة على نحو التوالي .

ويفسر القرآن بعضه بعضاً ، قال تعالى ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣).

سلامة الآية من النسخ

من معاني سلامة آية البحث من النسخ وجوه :

الأول : آية البحث باعث على الجهاد في سبيل الله بالحكمة والموعظة
الحسنة.

(١) سورة آل عمران ١٨٩.

(٢) أنظر الجزء السادس والعشرين بعد المائتين من هذا السفر الذي اختص بتفسير هذه
الآية الكريمة .

(٣) سورة الأنعام ١٠٦.

الثاني : آية البحث بشارة ضعف ووهن المشركين ، وقانون عجز المشركين عن حجب آيات القرآن والدعوة عن الناس .

الثالث : لا يتعارض الأمر من الله عز وجل بالإعراض عن المشركين مع الدعوة العامة إلى الإسلام ، ووردت الآية بصيغة الإطلاق من جهتين :

الأولى : قوله تعالى ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾^(١) ، أي فأعمل واجتهد بما يأتيك به الوحي من عند الله ، ولم تقل الآية (ما تؤمر به) لبيان قانون لا يأتي الأمر إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا من عند الله عز وجل ، وفيه إبطال ونفي لقول (تلك الغرائق العلى ، وإن شفاعتهن لُتَرْتَجَى) وإبطاله من جهة السند والدلالة ، فلم ترد روايته بسند صحيح ، وهو مخالف لآيات القرآن منها ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلُّنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢) وللسنة النبوية .

الثانية : الإعراض عن المشركين الذين يصرون على البقاء في مستنقع الشرك والضلالة .

وتدل آية البحث على نفيه لأن الله عز وجل أمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالإعراض عن المشركين وليس إرضاء المشركين والثناء على ألهتهم .

ولو تنزلنا وقلنا بأن آية البحث منسوخة بآية السيف يكون تقدير الآية فاصدع بما تؤمر واقتل المشركين .

وهذا لا يصح لأن الله عز وجل بعث النبي محمداً رحمة للعالمين ، ولدلالة اجتماع الإعراض عن المشركين بالأمر بالصدع والاجتهاد في التبليغ على إمتناع الناس عن الإستماع لهم ، لقانون تجلي البراهين الدالة على صدق رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

(١) سورة الحجر ٩٤ .

(٢) سورة الحجر ٩ .

الرابع : قال الشيخ الطوسي (وقوله : أعرض عن المشركين " أمر بأن يعرض عن المشركين ، ولا يخاصمهم إلى ان يأمره بقتالهم) (١) .
لقد كان قتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للمشركين دفاعاً ، وكان الإعراض عنهم حجة عليهم ، وسبباً في إبطائهم في قتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى ما بعد هجرته إلى المدينة وإقامة المسجد النبوي وهجرة المسلمين والمسلمات تبعاً إليها .

الإعراض عن المشركين فرع التبليغ

تجمع آية البحث أمرين :

الأول : الأمر إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالقيام بالتبليغ بهمة ونشاط ، ودعوة القريب والبعيد إلى الإسلام .
الثاني : الإعراض عن المشركين .

وهذان الأمران متداخلان يسيران معاً ، والواو تفيد الجمع ، فيتسع الإسلام ولا يلتفت إلى استهزاء وتكذيب المشركين فهم في ضلالة ، ويلزم عدم صيورتهم حاجباً دون تبليغ الرسالة لعامة الناس .
وفي سورة المائدة التي هي آخر سور القرآن نزولاً ، ورد قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢) .

ولا يصح القول بأنه بعد النسخ يكون تقدير الآية : فأصدع بما تؤمر وأقتل المشركين) لوجوه :

الأول : دلالة الجمع بين الأمر والإعراض على النفع العام من هذا الجمع .

(١) التبيان في تفسير القرآن ٣٥٢/٦ .

(٢) سورة المائدة ٦٧ .

الثاني : لقد أمر الله عز وجل النبي محمداً بتبليغ الرسالة وآيات القرآن للناس ، وقد ورد قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ بِعِظْمِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١) . ولم يرد في الآية أعلاه أمر بالقتل ، ومن الإحسان ما ورد في آخر آية السيف من التضييق على الذين كفروا إلى أن يتوبوا لقوله تعالى ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَتَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٢) .

الثالث : تدل سيرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على إعراضه عن المشركين وعن إشاعة القتل فيهم .

الرابع : عندما نزلت آية السيف لم يبق من المشركين إلا عدد قليل بسبب دخول الناس الإسلام ، وتدلى عليه سورة النصر ، قال تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾^(٣) .

ومن الإعجاز في آية البحث والشواهد على استمرار الإعراض عن المشركين أنها نزلت في مكة حيث كان الرؤساء من المشركين ومع كثرة أتباعهم وخدمهم ومن يطيعهم ، ونزلت آية السيف وقد قويت شوكة الإسلام ، وقد تضاعف عدد المشركين ، ولم يكن لهم أثر يعتد به بين الناس .

بين الإعراض والتقية

ورد لفظ ﴿تَوَّابًا﴾ في القرآن مرتين إحداهما في إخبار إبراهيم عليه السلام لابنه إسماعيل عن رؤياه بذبحه ، وكيف أن إسماعيل تلقاها وقبلها

(١) سورة النحل ٩٠ .

(٢) سورة التوبة ١١ .

(٣) سورة النصر ١-٣ .

كوحى من الله ، فأجابه ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنِ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ﴾^(١) .

والثانية في آية البحث في خطاب وأمر من الله عز وجل إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لبيان عظيم المسؤولية التي اختصه الله عز وجل بها في تبليغ الرسالة بين ظهراني قوم مشركين .

ويتضمن قوله تعالى ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ أيضاً صفة العموم في الخطاب إلى المسلمين والمسلمات بالإعراض عن المشركين .

وهل فيه نوع تقية من الذين كفروا ، الجواب إنما التقية باظهار الموافقة لهم في قول أو فعل مخالف للحق خشية من الضرر الخاص أو العام ، قال تعالى ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^(٢) .

وهذه الآية من سورة آل عمران وهي مدنية .
وتدل آية البحث على اجتناب أسباب التقية بتأديب وهداية من عند الله ، وإذا كان تقدير قوله تعالى ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (وأعرضوا عن المشركين) في خطاب إلى المسلمين والمسلمات .

فهل يصح تقدير ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾^(٣) (فاصدعوا بما تؤمروا) الجواب نعم بالتقيد بأداء الوظائف العبادية ، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، إلا مع التقية من غير أن تصل النوبة إلى القتل والقتال .

(١) سورة الصافات ١٠٢ .

(٢) سورة آل عمران ٢٨ .

(٣) سورة الحجر ٩٤ .

قانون الإعراض عن المشركين جهاد

تتعدد أبواب ومصاديق الجهاد في سبيل الله ، منها مجاهدة النفس ، وحجبها عن إتباع الهوى ، والصدود عن الشيطان وإغوائه ، قال تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(١) ومن معانيه تأديب وإنذار الفساق والمنافقين ومجاهدة الكفار بالحجة والبرهان وانفاق المال في سبيل الله ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(٢).

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يوصي سرايا التي يبعثها بتقوى الله والإمتناع عن الظلم والتعدي . وعن (بريدة بن الحصيب الأسلمي قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا بعث أميرا على سرية أو جيش ، أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا .

وقال : اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال -أو: خلال- فأيتهم ما أجاوبك إليها فاقبل منهم ، وكف عنهم .

ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجاوبك فاقبل منهم ، وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأعلمهم إن فعلوا ذلك أن لهم ما للمهاجرين ، وأن عليهم ما على المهاجرين .

فإن أبوا واختاروا دارهم فأعلمهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ، ولا يكون لهم في الفبيء والغنيمة نصيب ، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين .

(١) سورة البقرة ١٦٨ .

(٢) سورة التوبة ٧٣ .

فإن هم أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية. فإن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله ثم قاتلهم^(١).

ولكن الجزية لا تقبل من المشركين ، إنما تقبل من أهل الكتاب .

وجاءت آية البحث بجهد مركب من جهتين :

الأول : قانون الجهاد بتبليغ الرسالة وأحكامها.

الثاني : قانون الجهاد بالإعراض عن المشركين .

والنسبة بين الذين كفروا والمشركين عموم وخصوص مطلق ، فالذين كفروا أعم وأكثر ، والشرك أشد قبحاً ، وتدل الآية على الإعراض عن الذين كفروا .

ليبان أن قوله تعالى ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ جهاد فلا تصل النوبة إلى نسخه ، وفي هذا الإعراض مسائل :

الأولى : البشارة والوعد من عند الله على قانون دفع ضرر المشركين ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذَى لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذَى﴾^(٢) لبيان أن الضرر أشد من الأذى ، فكل أذى من الضرر ، وليس العكس .

الثانية : اجتناب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه القتال مع المشركين .

الثالثة : توالي التبليغ ونزول آيات القرآن وتجلي المعجزات الحسية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الرابعة : ترك المشركين وشأنهم مناسبة لهم للتدبر في المعجزات وتخلصهم من العناد وإغواء الشيطان .

(١) تفسير ابن كثير ٩٦/٤ .

(٢) سورة آل عمران ١١١ .

الخامسة : إعراض النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن المشركين شاهد تأريخي على قانون صفة السلم العام لرسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

السادسة : ابتداء الدعوة الإسلامية بالأمن والأمان للناس جميعاً .
السابعة : قانون الإعراض عن المشركين طاعة لله عز وجل ، وهداية وارشاد وإحسان عام ، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

الجهاد في مرضاة الله

والمراد من ﴿جَاهِدُوا فِينَا﴾ أي جاهدوا في مرضاة الله ، ومن هذا الجهاد وجوه :

الأول : التفقه في الدين .

الثاني : قانون الثبات على الإيمان مع أذى المشركين .

الثالث : قانون الإعراض عن المشركين المبلطين .

الرابع : من مصاديق ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ إنقطاع المسلمين إلى أداء الفرائض العبادية ، فأية البحث وإن وردت بصيغة الخطاب الخاص للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإن أجيال المسلمين يلحقون به .

الخامس : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال تعالى ﴿وَتَكُنْ مِنْكُمْ

أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢).

(١) سورة العنكبوت ٦٩.

(٢) سورة آل عمران ١٠٤.

(وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا ، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ ، فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ)^(١).

وهل هذا الإعراض عن المشركين في آية البحث من إنكار المنكر بالقلب ، الجواب لا ، إنما هو باليد واللسان بالسعي في مرضاة وطاعة الله ، وإقامة الحجة والبرهان على صدق رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
السادس : الإعراض عن المشركين أمر وجودي وقصد ، ففيه الأجر والثواب .

السابع : من إعجاز آية البحث مجئ الإعراض عن المشركين بعد قوله تعالى ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾^(٢) لبيان تعدد وجوه الجهاد في طاعة الله ، والملازمة بينها في الفعل والزمان .

بين آية البحث والآية الأخيرة من سورة آل عمران

لقد صدر الجزء السابق من هذا السفر وهو الثالث والسبعون بعد المائتين ويختص بتفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٣) وتتجلى بلحاظ آية البحث وجوه :

الأول : قانون الإعراض عن المشركين صبر وتحمل .

الثاني : قانون الإعراض عن المشركين مصابرة مع المشركين ، وفيه الأجر والثواب .

فالإعراض عنهم صبر وزجر وبيان للقبح الذاتي والعرضي للشرك .

الثالث : قانون الإعراض عن المشركين مرابطة في مقامات الإيمان وسلامة من الإنشغال بالمشركين وجدالهم وجهالتهم ، وذات الإعراض

(١) تفسير الثعالبي ١/٢٣٤ .

(٢) سورة الحجر ٩٤ .

(٣) سورة آل عمران ٢٠٠ .

عنهم مناسبة للإجتهد في طاعة الله ، ورجاء الأجر والثواب ، قال تعالى ﴿وَأَمَّا تَعْرِضُ عَنْهُمْ أَيَّتَافُ رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾^(١).

الرابع : قانون من التقوى الإعراض عن المشركين لما فيه من الإمتثال لأمر الله ، ولأنه إعراض من منازل الإيمان والهدى .

الخامس : الإعراض عن المشركين فلاح ونجاح في النشاطين لما فيه من طاعة لله عز وجل ولأنه لم يأت مستقلاً بل مع الإجتهد في التبليغ والدعوة إلى الله وأداء الفرائض العبادية لقوله تعالى في آية البحث ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ . وهذه الوجوه من الشواهد على المنافع المتعددة لإجتتاب الصراع والنزاع مع المشركين ، فالآية محكمة غير منسوخة تتجدد الحاجة لها في كل زمان ، فهي من آيات السلم والموادعة والأمن الإجتماعي .

آية البحث أمن وأمان

تألف آية البحث من شقين :

الأول : اصدع بما تؤمر ، وهل هو خطاب خاص إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يشاركه فيه أحد مثل قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾^(٢) أم أنه خطاب خاص في لفظه ، عام في حكمه ، الجواب هو الثاني ، وتقدير الآية يا أيها الذين آمنوا اصدعوا بما تؤمروا وأعرضوا عن المشركين .

وهذا العموم في الخطاب الإلهي من أسرار سلامة هذه الآيات من النسخ ، إذ أن وظائفها متجددة إلى يوم القيامة ، وهو من المصاديق المتعددة لقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

(١) سورة الإسراء ٢٨ .

(٢) سورة الكهف ١١٠ .

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧ .

الثاني : قوله تعالى ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١).

وتعددت آيات الإعراض عن المشركين وعن الذين كفروا وعن المنافقين ، لبيان أن هذا الإعراض جهاد ودفاع بصيغ السلم ، ولأن المعجزات والبراهين الساطعة تصاحبه والتي تدل على صدق نزول القرآن من عند الله عز وجل .

ومن مصاديق الأمن في الآية أنها واقية ، قال تعالى ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلنْ يُضُرُّوكَ شَيْئًا﴾^(٢).

والآية أعلاه من سورة المائدة وهي آخر سور القرآن نزولاً مما يدل على استدامة قانون الإعراض عن الذين كفروا .

كما ورد في قوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْتَغُونَ فَاَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٣) والآية في ذم جماعة من المنافقين يظهرون وهم في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تصديقهم بالمعجزات التي جاء بها ، وينصتون إلى بشاراته وإنذاراته ويتلقونها بالرضا والقبول .

ولكنهم عندما يخرجون ويتعدون يظهرون الشك والريب . فأخبر الله عز وجل بأنه يحصي أعمالهم ، وخاطب النبي محمداً بالإعراض عنهم ، وأنهم لن يضروه ، وقال تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾^(٤).

(١) سورة الحجر ٩٤ .

(٢) سورة المائدة ٤٢ .

(٣) سورة النساء ٨١ .

(٤) سورة الأنعام ٦٨ .

وأخرج النحاس في ناسخه عن ابن عباس في قوله ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١) قال : هذه مكة نسخت بالمدينة بقوله ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا﴾^(٢) الآية^(٣).
ولكن النسبة بين الكفر بالآيات والخوض فيها عموم وخصوص مطلق فالكفر بها أشد قبحاً .

تفسير ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾

﴿فَاصْدَعْ﴾ مشتق من الصدع وهو الشق والكسر ، ويستعمل مجازاً في الإجهار بالحق والصدق وتفريق جمع الذين كفروا .
وفيه وجوه :

- الأول : اجهر بالحق وتلاوة آيات القرآن .
 - الثاني : اظهر الدعوة إلى الله بين ظهراني المشركين .
 - الثالث : ادع الناس إلى التوحيد واتباع رسالتك .
 - الرابع : تدل الآية في مفهومها على عدم الخوف والخشية من المشركين .
 - الخامس : أظهر ما أوحاه الله لك لأهل مكة وعمار المسجد الحرام .
 - السادس : جاهد في فضح وإبطال الشرك .
 - السابع : الآية وعد من الله إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بكفايته ونصرته وأصحابه ، قال تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^(٤) .
- وذكر أن النبي محمداً كان يدعو الناس إلى الإسلام سراً فأمره الله عز وجل أن يجهر بالدعوة .

(١) سورة الأنعام ٦٩ .

(٢) سورة النساء ١٤٠ .

(٣) الدر المنثور ٧٧/٤ .

(٤) سورة الزمر ٣٦ .

دلالة التقدير على عدم النسخ

من مصاديق سلامة آية البحث من النسخ يكون تقدير قوله تعالى

﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١)، على وجوه :

الأول : وأعرض عن المشركين فإن النصر آت .

الثاني : وأعرض عن المشركين فإن ملك السموات والأرض لله عز

وجل .

الثالث : وأعرض عن المشركين فإن تبليغ الدعوة واجب .

الرابع : وأعرض عن المشركين فإنهم إلى هلاك .

الخامس : وأعرض عن المشركين فإنهم قوم يجهلون .

السادس : وأعرض عن المشركين فإن الإجهار بالرسالة دعوة لهم

للإسلام وحجة عليهم .

السابع : وأعرض عن المشركين فإن عذاب الله نازل بهم .

الثامن : وأعرض عن المشركين سيصبحون قلة من بين الناس ، وليسوا

سبباً لحجب الدعوة إلى الله عن عامة الناس .

التاسع : وأعرض عن المشركين فإن أوان الهجرة إلى المدينة قريب ،

ولا بد أن تبقى معالم الرسالة في مكة من بعدك .

العاشر : وأعرض عن المشركين و﴿سَيَهْزُمُ الْجَمْعُ﴾^(٢) في معركة بدر ،

و﴿لَيَقْطَعَنَّ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾^(٣) في معركة أحد .

الحادي عشر : أقم الصلاة في المسجد الحرام وأعرض عن المشركين .

الثاني عشر : أَدْعُ النَّاسَ لِلْإِسْلَامِ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ .

الثالث عشر : أتل آيات القرآن جهرة وأعرض عن المشركين .

(١) سورة الحجر ٩٤ .

(٢) سورة القمر ٤٥ .

(٣) سورة آل عمران ١٢٧ .

الرابع عشر : يا أيها الذين آمنوا أظهروا الإسلام وأعرضوا عن المشركين.

الخامس عشر : اعرض عن دعوة المشركين وجدالهم ، فموضوع الآية الدعوة وليس الذوات .

قانون ذم الشرك في كل زمان

من خصائص آية البحث أنها ذم للشرك وبيان قبحة الذاتى وضرره على أصحابه في الدنيا والآخرة .

ومن هذا الضرر في الدنيا آية البحث من جهات :

الأول : اجتهاد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الدعوة إلى الله تبكيت وفضح للمشركين .

الثاني : إيمان شطر من الناس برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونبيلهم صفة المسلمين فخر وعز محجوب عن المشركين .

الثالث : قانون الإعراض عن المشركين إضرار بهم ، وصدود عنهم ، وهو من الشواهد على سلامة آية البحث من النسخ .

أما في الآخرة فان عذاب المشرك يبدأ من ساعة دخوله القبر ، ويوم القيامة يدخل النار خالداً فيها .

ومن مصاديق نفخ الله عز وجل الروح في آدم بقوله تعالى ﴿وَنَفَخَ فِيهِ

مِنْ رُوحِهِ﴾^(١) نفرة النفس عن الشرك والإعراض عن المشركين ، وهو من الشواهد على استدامة موضوع وحكم آية البحث .

ومن وجوه تقدير الآية : وأعرض عن المشركين ان الله عز وجل ييغض المشركين ، ويحول دون تحقيق مآربهم .

وعندما أرادوا قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في بيته وقت السحر وأعدوا عشراً من فتيانهم لقتله كي يتفرق دمه على بيوتات قريش ،

(١) سورة السجدة ٩ .

نزل جبرئيل عليه السلام في ذات اليوم الذي أرادوا قتل النبي في ليلته فأمره بالهجرة إلى المدينة ، ونزل قوله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَرِهُوا الْجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا يُغْنِي عَنْهُمُ الْجَاهِدَ وَلَا يَحْتَرُونَ﴾ (١) ، لبيان أمور:

المأكرين ﴿١﴾ ، لبيان أمور:

الأول : قانون الملازمة بين الإجهار بالرسالة والإعراض عن المشركين .
الثاني : قانون الإعراض عن المشركين حجة عليهم ورحمة بهم لما فيه من الإنذار العملي ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢) .

الثالث : قانون الإعراض عن المشركين تبكيت وخزي لهم .
الرابع : قانون الإعراض النبوي عن المشركين سلام وأمن عام .
 ومن الآيات مجئ هذا الأعرض بعد الأمر إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بإظهار الدعوة والإجهار بها ، ومفاتيح الناس بالإسلام .

قانون الإعراض عن المشركين

يأتي الإعراض لغة بمعاني متعددة منها الصدود : يقال أعرضت بوجهي عنه ، وأعرضت عن الأمر ، صددت عنه وابتعدت عنه ، وقد يأتي الإعراض بمعنى العزوف عن الشيء وعدم الالتفات إليه .

وقد يكون الإعراض بالقلب ، وبمعنى التولي عن الشيء .
 وقد ورد الإعراض في القرآن بصيغة الأمر إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَعَظِّمْ﴾ (٣) وهو إعراض محمود .

وورد بصيغة الهم للمؤمنين كفروا كما في قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَرَوُا آيَةَ يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ (١) ، كما ورد بصيغة التخفيف وموضوعية التوبة كما في

(١) سورة الأنفال ٣٠ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٣) سورة النساء ٦٣ .

فعل الفاحشة ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادُّوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا
إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (٢) .

وقيل يكون الإعراض بالقلب ، ولكنه تقييد من غير مقيد ، فالإعراض
أعم يشمل القول والفعل ، وكل منهما أهم وأكثر أثراً من الإعراض
بالقلب .

وتضمنت آية البحث الأمر إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ،
ويلحق به المسلمون بوجوب الإعراض عن المشركين ، وفيه مسائل :

الأولى : مجئ الإعراض عن المشركين بعد تبليغهم وإقامة الحجة عليهم
بدليل ذات آية البحث ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣) وهذا
المعنى مستحدث في تفسير الآية وشاهد على سلامتها من النسخ .

فلم يأمر الله عز وجل النبي محمداً للإعراض عن المشركين إلا بعد أن
أمره بالتبليغ العام والإجهار بتلاوة آيات القرآن ، وأداء الصلاة اليومية في
المسجد الحرام ، وبلوغ المشركين معجزات نبوته ، وهل منه قوله تعالى
﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٤) ، نعم بتقدير وأنذر عشيرتك الأقربين ثم
أعرض عن المشركين منهم كما في أبي لهب عم النبي محمد صلى الله عليه
وآله وسلم .

(١) سورة القمر ٢ .

(٢) سورة النساء ١٦ .

(٣) سورة الحجر ٩٤ .

(٤) سورة الشعراء ٢١٤ .

وهل قوله تعالى ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾^(١)،
مصدق للإعراض عن المشركين ، الجواب نعم ، من وجوه :
الأول : بيان قانون تعضيد القرآن للنبي والمسلمين في إعراضهم عن
المشركين .

الثاني : قانون استحقاق المشركين للإعراض عنهم .

الثالث : قانون نزول العذاب بالمشركين الذين يعرض عنهم النبي محمد
صلى الله عليه وآله وسلم .

الرابع : من مصاديق إحكام آيات الإعراض عن المشركين وعدم نسخها
الأجر والثواب للمسلمين بالإعراض عنهم .

و(عن زيد بن أرقم قال : لما نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾^(٢) إلى
﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ فقيل لامرأة أبي لهب : إن محمداً قد هجأك . فأتت
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو جالس في الملاء .

فقلت : يا محمد علام تهوجوني؟ قال : إني والله ما هجوتك ، ما
هجأك إلا الله . فقلت : هل رأيتني أحمل حطباً أو رأيت في جيدي حبلاً
من مسد؟ ثم انطلقت .

فمكث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أياماً لا ينزل عليه ، فأتته
فقلت : ما أرى صاحبك إلا قد ودعك وقلاك ، فأنزل الله ﴿وَالضُّحَىٰ *
وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾^(٣) (٤) .

(١) سورة المسد ١-٤ .

(٢) سورة المسد ١ .

(٣) سورة الضحى ١-٣ .

(٤) الدر المنثور ١٠/٢٨٣ .

(نادى المتوكل يوماً كاتباً نصرانياً : أبا نوح ، فأنكروا كنى الكتائبين ، فاستفتى فاختلف عليه ، فبعث إلى أبي الحسن فوقع عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾^(١) فعلم المتوكل أنه يحمل ذلك لأن الله قد كنى الكافر^(٢).

ومن الشواهد على سلامة آية البحث من النسخ مجئ ذات الأمر إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالإعراض ، ولكنه إعراض عن المنافقين كما في قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾^(٣).

والمنافقون فئة نشأت في المدينة بعد معركة بدر ، لذا وردت هذه الآية في سورة النساء ، وهي مدنية ، بينما ورد قوله تعالى ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٤) ، في سورة الحجر وهي مكة .

الجمع بين الإعراض والسيف

لقد أمر الله عز وجل النبي محمداً بالإعراض عن المشركين ، ولم تنسخ آية السيف هذا الإعراض ، وقد امتنع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن قتل رأس النفاق عبد الله بن أبي بن أبي سلول .

لكن كيف يكون الجمع بين قوله تعالى ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ وقوله تعالى في آية السيف ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ

(١) سورة المسد ١ .

(٢) البهار ١٠/٣٩١ .

(٣) سورة النساء ٦٣ .

(٤) سورة الحجر ٩٤ .

وَجَدُّهُمْ وَحَدُّوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ الجواب من جهات :

الأولى : توجه الخطاب في آية البحث إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في بدايات الدعوة وإظهار الرسالة .

الثانية : قانون الإعراض عن المشركين بعد إقامة الحجة عليهم .

الثالثة : مجئ الخطاب في آية السيف للمسلمين وفي السنة التاسعة للهجرة .

الرابعة : إنحصار موضوع ومكان وأشخاص المشركين الذين تقصدهم آية السيف .

الخامسة : عدم إنحصار موضوع آية السيف بقتل المشركين إذ تشمل أخذهم ، والتضييق عليهم ، ورصدهم من غير اللجوء إلى قتلهم .

السادسة : فتح باب التوبة للمشركين ، وترغيبهم بها ، وحثهم على أداء الصلاة والزكاة ، وتذكيرهم بالعذاب الأخروي ودخول النار بسبب الشرك ومفاهيم الضلالة .

السابعة : استدامة قانون الإعراض عن المشركين في كل زمان .

قانون تبكيت المنافقين

التفاق لغة إظهار شيء وإخفاء ضده وخلافه ، مشتق من جحر نافقاء اليربوع لأنه يدخل من باب ويخرج من باب .

(والنَّفَقُ: سرب في الأرض له مخلص إلى مكان.

والنافقاء: موضع يرققه اليربوع في جحره، فإذا أخذ من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق منها.

وبعض يسمي النافقاء النُّفَقَةَ) (٢).

(١) سورة التوبة ٥ .

(٢) العين ٤٠٤/١ .

والنفاق في الإصطلاح هو إظهار شعائر الإسلام وإدعاء الإيمان في الظاهر ، وإبطان الكفر والشك والريب في القلب ، وفي متدييات المنافقين . والمختار ليس جميع المنافقين يخفون الكفر ، فمنهم من يخفي الشك والريب ، والتردد ، وقال تعالى (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (١) .

فجمعت الآية بين صفتين مذمومتين الكفر والنفاق ، مما يدل على أن النفاق غير الكفر ، والمنافق ينطق بالشهادتين ، ويصلي في جماعة المسلمين ، ويخرج في كتائب وسرايا الإسلام ، وينال من الغنائم ، ولكن حالما يكون المسلمون في ضيق أو حرج يظهر النفاق بالخبث والفساد والمكر وتخويف المؤمنين ، فتوجه القرآن إلى فضح النفاق ، وذم المنافقين .

ليكون من إعجاز القرآن وأد النفاق وإبطال أثره ، ودفع ضرره ، وصار المنافقون يفكرون بأنفسهم وسوء عاقبتهم ، وفيه وجوه :

الأول : قانون فضح القرآن للمنافقين .

الثاني : قانون زجر القرآن عن النفاق .

الثالث : قانون القبح الذاتي والعرضي للنفاق .

الرابع : من إعجاز القرآن قانون تضاؤل النفاق وأثره ، والنقص في عدد المنافقين والمنافقات ، وهو من الشواهد على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الخامس : الأمر الإلهي إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بجهاد

المنافقين ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ (٢)

ويدل قوله تعالى ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ على أنه جهاد من غير قتال .

(١) سورة التوبة ٩٧ .

(٢) سورة التحريم ٩ .

ليان أن آية السيف لا تنسخ الجهاد بالكلمة والموعظة والإنذار والوعيد ، وبيان المعجزة الحسية والعقلية .

صبر النبي (ص) على المنافقين

بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن بني المصطلق يجمعون الناس لغزو المدينة وقائدهم هو الحارث بن أبي ضرار الذي صارت ابنته جويرية زوجة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وتأكد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الأمر بدس العيون فسار اليهم في شهر شعبان من السنة السادسة للهجرة ، والتقوا على ماء لهم يسمى المريسيع وهزم الله عز وجل بني المصطلق ليغنم المسلمون أموالاً كثيرة وسبائاً .

ومع هذه النعمة العظيمة فقد حدث خلاف بين شخصين من المسلمين كاد أن يكون فتنة لولا حكمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحضور الوحي ، إذ اقتتل جهجاه حليف عمر بن الخطاب ، وسانان الجهني حليف بني عوف بسبب الإزدحام على الماء .

فنادى جهجاه يا معشر المهاجرين : ونادى سانان : يا معشر الأنصار . فغضب رأس النفاق عبد الله بن أبي سلول رئيس الخزرج وقال : أوقد فعلوها ، كاثرونا في بلادنا ، ونزل القرآن يحكي قوله ﴿لَيْسَ رُجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾^(١) .

ثم توجه باللوم إلى من حضره من قومه (فَقَالَ لَهُمْ هَذَا مَا فَعَلْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ أَحَلَلْتُمُوهُمْ بِلَادَكُمْ وَقَاسَمْتُمُوهُمْ أَمْوَالَكُمْ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَمْسَكْتُمْ عَنْهُمْ مَا بِأَيْدِيكُمْ لَتَحَوَّلُوا إِلَى غَيْرِ دَارِكُمْ)^(٢) .

(١) سورة المنافقون .٨

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ٢/٢٩٠ .

وكان حاضراً زيد بن أرقم وهو غلام حديث السن فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونقل له هذا الكلام بحضور نفر من الصحابة فاذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالرحيل.

إذ أن المنافقين ظاهراً من أصحاب النبي محمد ، وفي قتلهم إيذاء لذويهم وأقاربهم ، وسبب للفتنة ، ثم أن النبي محمداً يعلم بأن آيات القرآن والسنة النبوية يتضمنان تبيكت وتويخ وفضح وتأييب المنافقين .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سلامته والصحابة من أذى المنافقين مع أنه كان يلتقي مع جهود المشركين في محاربة الإسلام ، نعم جاء الوعيد للمنافقين بقوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَكُنْ﴾^(١).

وهي يدل صفح وتجاوز النبي محمد عن ظلم وتعدي المنافقين على سلامة آيات السلم والصفح من النسخ ، المختار نعم لوجوه :

الأول : قانون الملازمة بين النبوة والصبر .

الثاني : امتناع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن قتل المنافقين مع شدة أذاهم .

الثالث : قانون الملازمة بين النبوة والصفح .

الرابع : اتصاف رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بنشر ألوية السلم .

الخامس : تأديب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين بالصبر على أذى المنافقين وأهل الشك والريب .

السادس : تسمية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المنافقين بأنهم أصحابه دعوة لهم للتوبة والإنابة ، وباعث للسكينة ودعوة للمسلمين للصبر عليهم .

(١) سورة النساء ١٤٥.

قانون مصاحبة الصفح الجميل للنبوة الخاتمة

ورد لفظ (جميل) سبع مرات في القرآن ، اثنتين في يعقوب عليه السلام وحواره مع أولاده لفقد يوسف عليه السلام وأخيه ﴿قَالَ بَلْ سَوَّكْتُمْ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلٰى مَا تَصِفُونَ﴾^(١).

وواحدة في المطلقات قال تعالى ﴿وَسَرَّحُوْنٰ سَرَّاحًا جَمِيْلًا﴾^(٢).

وأربعة بخصوص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهي :

الأولى : قوله تعالى ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيْلًا﴾^(٣).

الثانية : قوله تعالى ﴿وَاصْبِرْ عَلٰى مَا يَقُوْلُوْنَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيْلًا﴾^(٤).

(و) عن ابن جريج في قوله ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيْلًا﴾ قال : اصفح (وقل

سلام) قال : هذا قبل السيف والله أعلم^(٥).

وابن جريج من الطبقة الخامسة ، وجده (جريج عبد لآل أم حبيب بنت

جبيب)^(٦) مات ابن جريج سنة خمسين ومائة .

ولا دليل على النسخ في المقام ، فهذه الآية محكمة .

الثالثة : قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ

لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيْلَ﴾^(٧).

(١) سورة يوسف ١٨.

(٢) سورة الأحزاب ٤٩.

(٣) سورة المعارج ٥.

(٤) سورة المزمل ١٠.

(٥) الدر المنثور ١٠/١٢٦.

(٦) ابن منظور / طبقات الفقهاء ١/٧١.

(٧) سورة الحجر ٨٥.

الرابعة: قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأُزَوِّجَكِمْ إِن كُنتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعِكُمْ وَأُسْرِحَكُمْ سَرَّاحًا جَمِيلًا﴾^(١).

ليبان قانون ملازمة صفة الجميل لسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في معاملاته .

وعلى فرض النسخ في هذه الآية فيكون تقدير الناسخ على وجهين :

الأول : يا أيها النبي لا تصفح عن الناس .

الثاني : يا أيها النبي لا تصفح الصفح الجميل .

ولكن هذا الصفح نعمة من عند الله على الناس جميعاً ومن صفات وعلامات الرسالة الخاتمة ، والله عز وجل إذا أنزل نعمة فانه أكرم من أن يرفعها ، ولا يأمر الله عز وجل إلا بما هو حسن وإذا أمر به فانه لا ينسخه .

لقد أراد الله عز وجل أن يبين للناس بالوحي وسنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً من الأنبياء كلهم كانوا يصفحون الصفح الجميل ، لتكون سيرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم شاهداً وحجة على الذين كفروا من الأمم السابقة ، لذا قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٢).

ويتجلى قانون الصفح النبوي رحمة عامة بالناس لا يعلم منافعها إلا الله عز وجل من جهات :

الأول : هداية الناس للإيمان .

الثاني : بيان قانون أن دولة الإسلام هي دولة الصفح الجميل وأن مضامين آية البحث نافذة إلى يوم القيامة .

الثالث : قانون وراثه الحكام والعلماء المسلمين الصفح الجميل .

(١) سورة الأحزاب ٢٨ .

(٢) سورة الأحزاب ٤٥ .

الرابع : منع الذين كفروا من شحذ قواهم لمحاربة النبوة والتنزيل إذ يبعث الصفح السكينة في النفوس ، ولما قال تعالى ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾^(١) جاءت آية البحث من مصاديق هذه المغفرة .

(وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لولا عفو الله وتجاوزه لما هنا أحد العيش ، ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد)^(٢) .

آيات الرحمة العامة نسخ للسيف

يتصف القرآن بأنه كتاب الرحمة العامة النازل من السماء ، وكتاب التوبة والمغفرة على الناس ، وورد في سورة البقرة وهي مدنية ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٣) وورد بعدها بثلاث آيات ، ﴿وَالَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٤) .

ومن مصاديق قانون القرآن كتاب الرحمة العامة ابتداء كل سورة منه بقوله تعالى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ عدا سورة براءة ، ووردت كلمة الرحمة في القرآن ثلاثاً وسبعين مرة . ويدل لفظ الرحمة على الرفق والرأفة والإحسان ، والتجاوز عن السيئات ، وليس من حصر لرحمة الله ، ويدل قوله تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٥) ، على عدم نسخ آية السيف لآيات السلم والصلح والرفق والعفو ، ومن معاني الرحمة في القرآن النبوة والتنزيل ، والنعمة والرزق الكريم ، والمطر وإجابة الدعاء محو البلاء ودفع المصيبة .

(١) سورة الرعد ٦ .

(٢) تفسير البيضاوي ٢١٢/٣ .

(٣) سورة البقرة ١٦٠ .

(٤) سورة البقرة ١٦٣ .

(٥) سورة الأعراف ١٥٦ .

ومن رحمة الله جعله الرحمة في سيرة الأنبياء وما بين المؤمنين ، وبينهم وبين الناس قال تعالى ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾^(١) ومن الإعجاز في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ﴾^(٢) ، تجلي الرحمة والرأفة في قلوب النصارى في الجملة ، ودعوتهم للسلم والوثام .

ومن إعجاز القرآن صيرورة الرحمة نظاماً يتغشى الحياة اليومية للناس في معاشهم ومعاملاتهم وهدايتهم إلى سبل الرشاد والصلاح .

ومن الدلالة على نسخ آيات الرحمة العامة لأول آية السيف ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾^(٣) أمور :

الأول : استدامة حضور رحمة الله في الوقائع والأحداث .

الثاني : تجلي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرحمة بالناس وهي شعبة من الوحي .

الثالث : قانون الملازمة بين الإيمان والرحمة ، فلا تفارق الرحمة المؤمنين .

الرابع : ما يجعله الله عز وجل في قلوب الناس من الرحمة والتراحم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾^(٤) ، الجواب نعم .

الخامس : تضمن خاتمة آية السيف نفسها الرحمة العامة بقوله تعالى ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٥) .

(١) سورة الفتح ٢٩ .

(٢) سورة الحديد ٢٧ .

(٣) سورة التوبة ٥ .

(٤) سورة السجدة ٩ .

(٥) سورة التوبة ٥ .

إحصاء آيات السلم

قال تعالى ﴿وَأَخْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(١).

كما يحتاج إليه الفرد والجماعة والأمة علم الإحصاء في دقائق الأمور وكبيرها ، وفي العبادات والمعاملات .

ومما ورد في العبادات في القرآن تعيين أوقاتها بلحاظ آيات كونية كما في صلاة الصبح عند طلوع الفجر ، وصلاة الظهر عند زوال الشمس عن كبد السماء ، وصلاة المغرب عند سقوط قرص الشمس .

ومنه ضبط أشهر السنة ، ومعرفة موسم الحج ، وحساب تسعة أيام من هلال شهر ذي الحجة للوقوف في عرفة ، قال تعالى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقًا وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

ومنه ضبط توالي الأهلة لحين حلول شهر رمضان وصيام أيامه ، قال تعالى ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾^(٣) ، وحساب عدة أيام الشهر باطلالة هلال شهر شوال لقوله تعالى ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾^(٤).

وورد لفظ العدة مرتين في القرآن ، إحداهما في الآية أعلاه ، والأخرى تتعلق بالإحصاء أيضا في المعاملات بقوله تعالى ﴿وَأَخْصُوا الْعِدَّةَ﴾^(٥) في

(١) سورة الجن ٢٨ .

(٢) سورة البقرة ١٩٧ .

(٣) سورة البقرة ١٨٦ .

(٤) سورة البقرة ١٨٥ .

(٥) سورة الطلاق ١ .

ومن مسائل علم الإحصاء السكاني في القرآن قوله تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾^(١).

ومن الخطط الاقتصادية الخطة السبعية بقوله تعالى ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾^(٢).
﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾^(٣).

وقوله تعالى ﴿قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ يدل على إحصاء المدخر والخزين ، وصرفه بتقنين وحرص على بقاء بقية معلومة .
ثم الخطة السنوية بقوله تعالى ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يُعْصِرُونَ﴾^(٤).

والجامع بينها خطة الخمس عشرة سنة .
ولا يدل هذا على الحصر ، إنما يبين القرآن لزوم وضع الدولة لخطط قصيرة وطويلة بحسب الحال .

ومن الإحصاء القرآني إحصاء كلمات وآيات السلم والصلح والموادعة والعمو والصفح والأمن المجتمعي ، وكذا إحصاء هذه المصاديق في السنة النبوية التي هي تفسير وبيان للقرآن ، ومنها السنة القولية والفعلية بخصوص صلح الحديبية وكيف أن الله عز وجل جعله فتحاً مبيناً بذاته وبما ترشح عنه

(١) سورة الصافات ١٤٧.

(٢) سورة يوسف ٤٧.

(٣) سورة يوسف ٤٨.

(٤) سورة يوسف ٤٩.

، إذ نزل قوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(١) عند رجوع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من صلح الحديبية إلى المدينة.

وإحصاء آيات السلم كلها سواء في سلامتها من النسخ أو في موضوعها ودلالاتها وعظيم نفعها .

وقد تكون مضامين الآية كلها للسلم والموادعة والوثام ، أو تختص بعض كلماتها بالصلح .

ومن خصائص الفرائض العبادية من الصلاة والصيام والزكاة والحج نشر الأمن المجتمعي ، وبعث السكينة في النفوس ، وهي شاهد متجدد على قانون الإسلام دين الأمن والسلام .

وإحصاء آيات السلم وبيان كثرتها شاهد على سلامتها من النسخ .

حج البيت نداءً للسلم

قال تعالى ﴿إِذْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

بعد أن صدر الجزء الثالث والسبعون بعد المائتين من تفسيري للقرآن ويختص بتفسير الآية الأخيرة من سورة آل عمران ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٣).

يتضمن هذا الجزء دلائل قرآنية تدل على سلامة آيات السلم من النسخ ، وقانون شواهد من السنة النبوية القولية والفعلية تبين سلامة آيات السلم من النسخ .

(١) سورة الفتح ١.

(٢) سورة آل عمران ٩٦.

(٣) سورة آل عمران ٢٠٠.

ومن هذه الدلائل وجوب حج البيت الحرام على الناس لما فيه من انقطاع الناس إلى عبادة الله ، والتقائهم في حج البيت والنداء (ليك اللهم ليك ، ليك لا شريك لك ليك) ونبد الحروب والإقتال ، إذ يلتقون جميعاً بلزوم حج البيت مع الإستطاعة .

(وعن الباقر عليه السلام : حج موسى بن عمران ومعه سبعون نبياً من بني اسرائيل خطم إبليس من ليف، يلبون وتجيهم الجبال وعلى موسى عبائتان قطوانيان يقول: ليك عبدك وابن عبدك)^(١).

وفي الحديث نكتة عقائدية وهي أن موسى عليه السلام عاصره العشرات من الأنبياء، وقد ورد في القرآن ذكر هارون.

ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين وكانت بينه وبين عيسى عليه السلام فترة نحو ستمائة سنة أو أكثر لم يبعث فيها نبي ولا رسول ومع هذا آمن به العرب والمسلمون واستطاع ان يعلمهم مناسك الحج وأحكامه. إن تعاهد المسلمون للفريضة التي كتبها الله على الإنسان منذ بداية نزوله إلى الأرض وجعلها مناراً للتوبة وسلاماً للإرتقاء إلى منازل الخلود في الجنة تشريف وإكرام لهم في الدارين لتحملهم مسؤولية تعظيم شعائر الله ، واختيارهم الطريق السليم للعروج بالروح في ذروة التشبه بالملائكة والإبتعاد الإختياري عن حضيض النفس البهيمية وأسباب الشهوة والمباح من اللذات كمقدمة تتضمن البشارة والوعد بعروجها والبدن يوم القيامة إلى منازل المختبين.

لقد استعبد الله عز وجل الناس ببيته الحرام، وكان الطواف حوله منهج الملائكة قبل أن يخلق آدم .

ففي الصحيح عن الامام جعفر الصادق عليه السلام لما أفاض آدم من منى، تلقته الملائكة، فقالت: يا آدم برِّ حجك فأنا قد حججنا هذا البيت قبل أن توجه بالفني عام^(١).

(١) المستدرک ١/ ١٨٨ .

وَبُرِّحُكُ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ، أَي كَانَ حُجُكُ مَقْبُولاً وَتَاماً غَيْرِ نَاقِصٍ وَليْسَ فِيهِ شَائِبَةٌ.

ويبين هبوط آدم عليه السلام إلى الأرض بداية عمارة البيت الحرام وأول مراحل بنائه ، وعن الأمام محمد الباقر عن آبائه عليهم السلام قال : أن الله عز وجل أوحى إلى جبرئيل عليه السلام أني قد رحمت آدم وحواء فأهبط عليهما بنخيمة من خيم الجنة، فأضرب الخيمة مكان البيت وقواعدها التي رفعها الملائكة قبل آدم .

كما ورد قوله تعالى ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(١) وذكر أن المراد من الكتاب هو اللوح المحفوظ والذي يتضمن احصاء أفعال البشر من أيام آدم عليه السلام .

والآية أعم من اللوح المحفوظ لبيان خزائن الله في الإحصاء التي لا يعلمها إلا هو سبحانه وذكر الكتاب لأن الكتابة أكثر توثيقاً .

و(عن سعد بن جنادة قال : لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غزوة حنين نزلنا قفرا من الأرض ليس فيه شيء ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اجمعوا من وجد عوداً فليات ، ومن وجد عظماً أو شيئاً فليات به .

قال : فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركماً . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أترون هذا؟ فكذلك تجتمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا ، فليتنق الله رجل لا يذنب صغيرة ولا كبيرة فإنها محصاة عليه . وأخرج ابن مردويه ، عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : : إياك ومحقرات الذنوب ، فإن لها من الله طالباً)^(٢) .

ثم نزل جبرئيل لتنحية آدم وحواء عن البيت وبنائه .

(١) الوسائل ١٢/٢٤٩ .

(٢) سورة يس ١٢ .

(٣) الدر المشور ٦/٣٧٢ .

ويتجلى الوجوب العام بحج البيت الحرام بقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(١) :

الأول : بيان قانون الملازمة بين هبوط آدم وحواء إلى الأرض ووضع البيت الحرام ، لإفادة الألف واللام في (للناس) العموم الإستغراقي وشمول الآية لآدم وحواء ، لذا لم تقل الآية وضع لبني آدم ، أو وضع للمسلمين لقانون إقامة الحجة على الذين يتخلفون عن الحج الواجب ، حجة الإسلام ، لذا ورد قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾^(٢).

الثاني : قانون الملازمة بين عمارة الناس للأرض وحج البيت .

الثالث : تعيين مكان البيت وأنه في مكة ومبارك وهدى للعالمين .

الرابع : قانون استقبال المسلمين للبيت الحرام في الصلاة من أسباب

الصلاح ونشر الأمن بين الناس .

النسخ ليس بداء

من خصائص النبوات نسخ الرسول اللاحق لبعض شرائع الرسول

السابق لوجوه :

الأول : الإختلاف في الزمان والمكان .

الثاني : التخفيف عن الناس .

الثالث : اختبار الناس في طاعتهم لله عز وجل .

الرابع : بيان مصداق لملك الله عز وجل للسماوات والأرض وما بينهما

وأنه يفعل ما يشاء .

(١) سورة البقرة ٩٧ .

(٢) سورة التوبة ٢٨ .

الخامس : التدرج في الأحكام التي هي كالدواء للأبدان .

السادس : قانون النسخ من حكمة الله في الخلائق .

ثم نزل القرآن ناسخاً للشرائع ، ولا يعني هذا إبطاله لأحكام الشرائع السابقة ، وفيه أيضاً ناسخ ومنسوخ ، والمنسوخ في أوانه أصلح للناس ، والناسخ في وقته وزمانه أكثر نفعاً وإصلاحاً وثواباً للناس .

والنسخ ليس بداء الذي هو الظهور والإبانة بعد الخفاء ، قال تعالى

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ * ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا﴾^(١) .

والله عز وجل عالم بكل شئ من الأزل ، ومشيتته نافذة في الخلائق

كلها ، نعم سبحانه ﴿يُنحَوِّلُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٢) وفيه دعوة للناس للإيمان والاجتهاد في طاعته والتوجه إليه سبحانه بالدعاء .

ولا يرد الله دعاءً وقد يعطي الله عز وجل العبد الذي يدعو في غير ما

دعا فيه لعلم الله عز وجل بالمصلحة وأسباب درء المفسدة ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣) .

ومن علم الله تعالى ان جميع الاشياء حاضرة عنده . وما كان معلوماً

يتوجه اليه القصد وقدرة الله تعالى تتعلق بكل شيء وبالمقدورات جميعاً لعله الامكان الموجودة فيها . ولوجود المقتضي وفقد المانع فان قدرته تعالى عامة وبتجرد من الزمان والمكان والجهة .

(وعن الصادق عليه السلام إن الله لا يوصف ، وكيف يوصف وقد قال

في كتابه ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ فلا يوصف بقدر إلا كان أعظم من ذلك)^(٤) .

(١) سورة الزمر ٤٧-٤٨ .

(٢) سورة الرعد ٣٩ .

(٣) سورة البقرة ٢١٣ .

(٤) التفسير الصافي ١٦٦/٢ .

النسخ في التوراة

ينكر اليهود النسخ في الشرائع ، ولكنه ثابت في التوراة إذ كان كل الطعام حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل وهو يعقوب على نفسه من أكل لحوم الإبل وشرب ألبانها وفاء لنذر نذره قال تعالى ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَاتُوا بِالْتَّوْرَةِ فَاتُّوْهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١).

ثم نزلت التوراة على موسى عليه السلام لتحرم عدداً من الأطعمة على بني إسرائيل ، وهذا هو النسخ .
(وعن ابن عباس قال : حضرت عصابة من اليهود نبي الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي .

قال سلوني عما شئتم ، ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم شيئاً فعرفتموه لتتابعني؟ قالوا : فذلك لك .
قالوا : أربح خلال نسألك عنها : أخبرنا أي طعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، وأخبرنا كيف ماء الرجل من ماء المرأة وكيف الأنثى منه والذكر ، وأخبرنا كيف هذا النبي الأمي في النوم ، ومن وليه من الملائكة ، فأخذ عليهم عهد الله لئن أخبرتكم لتتابعني ، فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق .

قال : فأنشدكم بالذي أنزل التوراة هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضاً طال سقمه ، فنذر نذراً لئن عافاه الله من سقمه ليحرم من أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه ، وكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل ، وأحب الشراب إليه ألبانها؟ فقالوا : اللهم نعم .

(١) سورة آل عمران ٩٣ .

فقال : اللهم اشهد . قال : أنشدكم بالذي لا إله إلا هو هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ وأن ماء المرأة أصفر رقيق ، فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله ، إن علا ماء الرجل كان ذكراً بإذن الله وإن علا ماء المرأة كان أنثى بإذن الله ، قالوا : اللهم نعم .

قال : اللهم اشهد قال : فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن النبي الأمي هذا تنام عيناه ولا ينام قلبه؟ قالوا : نعم . قال : اللهم اشهد عليهم . قالوا : أنت الآن فحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نتابعك أو نفارقك .

قال : وليي جبريل ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه . قالوا : فعندها نفارقك ، لو كان وليك سواه من الملائكة لا تبعناك وصدقناك . قال : فما يمنعكم أن تصدقوه؟ قالوا : هو عدونا ، فأنزل الله تعالى ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾^(١) إلى قوله ﴿كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) فعند ذلك باؤوا بغضب على غضب^(٣) .

وجاء المسيح بحلية عدد من الأطعمة التي حرّمها اليهود .

الآيات المنسوخة ليست كثيرة

قد تقدم في الجزء الخامس عشر بعد المائتين من هذا السفر عنوان : قلة النسخ في القرآن .

النسخ في الإصطلاح هو رفع حكم شرعي سابق بدليل شرعي لاحق ، ويقع في الأحكام العملية دون العقائدية والضروريات.

(١) سورة البقرة ٩٧ .

(٢) سورة البقرة ١٠١ .

(٣) الدر المنثور ١/١٦٧ .

والمراد منه في المقام نسخ حكم وارد في آية قرآنية لاحقة لحكم في آية قرآنية سابقة ، لما تقدم بأن القرآن لا تنسخه السنة النبوية ، أو الإجماع ، فلا ينسخ القرآن إلا القرآن .

والنسخ في القرآن قليل ، مما نسخ حكمه وبقي لفظه ، لبيان فضل الله عز وجل .

وهل يحتمل عودة مؤقتة إلى المنسوخ عند أمة أو طائفة من المسلمين خاصة حديثي العهد بالإسلام .

لتكون هذه العودة من الإعجاز في بقاء لفظ المنسوخ في القرآن ، الجواب لا دليل عليه ، خاصة وأن النسخ ونزول الناسخ رحمة عامة بالمسلمين ، وتخفيف عنهم ، قال تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَكَأَيِّرِدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(١).

قانون القرآن لا تنسخه السنة

ذكر أن السنة تنسخ القرآن ، والمختار أنها لا تنسخ القرآن سواء كانت سنة متواترة أو مشهورة أو سنة آحاد .

وقال في معالم الدين (أصل : يجوز نسخ كل من الكتاب والسنة المتواترة والآحاد بمثله ، ولاريب فيه . ونسخ الكتاب بالسنة المتواترة وهي به ، ولانعرف فيه من الاصحاب مخالفا ، وجمهور أهل الخلاف وافقونا فيه ، وأنكره شذوذ منهم ، وهو ضعيف جدا لا يلتفت إليه)^(٢)^(٣).

وفيه أنه ليس من إجماع للمسلمين على نسخ السنة للقرآن والمشهور هو عدم نسخها للقرآن ، وليس شذوذ من عامة المسلمين ، إنما قال الشافعي مثلاً : لا يجوز نسخ القرآن بالسنة .

(١) سورة البقرة ١٨٥ .

(٢) جمال الدين العاملي ت ١٠١١ هجرية / معالم الدين في الأصول ١/ ١٨٨ .

(٣) تمت دراسة هذا الكتاب والإمتحان به عند الأستاذ آية الله الحسين بحر العلوم ، قبل أكثر من ثلاثين سنة وكان عدد الفضلاء طلبة البحث الخارج اثنتين وعشرين .

وفي أوائل المقالات للشيخ المفيد المتوفى سنة ٤١٣ هجرية (والقول بأن السنة لا تنسخ القرآن مذهب أكثر الشيعة)^(١).
 واستدل على نسخ السنة للكتاب بالحديث ألا لا وصية لوارث ، ولكن آية الميراث لا تمنع الوصية للوالدين والأقربين والجمع أولى .
 والمختار أنه لا يصح تأسيس قانون وقاعدة كلية في علوم القرآن بسبب حديث واحد .

وقال تعالى ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾^(٢).

والنسخ المقصود هنا هو نسخ الحكم مع بقاء التلاوة .
 ومن المتقدمين من جعل النسخ عنواناً للتخصيص ، وتقييد المطلق وليس إبدال حكم بغيره فقط .
 وقد ورد البيان في الجزء الثامن عشر من هذا السفر .
 ويأتي تفصيل في الجزء الرابع من معراج الأصول وهو تقريرات بحشي الخارج .

وينسخ القرآن السنة ، وليس العكس ، والقرآن قطعي الصدور قطعي الدلالة ، ونسخ الكتاب بالكتاب جائز مع الدليل ، والأصل في الآية القرآنية أنها محكمة غير منسوخة .

نعم السنة النبوية القولية والفعلية أصل عظيم ، والنسخ في القرآن وجه من وجوه إعجازه وأهلية أحكامه للملائمة لكل زمان ومكان .
 وقد يأتي الحديث النبوي بياناً وتأكيداً للآية الناسخة من غير أن يفرد بنسخ الآية القرآنية .

وينسخ القرآن بالقرآن .

وتنسخ السنة المتواترة بالسنة المتواترة .

(١) الشيخ المفيد محمد بن محمد بن نعمان البغدادي / أوائل المقالات ١٤/٢١ .

(٢) سورة النحل ١٠١ .

النسخ لزيارة القبور

و(لما فرغ (النبي صلى الله عليه وآله وسلم) من حجة الوداع لاذ بقبر قد درس فقعد عنده طويلاً ثم استعبر، فقيل له: يارسول الله ما هذا القبر؟ فقال: هذا قبر امي آمنة بنت وهب، سألت الله في زيارتها فأذن لي .

وقال صلى الله عليه وآله : قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور إلا فزوروها، وكنت نهيتكم عن ادخار لحوم الاضاحي لأفاد خروها)^(١).

و(عَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ ثَلَاثٍ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ وَعَنْ لُحُومِ الْأَضَاحِيِّ أَنْ تُحْبَسَ فَوْقَ ثَلَاثٍ وَعَنْ الْأَوْعِيَةِ وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحُومِ الْأَضَاحِيِّ لِيُوسِعَ ذُو السَّعَةِ عَلَى مَنْ لَأَ سَعَةً لَهُ فَكُلُّوا وَادْخَرُوا وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ وَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ أَذِنَ لَهُ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ وَنَهَيْتُكُمْ عَنِ الظُّرُوفِ وَإِنَّ الظُّرُوفَ لَأَ تُحْرَمَ شَيْئًا وَلَا تُحِلَّهَ وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ)^(٢).

وبالإسناد عن عبد الله بن سليمان عن الباقر عليه السلام قال (سألته عن زيارة القبور. قال إذا كان يوم الجمعة فزرهم، فإنه من كان فيهم في ضيق وسع عليه ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، يعلمون بمن أتاهم في كل يوم، فإذا طلعت الشمس كانوا سدى. قال قلت فيعلمون بمن أتاهم، فيفرحون به قال نعم، ويستوحشون له إذا انصرف عنهم)^(٣).

نسخ السنة بالقرآن

قد لا يرد المنسوخ على نحو التعيين في القرآن ، ولكن تدل عليه آيات القرآن ، كما في استقبال المسجد الأقصى قبل التحول إلى استقبال البيت الحرام وهو شاهد على نسخ السنة بالقرآن ، وكما في ابتداء تشريع الصيام

(١) البحار ٤٤٢/١٠.

(٢) مسند أحمد ٤٦/٤٩٠ .

(٣) الأمالي للطوسي ٢٧٨/٢.

وحلية الأكل والشرب ، والجماع قبل النوم دوئماً بعده ، فإذا نام بدأ صوم اليوم التالي من الليل .

فوقع بعض الصحابة في الحرج من شدة الجوع والعطش بعد أن نام في الليل ، وأتى آخر امرأته بعد أن نامت ، وأخبروا النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وسألوا المعذرة والعفو ، فنزل قوله تعالى ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾^(١).

و(عن البراء بن عازب قال : كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي .

وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً ، فكان يومه ذاك يعمل في أرضه ، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال : هل عندك طعام؟ قالت : لا ، ولكن أنطلق فأطلب لك فغلبته عينه فنام ، وجاءت امرأته فلما رآته نائماً قالت : خيبة لك أئمت؟ فلما انتصف النهار غشي عليه .

فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ

الصِّيَامِ الرَّفَثُ﴾ إلى قوله ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ ففرحوا بها فرحاً شديداً^(٢).

و(عن كعب بن مالك قال : كان الناس في رمضان إذا صام الرجل فنام حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر من الغد ، فرجع عمر بن الخطاب من عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وقد سمر عنده ،

(١) سورة البقرة ١٨٧.

(٢) الدر المنثور ١/٣٩٥ .

فوجد امرأته قد نامت ، فأيقظها وأرادها فقالت : إني قد نمت فقال : ما نمت ثم وقع بها . وصنع كعب بن مالك مثل ذلك ، فغدا عمر بن الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فأنزل الله ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ (١) (٢) .

ليبان فضل الله عز وجل على المسلمين ، وأن النسخ تخفيف ورحمة وموعظة ، ودعوة لتعاهد الفرائض العبادية وأداء ما أمر الله عز وجل به ، وما نهى عنه .

وذكر أنه مما نسخ لفظه وبقي حكمه وقع في آية واحدة ، وهي آية الرجم في حكم الزاني المحصن أي المتزوج وزوجته قريبة منه ولا يكون النسخ القرآني إلا بالتنزيل وما بين الدفتين .

من معاني النسخ في القرآن

ويدل قوله تعالى ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسِيهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣) على تعيين النسخ للآية القرآنية ، فالله عز وجل هو الذي ينسخ الآية القرآنية يأتي بخير منها من الآيات للناس ، ومع أن الحديث النبوي شعبة من الوحي لقوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٤) إلا أن القرآن تنزيل وهو كلام الله ، وأعلى مرتبة وهو قطعي الصدور قطعي الدلالة .

(١) سورة البقرة ١٨٧ .

(٢) الدر المنثور ١/٣٩٥ .

(٣) سورة البقرة ١٠٦ .

(٤) سورة النجم ٣-٤ .

وتبين هذه الآية أن نزول آيات القرآن من عند الله عز وجل ، وأن كل آية ذات شأن مستقل ، ومن وجوه الثناء على المسلمين أنهم يعملون بأحكام الآية إلى أن تأتي آية ناسخة .

والمختار أن الآيات المنسوخة لا تزيد على عدد أصابع اليدين مع تأكيد شرف كل من الآية الناسخة والمنسوخة .

ومن معاني بقاء لفظ الآية المنسوخة مع نسخ حكمها أمور :

الأول : الأجر والثواب في قراءتها .

الثاني : تعاهد سلامة القرآن من النقص والزيادة والتحريف .

الثالث : نزول الآية الناسخة نعمة من عند الله عز وجل لقوله تعالى

﴿بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ .

الرابع : تقدير خير منها أي (خير منها للمسلمين والناس) وفي الدنيا والآخرة مع الإتحاد في صفة التنزيل والقرآنية .

الخامس : انتفاء التعارض بين الآية الناسخة والآية المنسوخة .

السنة النبوية مرآة لآيات السلم

من بيان القرآن تضمنه الأمر الإلهي بلزوم الأخذ بسنة النبي محمد صلى

الله عليه وآله وسلم من وجوه :

الأول : طاعة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيما يأمر به وينهى

عنه ، قال تعالى ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(١) وقال تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ

وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٢) .

الثاني : وجوب اقتداء المسلمين بالسنة النبوية في العبادات والمعاملات ،

قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٣) .

(١) سورة النساء ٨٠ .

(٢) سورة آل عمران ١٣٢ .

(٣) سورة الأحزاب ٢١ .

الثالث : الإعتاظ بالسيرة النبوية في الوقائع والأحداث .

الرابع : التفقه في الدين .

الخامس : تعلم الأحاديث النبوية ، والإنتفاع الأمثل منها ، وهو من

مصاديق قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^(١) .

لقد أسس النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لمكارم الأخلاق والتعائيش السلمي بشعبة من الوحي والتنزيل ، واجتهد في إرساء قواعد العدل والمساواة ، مع التأكيد على أولوية الشعائر والفرائض العبادية لأنها علة خلق الناس ، وهي برزخ دون الظلم والجور والتعدي .

وكانت الرحمة تصاحبه في قوله وفعله ولا تفارقه فصحيح أنه واحد من البشر يأكل الطعام ويدخل الأسواق ، ولكن الوحي لا يغادره ، وجبرئيل ينزل عليه بآيات القرآن ، لذا ترى النور يشع من وجهه ، وتتجلى فيه سيماء النبوة ، جعل الله له في كل بلدة أتباعاً وأنصاراً ، يحاكونه في عبادته لله ، فهو لم يدع إلا لعبادة الله ، الجامع المشترك والواقية من الحروب ، ويتكرر اسمه في الأذان خمس مرات في اليوم بعد ذكر اسم الله عز وجل .

وهل تدل الآية أعلاه من سورة الجمعة على سلامة آيات السلم من النسخ ، المختار نعم .

لما كان يظهره النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من اللين والرفق والمبادرة إلى العفو ، وقبول الشفاعة من غير تردد أو عتاب أو لوم .
لقد انبسطت الدنيا للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فاختر البقاء على حياه الكفاف هو وأهل البيت ، وقد غادر الدنيا ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير ، أي نحو تسعين كيلو غراماً ، ولم يترك مالاً أو بستاناً أو قصرأ ، لتنتفح خزائن وكنوز الأرض لأجيال أمته .

(١) سورة الجمعة ٢ .

التقييد في آية السيف

من خصائص آية السيف ﴿فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(١) أمور :

الأول : تعد مضامين وأحكام الآية .

الثاني : ورود التخفيف والتيسير والإمهال في وسط وآخر الآية بعد التشديد فيها ، كما في قوله تعالى ﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

الثالث : حصر موضوع آية السيف في بقايا الذين كفروا من أهل مكة وما حولها ، لوجوب إسلامهم لوجود المقتضي وفقد المانع .

ومن الشواهد على أن السنة النبوية مقيدة لآية السيف أن الله عز وجل بعث النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالحنيفية السمحة ، ومن معاني السماحة فيها :

الأول : اليسر والسهولة وانتفاء التضييق ، قال تعالى ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(٢).

الثاني : خلو الشريعة الإسلامية من التشديد والمشقة على الناس سواء في العبادات أو المعاملات .

و(عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه)^(٣).

الثالث : قانون عصمة الإسلام وأحكامه من الغلو .

(١) سورة التوبة ٥.

(٢) سورة الحج ٧٨.

(٣) الدر المنثور ١/٣٨٧.

الرابع : الإستقامة في الأحكام ومناهج المسلمين .

الخامس : التقييد والإستثناء في العبادات ، كما في الرخصة للمريض والمسافر في إفطار شهر رمضان ، وكما في شرط الإستطاعة في حج بيت الله الحرام ، قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(١) .
 (وعن أنس : أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى شيخاً يهادي بين ابنيه فقال : ما بال هذا؟ قالوا : نذر أن يمشي إلى الكعبة . قال : إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني ، وأمره أن يركب)^(٢) .
 فأنشئت المساجد لإقامة الصلاة ، وتثبيت سنن التوحيد الخالص في الأرض.

المسجد الضرار

المسجد الضرار هو المسجد الذي إنشأ للإضرار بالمسلمين وإيذائهم ، أو للفتنة وإثارة الشك والريب في بعض أحكام الشريعة .
 ولم ينشأ مسجد ضرار إلا مسجداً واحداً نزل القرآن بفضح ودم أهله ، وأمر الله عز وجل النبي محمداً بهدمه بالتنزيل والوحي ، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يُشْهَدُ لَهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٣) .

فمن إعجاز الآية أعلاه بيانها لغاية المنافقين في بناء مسجدهم ، وهي مركبة من أمور :

الأول : الإضرار العام .

الثاني : الكفر برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) سورة البقرة ٩٧ .

(٢) الدر المنثور ٢/٢١١ .

(٣) سورة التوبة ١٠٧ .

الثالث : التفريق بين المؤمنين .

الرابع : انتظار سوء وحفظ وحرز لمن خالف وحارب الله ورسوله .
فصحيح أنه يسمى مسجداً ضراراً ، ولكن المقاصد الخبيثة في انشائه
متعددة ، ومن الإعجاز في ذكر هذا التعدد عدم التعدي على المساجد
لطائفة مخالفة بذريعة أنه مسجد ضرار ، قال تعالى ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا
تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾^(١).

وليبيان لزوم تنزيه المساجد عن هذه الصفات ، وفي اكتفاء النبي محمد
صلى الله عليه وآله وسلم بهدم المسجد الضرار شاهد على اجتناب النبي
محمد القتل وسفك الدماء .

ذكر (إن بني عمر بن عوف اتخذوا مسجد قبا وبعثوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يأتيهم فأتاهم فصلى فيهم فحسداهم إخوتهم بنو غنم
ابن عوف .

وقالوا : نبني مسجداً ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي فيه كما صلى في مسجد إخوتنا وليصلي فيه أبو عامر النعمان الراهب
إذا قدم من الشام .

وكان أبو عامر رجلاً منهم وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة وكان قد
ترهب في الجاهلية وتنصر ولبس المسوح . فلما قدم النبي صلى الله عليه
وسلم المدينة قال له أبو عامر : ما هذا الذي جئت به .

قال : جئت بالحنيفية دين إبراهيم .

قال أبو عامر : فأنا عليها قال النبي صلى الله عليه وسلم : فإنك لست
عليها ، قال : بلى ولكنك أدخلت في الحنيفية ما ليس منها ،
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما فعلت ولكني جئت بها بيضاء
نقية .

فقال للنبي صلى الله عليه وسلم أمات الله الكاذب منا طريداً وحيداً .
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : آمين .
وسمي العامر الفاسق . فلما كان يوم أحد قال أبو عامر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم إن أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم .
فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج الى الروم
يستنصر وأرسل الى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا
لي مسجداً فإني ذاهب الى قيصر ملك الروم فأت بجند من الروم فأخرج
محمداً وأصحابه .

وذلك قوله تعالى ﴿وَإِذْ صَادَ الْمَنُّ حَارِبَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ﴾^(١) فبنوا مسجداً الى
جنب مسجد قبا وكان الذين بنوه اثنا عشر رجلاً :
خدام بن خالد ومن داره أخرج المسجد ،
وثعلبة بن حاطب ،
ومعتب بن قشير ،
وأبو الأرعذ ،
وعباد بن حنيف ،
وحارثة بن عامر ،
(وجارية وابناه) مجمع وزيد ،
ونبتل بن الحارث . ولحاد بن عثمان ،
ووديعة ابن ثابت ،
وكان يصلي بهم مجمع بن يسار .

فلما فرغوا أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يتجهز الى تبوك ،
وقالوا : يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلية
المطيرة والليلية الشتائية وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه وتدعو بالبركة .

(١) سورة التوبة ١٠٧ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني على جناح السفر ولو قد منا
إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه .

فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ونزل (بذي
أوان) بلد بينه وبين المدينة ساعة .

فسألوه إتيان مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم فنزل عليه القرآن
فأخبره الله عز وجل خبر مسجد الضرار وما هموا به .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مالك بن الدخشم ومعن بن
عدي وعامر بن السكن والوحشي قاتل حمزة وقال لهم : انطلقوا الى هذا
المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه .

فخرجوا سريعاً حتى اتوا سالم بن عوف واتوا رهط مالك بن الدخشم
فقال مالك لهم : انتظروا حتى آتي لكم بنار من أهلي فدخل أهله فأخذ
سعفاً من النخل فأشعل فيه ناراً .

ثم خرجوا يشدون^(١) حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فحرقوه وهدموه
وتفرق عنه أهله .

وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يتخذ ذلك كناسة تلقى فيه
الجيف والدنس والقمامة ، ومات أبو عامر الراهب بالشام وحيداً غريباً وفيه
يقول كعب بن مالك :

معاذ الله من فعل الخبيث ... كسعيك في العشيرة عبد عمرو
فاما قلت بأن لي شرف ونخل ... فقدما بعت إيماناً بكفر^(٢).

(١) في الأصل : ينشدون .

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ٢٢١/٦ .

مسائل في هدم المسجد الضرار

الأولى : قانون بناء المساجد خالصة لعبادة الله .

الثانية : قانون النهي عن بناء المسجد للفتنة ومحاربة الله ورسوله والفرقة والريب والإفتراء والغيبة للمؤمنين .

الثالثة : لا يتم هدم مسجد إلا عند اجتماع أسباب الهدم من الكفر والضلالة وإرادة الفتنة والإضرار بالمسلمين وامتدادي للعداء لله ورسوله ، قال تعالى ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

الرابعة : لم يهدم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا مسجداً واحداً لأنه ضرر على المسلمين ، وحتى على أصحابه .

الخامسة : في هدم المسجد الضرار تأديب عام وخاص ، ودعوة لإصحابه للتوبة والإنابة ، وقطع لأمل أبي عامر الراهب الأوسي من العودة إلى المدينة وإثارة الفتن .

وقد مات أبو عامر الراهب في الشام طريداً غريباً بدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وهل يشمل البناء الذي يحمل صفة دينية غير المسجد أم أن القدر المتيقن هو بناء المسجد ضراراً ، الجواب هو الأول .

المواخاة سلم مجتمعي

لقد آخى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين المهاجرين والأنصار في السنة الأولى من الهجرة ، ودعا الناس إلى المحبة في مرضاة الله وإن اختلف النسب والقبيلة والبلد ، ونبذ الفرقة والشقاق والإقتتال .

ودعا للإجماع في الصلاة والصيام وذكر الله ، وفيه عزوف عن الحروب ولمعان السيوف .

(١) سورة التوبة ١١٠ .

و(عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليعثن الله أقواماً يوم القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ يغبطهم الناس ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء . فقال أعرابي : يا رسول الله صفهم لنا نعرفهم؟ قال : هم المتحابون في الله من قبائل شتى وبلاد شتى ، يجتمعون على ذكر الله يذكرونه .

وأخرج الخرائطي في الشكر عن خلود العقري قال : إن لكل بيت زينة ، وزينة المساجد الرجال على ذكر الله^(١).

يدعو إلى الله بسيرته وسننه الفعلية أكثر من سننه القولية وكلاهما كثير ، وكانت خطبه ترجماناً لحسن خلقه ، قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢). وقد درّست كتاب شرائع الإسلام في أحكام الحلال والحرام للمحقق الحلي قبل أكثر من ثلاثين سنة ، وصدرت لي الأجزاء السادس والعاشر والرابع عشر من كتابي (دار السلام في شرائع الإسلام) وقد ذكر المحقق خمس عشرة خصيصة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وضاعف هذا العدد بعض العلماء الأعلام .

لتأتي الأجزاء الخمسة من كتابي (خصائص النبي محمد (ص)) وهي تتضمن الفين ومائة وعشرة خصيصة مباركة ، وسيأتي الجزء السادس إن شاء الله .

وكما قسمت إعجاز الآية القرآنية إلى الإعجاز الذاتي لمضامين الآية ، والإعجاز الغيري لها الذي يجري ما جدّ الجديدان أي الليل والنهار لانهما لا يبليان مع مرور الزمن وكل يوم يختلف عن غيره ، قال تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(٣).

(١) الدر المنثور ١/٣٠٣.

(٢) سورة القلم ٤.

(٣) سورة الرحمن ٢٩.

والدائبان هما الشمس والقمر ، والثقلان هما الإنس والجن ، والنقدان هما الذهب والفضة ، والرافدان هما دجلة والفرات ، والأصغران القلب واللسان ، والأبوان الأب والأم ، والخاققان هما المشرق والمغرب ، والأمران هما الفقر والهرم ، والداران هما الدنيا والآخرة .
وقسمتُ خصائص النبي محمد إلى خصائص ذاتية ، وخصائص غيرية تعكس موضوعية وبركة رسالته في صلاح المسلمين والمجتمعات.

كل دقيقة هناك صلاة في الأرض

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الغيرية في زمن العولة إنه لا تمر دقيقة أو دقائق قليلة على أهل الأرض إلا وهناك من يتوجه إلى البيت الحرام في صلاته مقتدياً بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهناك أذان يرفع يذكر فيه اسم النبي محمد بعد الشهادة لله بالتوحيد في بلدان المشرق والمغرب .

وهو من الإعجاز بتعيين أوقات الصلاة من عند الله ووفق علامات كونية ثابتة ، ففي كل ساعة هناك طلوع للفجر أو زوال أو غروب للشمس . وهل تعاهد المسلمين للصلاة اليومية في أوقاتها وحرصهم على صلاة الجماعة دعوة للسلم والوئام والخلق الحميد ، وترك العنف والمخاشنة والتفجيرات العشوائية ، الجواب نعم .

ويمكن القول بأمور :

الأول : قانون أداء الصلاة دعوة للسلم والأمن المجتمعي .

الثاني : قانون تعاهد الصلاة اليومية زاجر عن الإرهاب والبطش

والعنف .

الثالث : وقوف المسلم بين يدي الله خاشعاً خاضعاً باعثاً للسكينة في

قلوب الناس على اختلاف مذاهبهم .

الرابع : قد تقدم في الجزء الثالث والسبعين بعد المائتين من تفسيري

للقرآن ومن معاني قوله تعالى ﴿وَرَابُّوا﴾ ما (ورد عن الإمام علي عليه

السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ألا أدلكم على ما يكفر الله به الذنوب والخطايا؟ إسباغ الوضوء على المكاره ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلك الرباط) (١).

الخامس : قانون مصاحبة الصلاة لوجود الإنسان في الأرض من أيام آدم عليه السلام .

السادس : قانون حفظ الصلاة وفق التنزيل والوحي إلى يوم القيامة برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو من خصائصه المباركة إذ قال (صلوا كما رأيتموني أصلي) (٢).

آيات الرحمة تعضيد آيات السلم

الحمد لله الذي جعل الآية القرآنية ضياءً ومنهاجاً للمسلمين، يعملون بأحكامها وسنتها بطمأنينة وسكينة ، وليس فيها إلا البركة والأجر والثواب ، ومنها قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٣) لما فيها من دعوة للمسلمين إلى الرفق بالناس ، ونشر شآبيب الرحمة والإحسان في المجتمعات.

وهل تدل هذه الآية الكريمة على سلامة آيات السلم والصلح والرفق والموادعة من النسخ .

الجواب نعم ، في علم جديد في تأريخ الإسلام وهو تعدد الآيات التي تنفي الحاجة إلى اللجوء إلى القتال ، لذا قال تعالى ﴿كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ (٤) لبيان قانون أعداء الإسلام هم الذين يشعلون الحروب ، وأن الله عز وجل قد تكفل إطفاء الحروب ، وقطع الفتنة لبيان انبساط وما في

(١) تفسير الطبري ٥٠٥/٧ .

(٢) البحار ٣٣٥/٧٩ .

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٤) سورة المائدة ٦٤ .

قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١) على أفراد الزمان الطولية بازاحة الموانع التي تحول دون عبادة المؤمنين لله .
وما آية السيف إلا وسيلة ومصداقاً لهذه الأزاحة في أشهر معدودة ، وفي البلد الحرام فقد أراد الله عز وجل للملكة التنزه من الكفر ومفاهيم الشرك إلى يوم القيامة .

ولبيان أن آية ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾^(٢) هي آية سلام ولمنع الحرب ، وزجر الذين كفروا عن التعدي وغزو مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحشيتهم الإنتقام منهم .

وهل من صلة بين آية السيف وقوله تعالى ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(٣) الجواب نعم ، فأية السيف من مصاديق الإنذار الوارد في الآية أعلاه بلحاظ أن الإنذار من الكلبي المشكك الذي يكون على مراتب متفاوتة قوة وضعفاً ، وتحقق سعة الإسلام بآية السيف عندما دخل أكثر أهل مكة الإسلام ، خاصة بعد فتح مكة ، وعدم مؤاخذه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذين كفروا من أهلها على محاربتهم له ، وقتلهم لعمه حمزة ، وعدد كبير من الصحابة من المهاجرين والأنصار .

فلم يبق بعد يوم الفتح إلا عدد قليل من الذين كفروا مصرين على العناد ، فنزلت آية السيف لتدعوهم إلى الإسلام ، ونبذ الكفر ، ولتبقى

(١) سورة الذاريات ٥٦ .

(٢) سورة الأنفال ٦٠ .

(٣) سورة الأنعام ٩٢ .

آيات السلم والرحمة والصفح والعفو محكمة وحاضرة في حكمها إلى يوم القيامة .

الآية الخامسة والسبعون : قوله تعالى ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ

الْمُبِينُ﴾^(١).

وهذا تمام الآية الكريمة ، وذكر أن الآية منسوخة بآية السيف .

القائلون بنسخ هذه الآية

وممن قال بنسخها :

الأول : ابن سلامة في الناسخ والمنسوخ إذ قال (قوله تعالى ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا

فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ نسخت بآية السيف)^(٢).

الثاني : قال ابن حزم في الناسخ والمنسوخ (قوله تعالى ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا

عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ الآية نسخت بآية السيف)^(٣).

الثالث : قال ابن الجوزي (قوله تعالى ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ

الْمُبِينُ﴾ قال كثير من المفسرين إنها منسوخة بآية السيف وقد بينا في

نظائرها أنه لا حاجة بنا إلى ادعاء النسخ في مثل هذه)^(٤).

الرابع : الكرمي في الناسخ والمنسوخ (قوله تعالى فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ

البلاغ منسوخة بآية السيف)^(٥).

(١) سورة النحل ٨٢.

(٢) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة ١٨/١ .

(٣) الناسخ والمنسوخ لابن حزم ٤٣/١ .

(٤) نواسخ القرآن لابن الجوزي ١٨٨/١ .

(٥) الناسخ والمنسوخ للكرمي ١٣٣/١ .

الخامس : ابن الجوزي في المصنفى بأكف أهل الرسوخ^(١) ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ قالوا نسختها آية السيف وقد بينا في نظائرها أنه لا حاجة إلى ادعاء النسخ^(٢).

السادس : ابن البارزي في كتابه ناسخ القرآن ومنسوخه ، قال (فإن تولوا فإنما عليك البلاغ وجادلهم بالتي هي أحسن واصبر وما صبرك إلا بالله)^(٣) نسخت بآية السيف .

السابع : ابن زمنين في تفسيره (أي ليس عليك أن تهديهم وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم)^(٤).

ويتوجه الخطاب في الآية الكريمة من الله عز وجل إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا الخطاب فرع آيات سابقة وردت بذكر نعم الله عز وجل ابتداء من الخلق والنشوء في الأرحام المتعددة على الناس من البيوت والسكن فيها .

ولا يعلم أحد إذا لم تكن عند الناس بيوت ماذا يجري للمجتمعات ، لقد سخر الله عز وجل أسباب ومقدمات بناء البيوت للناس على اختلاف هيئاتها من الحجر والمدر والصخر والإسمنت ، وبيوت من الخيام والأخبية ونحوها عند التنقل في البيداء للتخفيف عنهم في نقلها عند السفر والتنقل طلباً للعشب والماء والإعراض عن العنف والقتال والذل .

(١) عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي ت ٥٩٦ هجرية / المصنفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ أختصره من كتابه عمدة الراسخ .

(٢) المصنفى بأكف أهل الرسوخ ٤٢/١ .

(٣) ناسخ القرآن ومنسوخه ٣٨/١ .

(٤) تفسير ابن زمنين ٣٤٩/١ .

وهذه الخيام ونحوها تصلح أيضاً للسكن عند الإقامة والانتقال من الأنعام ومن أصواف الأغنام وأشعار الماعز وأوبار الإبل ، والتي ذكرت في الآية من باب المثال الظاهر .

لتشمل الآية الكريمة المستحدثات من الخيام وأنواعها وبقدر مساحتها وخفة حجمها ، والتي يستعملها العسكر ، وفي التنقل ، وفي موضع البناء ، ومقاومتها للأحوال الجوية المختلفة .

وهي من فضل الله عز وجل على الناس ، وإعانتهم على البقاء والتنعم بالحياة اليومية ، وإتحاذاها مناسبة لذكر الله عز وجل ، وأداء الصلوات في أوقاتها ، وقال تعالى ﴿وَمَعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(١) إلى حين الموت أو نزول البلاء بالذين كفروا .

السراويل

ورزق الله عز وجل الناس الأسراب والمغارات في الجبال ، وهي من أسباب السكن والأمن من الحيوانات المفترسة ، ورزق الله عز وجل الناس الملابس من القطن والكتان ، والصوف ونحوها للوقاية من الحر والبرد ، قال تعالى ﴿وَسَرَائِيلَ تَقِيكُم بِأَسْكُمُ﴾^(٢) يعني لباس من الحديد .

والدرع تقي الناس في الحروب والإقتال ، لبيان فضل الله على الناس في صرف أسباب القتل عنهم ، ودعوتهم للإحتراس من القتل ، ومن لطف الله أن هذه النعم عامة للناس جميعاً .

وورد لفظ ﴿سَرَائِيلَ﴾ مرتين في القرآن وسراويل جمع سربال وهو القميص أو الثوب كلاهما في الآية أعلاه ، كما ورد لفظ ﴿سَرَائِيلَ﴾ في ذم

(١) سورة يونس ٩٨ .

(٢) سورة النحل ٨١ .

أهل النار بقوله تعالى ﴿سَرَابِلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ﴾^(١)، أي ليس قطناً أو كتاناً كما كانوا يلبسون في الدنيا إنما هو مادة وهيئة كالتحاس المذاب سريعة الإشتعال تطلّى بها جلود أهل النار ، عقوبة على جحودهم بنعمة اللباس والثياب الرقيقة في الدنيا باصرارهم على الكفر ، ثم جاءت آية البحث التي ذكر أنها منسوخة وهي قوله تعالى ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٢) والمختار أنها محكمة غير منسوخة .

تقدير ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾

ترى ما هو تقدير ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ الجواب من وجوه :

الأول : فان تولى الذين كفروا عن دعوتك إلى التوحيد وعبادة الله سبحانه .

الثاني : فان تولى الذين كفروا عن التدبر في آيات الخلق ، والنعم التي رزقهم الله عز وجل .

الثالث : فان تولى الذين كفروا عن الإيمان وأداء الفرائض العبادية .

الرابع : فان تولى الذين كفروا بعد تلاوة آيات القرآن عليهم سواء من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو من الصحابة أو غيرهم .

الخامس : فان تولوا مع رؤيتهم لدخول الناس أفراداً وجماعات في الإسلام .

السادس : فان تولوا مع نصر الله عز وجل للمسلمين وسلامتهم بآيات ظاهرة في معركة بدر ومعركة أحد والخندق وحنين .

السابع : فان تولوا مع علمهم بالبشارات التي وردت برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمعجزات العقلية والحسية التي جرت على يديه .

(١) سورة إبراهيم ٥٠ .

(٢) سورة النحل ٨٢ .

الثامن : فان تولوا عناداً وجحوداً وكفراً .

تناقل آيات القرآن

من إعجاز القرآن سرعة وكثرة تناقل الناس لآياته وسوره سواء عندما كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكة أو بعد الهجرة . وكانت أسواق مكة في موسم الحج ، ومن أيام الجاهلية ، تعرض فيها الأنعام والذهب والفضة والحبوب من الخنطة والشعير والسيوف والدروع ، ويتبارى فيها الشعراء ، وتنشد القصائد .

وهناك لجنة تحكيم كما في سوق عكاظ والذي كان موقعه في منتصف الطريق بين الطائف ومكة تقريباً وأقرب إلى الطائف وتنصب قبة من الجلد ليجلس عليها المحكم مثل النابغة الذبياني ليلقي الشعراء في المساء قصائدهم عنده وأمام الحضور بعد غلق السوق .

ويحضر في السوق حكماء العرب ليحكموا بين الناس منهم أكثرهم بن صيفي التميمي ، وزرارة بن عدس ، وآخرهم الأقرع بن حابس التميمي الذي دخل الإسلام ، وكان من المؤلفة قلوبهم يوم حنين .

وبعد بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم صارت آيات القرآن هي حديث الناس في أسواق مكة ، لإدراكهم لمضامين الإعجاز فيها ، ولإرتقائها بمراتب عن الشعر ، ويتصف العرب بسرعة حفظ السجع والنثر . ومن إعجاز القرآن الغيري سرعة حفظ الناس لآياته ، فصاروا ينقلونها إلى قبائلهم وقراهم .

وهل هو من مقدمات وأسباب بيعة الأنصار في بيعة العقبة الأولى والثانية ، المختار نعم ، بأن نقل وفد الحاج من الأوس والخزرج وغيرهم آيات القرآن إلى المدينة (يثرب) مع الأخبار التي سمعوا من يهود المدينة

بعلامات نبي آخر زمان ، وحلول أوان خروجه وعلاماته ، قال تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(١) .

ونزلت آية البحث لبحث السكينة في نفس النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين بقوله ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٢) وهذا الشطر من الآية خاص لفظاً بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وهل هو خاص أم عام حكماً ، الجواب هو الثاني للدلالة على سلامة آية البحث من النسخ أمس واليوم وغداً .

ومن معاني (إنما) إفادتها التأكيد والحصر والقصر ، وهي مركبة من (إن) ، و(ما) الكافة .

فهل تنسخ وظيفة البلاغ ، الجواب لا ، فهو رحمة عامة وتخفيف ودعوة عامة للمسلمين لإنتهاج سبل البلاغ والحجة والبرهان ، وإجتنب العنف والإرهاب ، والتخويف ولمعان السيوف

وورد ﴿إِنْ تَوَلَّوْا﴾ ست عشرة في القرآن ، وورد باضافة الفاء ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وكلها خطاب من الله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باستثناء واحدة خطاباً من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هود إلى قومه ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْخَفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ﴾^(٣) .

(١) سورة المدثر ٣١ .

(٢) سورة النحل ٨٢ .

(٣) سورة هود ٥٧ .

ليان أن وظيفة الأنبياء هي البلاغ العام ، وهل تتضمن الآية أعلاه البشارة برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودخول الناس الإسلام أفواجاً ، الجواب نعم .

ليان أن البشارة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن لا تنحصر ببشارة عيسى عليه السلام في قوله تعالى ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ ﴾ (١) .

ويحتمل التولي في قوله تعالى ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ ، وجوهاً :

الأول : فان تولوا على نحو الدوام .

الثاني : فان تولوا بالقطع والجزم .

الثالث : فان تولوا إلى حين .

والمختار هو الثالث لأن هذا التولي خلاف الفطرة .

بين العقل والعلم

لا تمنع آية البحث النبي محمداً من القيام بتبليغ الذين يتولون بالآيات والبراهين والوحي ، فلا تعارض بين استمرار التبليغ مع التولي ، لأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن يخاطبان العقول .

وقال الأشاعرة وكثير من المعتزلة بأن العقل هو العلم ، ولكن النسبة بينهما ليست التساوي ، فالأصل أن الإنسان كائن عاقل ، ويدرك العلم الضرورة كدلالة النهار على طلوع الشمس ، وحرارة النار .

ومن معاني العقل أنه ملكة وحكمة ووضع الشيء في موضعه ، والعلم يساس بالعقل الذي هو ضابطة للإختيار والسلوك ، وفي ذم أهل النار

(١) سورة الصف ٦ .

لأنفسهم ورد في التنزيل ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(١) ومنهم من يسخر العلم خلاف موازين العقل .

ومع العقل والعلم فقد يدب الحسد إلى النفس ويؤثر على العقل ، ومن الناس من يكون عنده علم كثير ويقرأ ويحفظ ولكنه لا يضع الأمور في محلها المناسب ، وتقدير آية البحث : فان تولوا فاستمر في تبليغهم والناس جميعاً لقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾^(٢) .

فمن معاني سلامة آية البحث عدم إنقطاع تبليغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتنزيل للذين تولوا ، كما أن الآيات الكونية ، وأخبار معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحسية والعقلية تلاحقهم وتصاحبهم في متدياتهم ، وتدخل إلى بيوتهم .

وقال ابن خلكان (واجتمع الخليل وعبد الله بن المقفع ليلة يتحدثان إلى الغداة، فلما تفرقا قيل للخليل: كيف رأيت ابن المقفع فقال: رأيت رجلاً علمه أكثر من عقله، وقيل لابن المقفع: كيف رأيت الخليل قال: رأيت رجلاً عقله أكثر من علمه)^(٣) .

لذا (قال بعض العلماء: صدقاً فإن الخليل مات حتف أنفه في خص وهو أزهد خلق الله، وتعاطى ابن المقفع ما كان مستغنياً عنه حتى قتل أسوأ قتلة)^(٤) .

والآيات الكونية علوم تدعو للإيمان ، ومعجزات النبوة تخاطب العقول على اختلاف مراتبه عند الناس ، فجعل الله عز وجل التبليغ كافياً لهداية

(١) سورة الملك ١٠ .

(٢) سورة سبأ ٢٨ .

(٣) وفيات الأعيان ٢٤٦/٢ .

(٤) محاضرات الأدباء ٢/١ .

الناس ، وحجة على الذي يتخلف عنها ، فلا تصل التوبة إلى السيف
وسفك الدماء .

ومن الناس من لم يكتف بالتوالي والإعراض عن الدعوة النبوية ،
ومعجزات التنزيل ، إنما يلجأ إلى قتال ومحاربة الأنبياء ، قال تعالى ﴿وَكَانَ
مِنْ نَبِيِّ قَاتِلٍ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا هُنَّوَالِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا
وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (١) .

ليبان أن رؤساء الكفر في كل زمان يحاربون الأنبياء وأتباعهم .
فأبى الله عز وجل إلا نصر خاتم النبیین الذي قاتل وأصحابه
دفاعاً مع استمراره في التبليغ ، أي أن الأمر من الله عز وجل إلى
النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالقتال كان للدفاع من غير أن
ينقطع تبليغ الرسالة في حال السلم والحرب ، وإلى حين مغادرة
النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى ، وهو من
مصاديق سلامة آية البحث من النسخ .

ولزوم تعاهد المسلمين سيرة النبي محمد صلى الله عليه وآله
وسلم في التبليغ ، قال تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَادِلْهُمْ بَاتِّبِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ
أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٢) .

(١) سورة آل عمران ١٤٦ .

(٢) سورة النحل ١٢٥ .

قانون الانتظار

لقد تكرر قوله تعالى ﴿اتَّظَرُوا﴾، خمس مرات في القرآن كلها في الوعيد للذين كفروا ، وتارة يأتي الأمر بالانتظار من الله عز وجل إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما في آية البحث ﴿قُلْ فَاتَّظَرُوا﴾ وكذا في سورة الأنعام ﴿قُلْ اتَّظَرُوا إِنَّا مُنْتَظَرُونَ﴾^(١) .

وورد في قصة هود مع قومه الذين أصروا على الإقامة على الكفر والجحود ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتَجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَاتَّظَرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ﴾^(٢) .

ويأتي الإنذار والوعيد بالانتظار على لسان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نيابة عن نفسه وعن أمته ، لبيان تجدد إنتظار عذاب الذين كفروا ، وهو من الشواهد على سلامة آيات الإنتظار هذه من النسخ ، كما في قوله تعالى ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾ * وَاتَّظَرُوا إِنَّا مُنْتَظَرُونَ﴾^(٣) .

ليان اتصال واستمرار قانون الانتظار من مقامات الإيمان لما يصيب الذين كفروا من البلاء والعقاب ، وهو على وجوه :

الأول : انتظار ما ينزل بالذين كفروا من البلاء العاجل ، والقريب في الدنيا ، بدليل ورود الفاء في قوله تعالى ﴿فَاتَّظَرُوا﴾ التي تفيد التعقيب والفورية ، وهذا البلاء من جهات :

(١) سورة الأنعام ١٥٨.

(٢) سورة الأعراف ٧١.

(٣) سورة هود ١٢١-١٢٢.

الأولى : البلاء والعذاب الذي نزل بالأمم الكافرة من قبل ، وتدل آية البحث ﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَاتَّظَرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾^(١) على معرفة الذين كفروا من قريش بقصص الأمم السابقة مثل قوم نوح ، وقوم هود ، وقوم صالح ، ، وقوم لوط ، وفرعون وجنوده . بما قصه القرآن من أحوالهم ، والعذاب الذي أصابهم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿مَنْ قُصِّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقِصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾^(٢) ، فمن معاني الحسن فيها توثيقها السماوي للوقائع والأحداث وتضمنها الإنذار والوعيد للذين كفروا من قريش وأمثالهم ، وصيرورتها موعظة للناس .

هلاك المكذبين

من الدلائل على سلامة آية البحث من النسخ أنها بلاغ وتحذير متجدد للذين كفروا ، والسعي لإقناعهم بقبول الدعوة إلى التوحيد ، فمن خصائص الأنبياء الإخبار عن نجاة المؤمنين وهلاك المكذبين ، وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾^(٣) . وقد أهلك الله قوم نوح بالطوفان ، وأهلك قوم هود بالصاعقة ، والريح العقيم ، قال تعالى ﴿وَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾^(٤) .

وأهلك الله قوم صالح بالصيحة بعد أن أنذرهم صالح عليه السلام ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾^(٥) وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

(١) سورة يونس ١٠٢ .

(٢) سورة يوسف ٣ .

(٣) سورة هود ٢٥ .

(٤) سورة الحاقة ٦ .

(٥) سورة الشمس ٣ .

يبين شواهد من عذاب الذين كفروا من الأمم السابقة وعن (جابر قال: لما مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحجر قال: "لا تسألوا الآيات، فقد سألتها قوم صالح فكانت -يعني الناقة- ترد من هذا الفج، وتصدّر من هذا الفج .

فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، وكانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً، فعقروها.

فأخذتهم صيحة، أهدم الله من تحت أديم السماء منهم، إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله". فقالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: "أبو رغال. فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه" (١).

وهل بيان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لضروب الهلاك التي أصابت المعاندين الكافرين من الشواهد على أن آيات الانتظار محكمة وسالمة من النسخ، الجواب نعم، إذ تتجدد مضامين هذه الآيات وما يلاقيه الذين كفروا، ومع نزول العذاب بالذين كفروا كان الملائكة ينزلون على الأنبياء لبعث السكينة في نفوسهم وأصحابهم بالنجاة وهدايتهم إلى سبل السلامة، وفي التنزيل ﴿وَلَمَّا أَن جَاءتْ رُسُلْنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَكَأ تَحَزَنُ إِنَّا مُنَجِّوْكَ وَأَهْلِكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (٢).

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام (ان لوطا لبث في قومه ثلاثين سنة يدعونهم إلى الله تعالى ويحذرهم عذابه، وكانوا قوما لا يتنظفون من الغائط، ولا يتطهرون من الجنابة.

وكان لوط ابن خالة إبراهيم، وكانت امرأة إبراهيم سارة اخت لوط، وكان لوط وإبراهيم نبيين مرسلين منذرين .

(١) تفسير ابن كثير ٤٤٠/٣.

(٢) سورة العنكبوت ٣٣.

وكان لوط رجلا سخيا كريما يقري الضيف إذا نزل به ويحذرهم قومه .
قال: فلما رأى قوم لوط ذلك منه قالوا له: إنا ننهاك عن العالمين لا تقري
ضييفا ينزل بك، ان فعلت فضحنا ضيفك الذي ينزل بك وأخزيناك، فكان
لوط إذا نزل به الضيف كتم امره مخافة أن يفضحه قومه وذلك انه لم يكن
للو ط عشيرة .

قال: ولم يزل لوط وابراهيم يتوقعان نزول العذاب على قومهم،
فكانت لابراهيم وللوط منزلة من الله تعالى شريفة وان الله تعالى إذا أراد
عذاب قوم لوط ادركته مودة ابراهيم وخلته ، ومحبة لوط فيراقبهم فيؤخر
عذابهم^(١) .

وأهلك الله قوم شعيب بالرجفة ، والجثوم في الدار بعد إنذارات شعيب
لهم ، وفي التنزيل ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾^(٢) إذ بعثه الله عز وجل إلى أهل
مدين وهم أصحاب الأيكة ، والأيكة شجر ملتف كالغبضة كانوا يعبدونها ،
ومن أرجع نسب شعيب إلى إبراهيم عليه السلام ، وقيل إنما هو من ولد
بعض ممن آمن بإبراهيم ، وهاجر معه إلى الشام ، ولكنه ابن بنت لوط ،
وكان ضرير البصر لذا قالوا ﴿وَأَنَا لَنَنَازِلُكُمْ فَتِينَا ضَعِيفًا﴾^(٣) .

و (وكان النبي صلى الله عليه واله إذا ذكره قال: "ذاك خطيب الانبياء"
بحسن مراجعته قومه)^(٤) .

وقد أهلك الله عز وجل فرعون وجنوده بعد اصرارهم على البطش
بموسى والمسلمين الذين معه ، وسعوا للحاق بهم ، ولم يأت هلاك فرعون
إلا بعد إدعائه الربوبية وانقياد الناس له ، وإنذارات موسى له والمقترة

(١) علل الشرائع ٢/٣٩٠ .

(٢) سورة الشعراء ١٧٧ .

(٣) سورة هود ٩١ .

(٤) البحار ١٢/٣٨٧ .

بالمعجزات المتعددة والبراهين الساطعة ، ومنها معجزة العصا وتحولها إلى ثعبان .

دعاء النبي (ص) لقومه

وكان الرسل يشكون إلى الله عناد قومهم ، وبقائهم على الكفر والجحود ، ليكون من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المقام أمور :

الأول : إجتهد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته قومه وعامة الناس إلى الإسلام .

الثاني : الصبر وتحمل الأذى من قومه .

الثالث : دفاع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه عن بيضة الإسلام .

لقد قاتله قومه قبيلة قريش ، بينما قاتل معه دفاعاً المهاجرون والأنصار الذين هم من قبائل شتى ، ومعهم من أمم أخرى ، وبالإسناد عن الإمام علي عليه السلام (السِّبَاقُ خَمْسَةٌ فَأَنَا سَابِقُ الْعَرَبِ ، وَسَلْمَانُ سَابِقُ فَارَسَ ، وَصَهيبُ سَابِقُ الرُّومِ ، وَبِلَالُ سَابِقُ الْحَبَشِ ، وَخَبَابُ سَابِقُ النِّبَطِ)^(١) .

الرابع : دعاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقومه بالهداية ، ففي معركة أحد تعددت الجراحات التي أصابت النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ كان المشركون يقصدون قتله و(روي أنه كان يمسح الدم على وجهه ويقول اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون)^(٢) .

ومن قبل كان نوح عليه السلام يدعو قومه إلى التوحيد ليلاً ونهاراً ، وكان يضربه قومه حتى يغشى عليه ، فاذا أفاق قال (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون) ولكن حينما أصرروا على الإقامة على الكفر شكاهم إلى الله ،

(١) الخصال ١/٣٣٠ .

(٢) مجمع البيان ٢/٣٤٤ .

ودعا عليهم ليصيبهم عذاب الطوفان ، قال تعالى ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَاتَّصِرُ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَمَى الْمَاءُ عَلَيَّ أَمْرٌ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَيَّ ذَاتِ الْأَوَّاحِ وَدُسِّرُ﴾^(١).

وقد قاتلت قريش النبي محمداً فتلقاهم بالصبر والدعاء لهم والدفاع لهم بالهداية ، فلم تمر ست سنوات على هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة حتى تم صلح الحديبية ، وبعده بستين تم فتح مكة ودخل أهلها الإسلام ، وعفا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عنهم .

وهل هذا الفتح من مصاديق آية البحث وقوله تعالى ﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَاتَّظَرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾^(٢) . الجواب نعم ، فمن مصاديق قانون الانتظار الرحمة والعفو والصفح والهداية إلى الإيمان ، وهو من الشواهد على سلامة آية البحث من النسخ ، فليس من تزاحم أو تعارض بين آيات الانتظار ، وقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

قانون السلم نعمة وبركة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(٤).

أمر إلهي إلى النبي محمد والصحابة والأئمة وجميع المسلمين إلى يوم القيامة ، والمراد من السلم هنا الصلح والمسالمة وترك الحرب ، وفيه وجوه :

(١) سورة القمر ١٠-١٣.

(٢) سورة يونس ١٠٢.

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٤) سورة البقرة ٢٠٨.

الأول : لا تبدأوا قتالاً .

الثاني : اختاروا السلم والصلح في كل الأحوال .

الثالث : القبح الذاتي للحروب .

الرابع : انشروا السلم في الأرض .

الخامس : قانون الملازمة بين الإسلام والسلم .

وقول مشهور أن المراد ادخلوا في الإسلام ، ولكن هذا المعنى لا يستقيم لأن الآية تخاطب المسلمين بما هم مسلمون .

ليبان وجوه :

الأول : الفتن والحروب من خطوات الشيطان .

الثاني : قانون التضاد بين السلم واتباع نزع الشيطان .

الثالث : قانون التضاد بين السلم وحمية الجاهلية .

الرابع : قانون استدامة تعاهد المسلمين للسلم في كل زمان ، فيما بينهم ،

ومع غيرهم من أهل الكتاب وغيرهم .

وقال كثير من المفسرين أن آية السيف نسخت مائة وأربعاً وعشرين آية

من آيات السلم والصلح والموادعة ولا أصل لهذا القول .

والسلم تخفيف عام ونعمة على الناس ، وباب للبركة ومناسبة لبيان

معجزات النبوة والتنزيل بعيداً عن الحمية والعصية .

السلم العام

لقد صدر لي اثنا عشر جزء من معالم الإيمان بخصوص (آيات السلم

محكمة غير منسوخة) وهذه الأجزاء كلها بعد الجزء المائتين وهي (

٢٠٦-٢٠٧-٢٠٨-٢١٤-

٢١٥-٢٣٣-٢٤٠-٢٤١

-٢٤٢-٢٤٨-٢٦٠-(٢٧٤).

وأتي هنا بقولين جديدين وهما :

الأول : نسخ آخر آية السيف لأولها ، فبعد أن أمرت الآية بقتل المشركين أمرت أخذ واحصار المشركين ورصدهم والتضييق عليهم مما يدل على وجود حذف في الآية وتقديره : حيث وجدتموهم مقاتلين محاربين لكم .

الثاني : قالوا أن آية السيف نسخت مائة وأربعاً وعشرين آية من آيات السلم ، واستطيع ذكر أكثر من مائة آية تدل على أن آية السيف لم تنسخ آيات السلم ، ومنها الآية في أول البحث ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(١).

وقرأ ابن كثير ونافع والكسائي (السلم) بفتح السين ، والباقون بكسرها^(٢).

ومن معاني ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾ وجوه :

الأول : اختاروا السلم والصلح .

الثاني : استجيبوا لمن يسألكم السلم والصلح .

الثالث : الأصل في الحياة الدنيا هو السلم .

الرابع : قيل (السلم بالكسر الإسلام)^(٣).

ولكن الآية تخاطب المسلمين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ مما يدل على أن السلم غير الإسلام ، والمتبادر هو نبذ الحروب والإقتال والتبادر من علامات الحقيقة .

الخامس : تدل صيغة الجمع ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا﴾ على منع الخلاف والشقاق بين المسلمين في الرضا بالصلح والسلم ، فلا يصح أن تلح طائفة أو جماعة على القتال ، وعدم الرضا بالسلم .

(١) سورة البقرة ٢٠٨ .

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ١٤٨/١ .

(٣) النكت والعيون ١٤٨/١ .

السادس : قانون الترغيب بالحوار .

السابع : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾ اليوم وغداً وفيما بينكم

ومع أهل الكتاب وغيرهم .

وهل تتضمن هذه الآية الزجر عن الخروج على الإمام علي عليه السلام في معركة الجمل وصفين ، وحرب الخوارج ، الجواب نعم .

فهو الإمام المفترض الطاعة باجماع المسلمين ، وكان يدعو إلى الوحدة ونبذ الفرقة والقتال وهو القائل (والله لاسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة)^(١) .

قانون صيغة الجمع بنداء الإيمان رحمة عامة

من معاني صيغة الجمع في آية البحث دعوة المسلمين للتعاون والتآزر في تنجز هذه الأوامر .

ويندب القرآن المسلمين إلى التكافل والتعاقد للإمتثال للأوامر الإلهية ، ومنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال تعالى ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢) .

والمراد من (صيغة الجمع في نداء الإيمان) الواردة في العنوان أعلاه هو قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ والذي ورد في القرآن تسعاً وثمانين مرة ، والذي ينسب بعدد المسلمين والمسلمات في أجيالهم المتعاقبة إلى يوم القيامة ، يندبهم ويستنهضهم للعمل بأحكام آيات القرآن ، وسنن السلم والرفق والرحمة التي فيها ، ليكون نداء الإيمان بذاته دعوة للسلم المجتمعي والتراحم بين الناس .

(١) البحار ٦١٢/٢٩ .

(٢) سورة آل عمران ١٠٤ .

وهل أمثل المسلمون لمضامين آية البحث مجتمعة ومتفرقة ، الجواب نعم ، وهو من فضل الله في إعانة المسلمين للإمتثال للأوامر والنواهي الواردة في القرآن .

ومن أسرار تلاوة المسلمين القرآن في الصلاة اليومية سبع عشرة مرة بلحاظ القراءة في كل ركعة منها لتكون هذه القراءة تذكيراً بوجوب العمل بمضامين آيات القرآن .

تنقيط القرآن^(١)

قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢).

من فضل الله عز وجل في حفظ القرآن أنه حالما يغادر جبرئيل النبي محمداً بعد تبليغه بالآيات يقوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدعوة بعض كتاب الوحي ليكتب الآية ويأمره بأن يضعها في موضع كذا بين هذه الآية وتلك ، ثم يقوم بقراءتها في الصلاة .

وليس من تنقيط في العربية أيام التنزيل ، ويعرف العرب معنى الكلمة بالسليقة والمحاورة ، والحفظ .

ويتناقلها الصحابة ، ويتدارسونها ، ويستحضرون أسباب النزول إن وجدت .

كما كان جبرئيل يعارض النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن ، ويتدارسه معه في كل شهر رمضان .

وعن فاطمة عليها السلام (أسر إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن جبرئيل كان يعارضني بالقرآن كل سنة وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي)^(٣).

(١) قد تقدم الكلام مفصلاً عنه في الجزء السادس من هذا السفر .

(٢) سورة الحجر ٩ .

(٣) تفسير ابن كثير ٥٠/١ .

وفي خلافة الإمام علي عليه السلام ومع إنشغاله بدرء الفتن فانه أسس علم النحو ، وعلم قواعده أبا الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو الدؤلي البصري ١٦ (قبل الهجرة - ٦٩ هجرية) لضبط العربية وقراءة القرآن خاصة بعد أن اتسع الإسلام وكثر دخول الأعاجم فيه .
وقال السيوطي (ثم كان أول من رسم للناس النحو أبو الأسود الدؤلي ، وكان أبو الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وكان أعلم الناس بكلام العرب ؛ وزعموا أنه كان يجيب في كل اللغة .

قال أبو الطيب: ومما يدل على صحة هذا ما حدثنا به محمد بن عبد الواحد الزاهد: أخبرنا أبو عمرو بن الطوسي عن أبيه عن اللّحائي في كتاب النوادر قال: حدثنا الأصمعي قال: كان غلام يطيف بأبي الأسود الدؤلي يتعلم منه النحو .

فقال له يوماً: ما فعل أبوك؟ قال: أخذته حمى فضخته فضخاً، وطبخته طبخاً، وفنخته فنخاً، فتركته فرخاً .

قال: فما فعلت امرأة أهلك التي كانت تشاره وتجاره وتضاره وتزاره وتهاره وتماره؟ قال: طلقها وتزوج غيرها، فحظيت عنده ورضيت وبظيت، قال: وما بظيت يا بن أخي؟ قال: حرف من العربية لم يبلغك، قال: لا خير لك فيما لم يبلغني منها^(١).

(و) عن أبي الأسود الدؤلي قال دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فرأيته مطرقاً متفكراً فقلت فيم تفكر يا أمير المؤمنين قال إني سمعت ببلدكم هذا لحناً فأردت أن أصنع كتاباً في أصول العربية .
فقلت إن فعلت هذا أحببتنا وبقيت فينا هذه اللغة ثم أتيت بعد ثلاث فألقى إلي صحيفة فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما أنبأ

عن المسمى ، والفعل ما أنبا عن حركة المسمى ، والحرف ما أنبا عن معنى ليس باسم ولا فعل .

ثم قال لي تتبعه وزد فيه ما وقع لك واعلم يا أبا الأسود أن الأسماء ثلاثة ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر وإنما تتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر .

قال أبو الأسود فجمعت منه أشياء وعرضتها عليه فكان من ذلك حروف النصب فذكرت منها إن وأن وليت ولعل وكان ولم أذكر لكن فقال لي لم تركتها فقلت لم أحسبها منها فقال بل هي منها فزدها فيها^(١).

ورسم القرآن توقيفي ، وقد قام أبو الأسود الدؤلي بوضع النقط في المصحف ، ووضعت نقط الإعجام في المصحف ، وتمييز الحروف المعجمة (المنقوطة) عن المهملة (غير المنقوطة) .

ونقط الأعراب والشكل وهي ما يعرف للحرف من حركة ورفع وفتح أو شد أو تنوين .

وأول من نقط القرآن أبو الأسود الدؤلي، وذكر أنه اختار رجلاً من بني عبد القيس، وقال له: خذ المصحف مصبغاً يخالف لون المداد فاذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف واذا ضممتها فاجعل النقطة الى جانب الحرف، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله .

فاذا اتبعت شيئاً من هذه الحركات غنة (ويريد بالغنة التنوين) فانقط نقطتين .

فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره.

ولكن خلو القرآن من التنقيط لم ينته عندها، بل استمر شطر من المسلمين يقرأ بلا تنقيط او وفق القراءات الأخرى .

وهناك من قام بتنقيط القرآن ابتداء بعد أبي الأسود للتباعد بين البلدان ، ولكثرة قراء القرآن ، والحاجة إلى التنقيط ودخول عامة الناس في الإسلام ،

(١) السيوطي / سبب وضع علم العربية ٣٤/١ .

، وشوقهم وحاجتهم لقراءة القرآن .
وعن كتاب المحكم : ان خلف بن هشام البزار قال: كنت أحضر بين
يدي الكسائي وهو يقرأ على الناس وينقون مصاحفهم بقراءته عليهم .
وعلي بن حمزة الكسائي عاصر الدولة العباسية وقام بتدريس هارون
الرشيد ومؤدباً لابنيه الأمين والمأمون ، توفى سنة (١٨٩) هجرية .
وورد في الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (نزل القرآن على
سبعة احرف)^(١)، واختلف في معنى هذا الحديث على أربعين قولاً .
وقال فيها ابن حبان: وكلها محتملة ونحتمل غيرها^(٢) .

البيان الشامل

قال تعالى ﴿ وَزَوَّلْنَا عَلَيْكَ الْكَآبِ ثُبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾^(٣) .

وتقديره على وجوه:

الأول : ﴿ وَزَوَّلْنَا عَلَيْكَ الْكَآبِ ثُبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ اليوم وغدا وكل يوم .
الثاني : ﴿ وَزَوَّلْنَا عَلَيْكَ الْكَآبِ ثُبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ في أمور الدنيا والآخرة .
الثالث : ﴿ وَزَوَّلْنَا عَلَيْكَ الْكَآبِ ثُبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ في حال السلم والحرب
هدى للناس .

الرابع : ﴿ وَزَوَّلْنَا عَلَيْكَ الْكَآبِ ثُبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا
في حيرة من أمركم .

الخامس : ﴿ وَزَوَّلْنَا عَلَيْكَ الْكَآبِ ثُبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ لكي لا يتحير المسلمون
بعدك .

السادس : ﴿ وَزَوَّلْنَا عَلَيْكَ الْكَآبِ ثُبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ فاعمل بأحكامه .

(١) الدر المنثور ٢/٢٨٢ .

(١) الاتقان في علوم القرآن ١/١٤١ .

(٢) سورة النحل ٨٩ .

السابع : ﴿ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ وجعلناه سالماً من التحريف والزيادة والنقيصة إلى يوم القيامة .

الثامن : ﴿ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ليؤجر الذين يعملون به .

التاسع : ﴿ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ليعتصم المسلمون به .

العاشر : ﴿ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ وفيه قصص الماضين والأنبياء السابقين ، قال تعالى ﴿ نَحْنُ نُقِصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾^(١).

الحادي عشر : ﴿ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ لطرده الغفلة عن الناس .

الثاني عشر : ﴿ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ومنه البشارة والإنذار .

الثالث عشر : ﴿ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ من الوعد والوعيد .

الرابع عشر : ﴿ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ فليخشى الناس ربهم .

الخامس عشر : ﴿ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ولله الحجة البالغة

فلا يكون للناس حجة بعد الكتاب .

السادس عشر : ﴿ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ في أمور المكاسب

والمصالح .

السابع عشر : ﴿ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ للفصل والحكم بين

الناس ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾^(٢).

(١) سورة يوسف ٣ .

(٢) سورة المائدة ٤٨ .

الثامن عشر: ﴿وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ في جلب الصالح ودفع المقدسة .

التاسع عشر: ﴿وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ في عالم الأكوان .
العشرون: ﴿وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ في أمور الأسرة والمجتمع .
الواحد والعشرون: ﴿وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ في السلم المجتمعي والحرب على الإرهاب .

الثاني والعشرون: ﴿وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ في علوم القرآن من المحكم والمنسوخ ، والمطلق والمقيد ، والعام والخاص ، والناسخ والمنسوخ .

الثالث والعشرون: ﴿وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ ومنه سلامة آيات السلم من النسخ .

الرابع والعشرون: ﴿وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ ومنه بيان وتفسير آيات القرآن بعضها لبعض وهو التفسير الذاتي .

الخامس والعشرون: ﴿وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ رحمة بالمسلمين والناس جميعاً .

السادس والعشرون: ﴿وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ ومنه الإخبار عن اتصال الوحي للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

السابع والعشرون: ﴿وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ ومنه سلامة القرآن من التحريف والزيادة والنقصان .

اتحاد الأبوة العامة رحمة

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾^(١).

تدل الآية المتقدمة على قانون اتحاد الأصل الإنساني سور الموجبة الكلية في الأخوة بين الناس جميعاً في التعايش السلمي ، والعدالة والوفاق والوثام ، والتكافل في مواجهة التحديات والآفات السماوية والأرضية ، وكون مليارات الناس من آدم وحواء دعوة لهم لنبذ الحروب والإقتال بينهم .

وورد النداء العام ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ عشرين مرة في القرآن وهي مجمعة ومتفرقة من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾^(٢).

ومن الإعجاز أن العموم في الآية أعلاه مقيد بخصوصية وهي إرسال النبي محمد رحمة عامة للناس لقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

ومن الإعجاز في المقام أن ورود قوله تعالى ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ثلاث مرات في القرآن ورابعة بقوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾^(٤).

وسميتها آيات النفس الواحدة بخصوص التفسير الموضوعي ودلالاتها والقوانين المستقراة منها .

(١) سورة النساء ١.

(٢) سورة سبأ ٢٨.

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٤) سورة الأنعام ٩٨.

وهل تدل آيات الخلق من نفس واحدة على أن آية السيف لم تنسخ آيات السلم والصلح والموادعة ، الجواب نعم ، وكذا آية ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(١).

ومن الشواهد من السنة النبوية يوم فتح مكة إعطاء النبي الأمان للناس جميعاً باستثناء أربعة لشدة إيذائهم للنبي والمسلمين ثم اعطى اثنين منهما وهما عكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن سعد بن أبي المسرح. وفيه وعظ وتذكير ودعوة للتآلف بين الناس ، وفي عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر عندما ولاه مصر (فلا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتتم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق). ولا أصل لقول عدد من علماء التفسير بأن آية السيف نسخت مائة وأربعاً وعشرين آية من آيات السلم والصلح والموادعة ، وسكوت كثير منهم عن هذا القول من غير رد ونقض له . بل أن مضامين آية السيف لا تحتل هذا المعنى لما فيها من رجاء توبة الذين كفروا ولأنها خاصة بمن بقي على الكفر في مكة .

بحث أصولي

الأمر بالإيمان نهي عن ضده وهو الكفر ومنه دلالة قوله تعالى ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ على النهي عن ضدها من الإنشغال عنها أو تركها . وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(٢) فان الأمر بالسعي لصلاة الجمعة نهي عن البيع والشراء في ذات الوقت .

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) سورة الجمعة ٩.

وقوله تعالى ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١) نهي عن
النصب والعداء لأهل البيت .
وعندنا مسألتان :

الأولى : هل الأمر بالشئ نهي عن ضده .

الثانية : هل النهي عن الشئ أمر بضده ، قال تعالى ﴿وَلَا يَجِلُّ لَهُنَّ أَنْ
يَكُنَّ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٢) .
فنهى المطلقات عن كتمان الحمل الذي في بطونهن أمر بوجوب الإظهار ،
لذا وجب قبول قول المرأة فيما تخبر عنه .
وهل يصح مع الشك اللجوء إلى المختبرات الحديثة كالسونار ، الجواب
نعم .

وضرب مثل على القول بأن النهي عن الشئ أمر بضده ، لو قال الرجل
لزوجه إن خالفت أمري فانت طالق ، ثم قال لها لا تقومي فقامت فتكون
طالقاً .

أما على القول بأن النهي عن أمر لا يكون أمراً بضده سواء كان الضد
واحداً أو أضداداً فانها لا تطلق لأن النهي عن الشئ ليس أمراً بضده .
وصحيح بأن المناقشة في الأمثلة ليس من دأب المحصلين ، ولكن هذا
المثل بعيد عن موضوع البحث الذي يتعلق بالأصل بالأوامر والنواهي في
القرآن والسنة ، ثم أن الطلاق لا يتم بالتعليق والواسطة .

اجتماع الضدين في اللفظ القرآني

من المصطلحات المنطقية والفلسفية عدم اجتماع الضدين أي صفتين
وجوديتين في موضوع واحد في نفس الوقت والجهة مثل السواد والبياض .

(١) سورة الشورى ٢٣ .

(٢) سورة البقرة ٢٢٨ .

وفي القرآن حقائق إعجازية تجمع بين أمرين مختلفين في آن وموضوع واحد بشواهد تدل على بديع صنع الله ، وعظيم قدرته وسلطانه .

وقد يجتمع الضدان في اللفظ القرآني في الكيفية خلافاً لما ذهب إليه الفلاسفة من عدم اجتماع الضدين كما في قوله تعالى ﴿لَيُطْعَمَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَبُهُمُ فَيَتَّخِذُوا خَائِبِينَ﴾^(١).

فمن القطع في المقام أمور :

الأول : هداية قوم من المشركين .

الثاني : قتل عدد من المشركين إذ قتل منهم سبعون في معركة بدر ، واثنان وعشرون في معركة أحد .

وبخصوص معركة بدر قال تعالى ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيْتُمُ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِيهِمْ أَعْيُنِهِمْ...﴾^(٢). قال عبد الله بن مسعود (في بعض ما روي عنه : لقد قلت لرجل إلى جنبي أتراهم سبعين؟ فقال : أظنهم مائة ، فلما أخذنا الأسرى أخبرونا أنهم كانوا ألفاً ، وقلل الله المؤمنين في عيون الكفار ليغفروا ولا يجزموا)^(٣).

قال ابن اسحاق (ولما سمعت هوازن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما فتح الله عليه من مكة جمعها ملكها مالك بن عوف النصرى ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بنى هلال ، وهم قليل ، ولم يشهدا من قيس عيلان إلا هؤلاء).

(١) سورة آل عمران ١٢٧.

(٢) سورة الأنفال ٤٤.

(٣) المحرر الوجيز ١/٣٨٥.

وغاب عنها ولم يحضرها من هوازن كعب وكلاب، ولم يشهدا منهم أحد له اسم^(١).

الثالث : موت عدد من المشركين في آجالهم ، قال تعالى ﴿ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾^(٢).

الرابع : اعتزال عدد من المشركين قتال المسلمين .

الخامس : حدوث الخلاف والشقاق بين المشركين .

السادس : تناقص عدد الأعوان والأحلاف الذين يقاتلون مع كفار قريش النبي محمداً .

السابع : تعطل تجارة قريش ، وقيامهم بنحر إبل التجارة لإطعام الجيوش .

وفي معركة بدر أخذ الإمام علي عليه السلام والزبير بن العوام سقاة قريش الذين يسقون الماء وجاءا بهما إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدعاهم رسول الله وقال (كَمْ يَنْحَرُ لَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، فقالوا : في يوم ينحر لهم عشرة جزر ، وفي يوم تسعة .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : الْقَوْمُ مَا بَيْنَ تِسْعِمَائَةِ إِلَى أَلْفٍ وَكَانَتْ عِدَّتُهُمْ تِسْعِمَائَةٌ وَخَمْسِينَ ، وكانوا قد خرجوا من مكة ألفاً ومائتين وخمسين ، فرجع الأخنس بن شريق مع ثلاثمائة من بني زهرة مع العير ، وبقي تسعمائة وخمسون رجلاً^(٣).

فكيف وقد زحف ثلاثة آلاف من الذين كفروا نحو المدينة في معركة أحد في شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة ، ثم زحف عشرة آلاف منهم في

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٦١١/٣ .

(٢) سورة يونس ٤٩ .

(٣) السمرقندي / بحر العلوم ١٨١/٢ .

معركة الخندق ، وأقاموا حول المدينة نحو عشرين ليلة ، تطبخ فيها القدور الكبيرة وتلقى فيها الإبل والغنم عداوة للنبوة والتنزيل .

الجامع بين الحقيقة والمجاز

يقسم علماء اللغة والأصول الكلام إلى قسمين :

الأول : الحقيقة : وهو اللفظ المستعمل فيما وضع له .

الثاني : المجاز : وهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة وقرينة .

فيطلق لفظ الأسد حقيقة على الحيوان المفترس المعروف ، ويطلق على الرجل الشجاع مجازاً ، ومن علامات الحقيقة التبادر والإطراد وعدم صحة السلب ، فالأسد حيوان شجاع في كل أحواله ، بخلاف الرجل الشجاع الذي يتراجع أمام الذي هو أقوى وأشد منه .

وفي الجمع بين الحقيقة والمجاز بلفظ واحد في القرآن شواهد عديدة منها قوله تعالى ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾^(١) . فذهب علماء التفسير إلى أن المراد هو المجاز بحذف مضاف ، وتقدير الآية : وأسأل أهل القرية .

وهذا صحيح ، والمختار جواز حمل هذا اللفظ على الحقيقة أيضاً : أنك نبي تجيبك وبدعائك الجمادات فأسأل وأنت في محلك في فلسطين أبنية وأشجار القرية التي كنا فيها وكيف أنهم سمعوا فيها المنادى بأن أحدكم سارق .

وكذا وأسأل العير .

والمجاز أسأل أصحاب العير والقافلة وكانوا قوماً من كتعان جيران يعقوب ، أما هذا اللفظ حقيقة فهو سؤال ذات العير بلحاظ يستنطقها الله إجابة للنبي يعقوب .

(١) سورة يوسف ٨٢ .

وقد جئت في علوم القرآن بقسيم ثالث وهو اللفظ المستعمل في الحقيقة والمجاز في أن واحد ، وورد عن الإمام عليه السلام : القرآن حمال ذو وجوه .

وكذا ﴿وَجَعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ﴾^(١) والحقيقة تتخذون الكذب وسيلة للرزق والكسب ، وأما المجاز فهو يجعلون شكر رزقكم التكذيب فحذف الشكر ونحوه وقيم الرزق مقامه .
وعند التدبر في آيات القرآن تجد أمثلة على الجامع للحقيقة والمجاز في اللفظ القرآني .

اللفظ الجامع بين العطف والإستئناف

يقسم حرف الواو والفاء إلى قسمين :
الأول : حرف عطف ، ويفيد تعلق الجملة التي بعده بالجملة التي قبله في الحكم والإعراب .

الثاني : حرف استئناف وهو أن الجملة التي بعد الواو أو الفاء تكون مستأنفة ، ومستقلة في المعنى ، وتسمى الواو فيه واو الإستئناف وقد تأتي الواو للعطف والإستئناف معاً ، مثل الواو في ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ في قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٢) .
وتقسم الواو ، والفاء إلى حرف عطف وحرف استئناف بتقسيم استقرائي في فن وعلم النحو وهو متأخر زماناً على نزول القرآن واللفظ القرآني أعم منه في معناه ودلالته .

وكذا تقسم (لا) في اللغة العربية إلى قسمين :
الأول : (لا) النافية : التي تنفي الفعل في الماضي والحاضر والمستقبل .

(١) سورة الواقعة ٢٢ .

(٢) سورة البقرة ١٩٠ .

الثاني : (لا) الناهية التي تجزم الفعل المضارع وتنهى عنه في الحاضر والمستقبل .

نعمة صدور الجزء (٢٧٣) من هذا السفر

الحمد لله الذي جعل أول كلمة نازلة من القرآن (اقرأ) وقيدها بأنها في طاعة الله وفي سبيله بقوله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(١).

الحمد لله الذي ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ﴾^(٢).

وبعد جهد وسهر ومواظبة لنحو أربعين سنة تم تأليف الجزء الثالث والسبعين بعد المائتين من كتابي الموسوم (معالم الإيمان) والذي يختص بتفسير الآية الأخيرة من سورة آل عمران والتي أختتمت بقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾.

أسأل الله أن يجعل كل جزء منها فلاحاً ونجاحاً في النشاطين في آية علمية لم يشهد لها التاريخ مثيلاً ، مع انشغالي بالتدريس والفتوى وكتبي الفقهية والأصولية والكلامية .

ومن فضل الله أنني أقوم بتأليف وتصحيح ومراجعة كتبي بمفردي والحمد لله ، وجميعها معروضة على موقعنا .

وتتضمن الآية الأخيرة من سورة آل عمران بعد نداء الإيمان أربعة أوامر ثم خاتمة فيها بشارة عظيمة ، وليس فيها نهي .

فقد أراد الله عز وجل أن تتألف الآية المائتين من سورة آل عمران من أوامر متعددة وهي :

الأول : الأمر للمسلمين بالصبر .

(١) سورة العلق ١.

(٢) سورة العلق ٥.

الثاني : الأمر بالتصابر والمطاولة في التحمل في مقابل صبر الذين كفروا ، وهل قوله تعالى ﴿وَصَابِرُوا﴾ دعوة للسلم وعدم المبادرة إلى القتال ، الجواب نعم.

الثالث : المرابطة في انتظار الصلاة ، وفي الثغور .

وهل قوله تعالى ﴿وَرَابِطُوا﴾ حض للمسلمين على السلم ، وعدم اللجوء إلى الغزو والقتال ، الجواب نعم ، فالمرابطة بالصلاة سلم وأمن مجتمعي ، والمرابطة في الثغور حال الاحرب وإجتناح للقتال .

الرابع : الأمر بتقوى الله ، والخشية العامة والخاصة من عند الله . لتختتم الآية والسورة بالبشارة بالسعادة والأمن في النشاطين بقوله تعالى ﴿لَعَلَّكُمْ تفلحُونَ﴾^(١).

أسأل الله عز وجل أن يكون هذا التفسير امثالاً لكل أمر منها ، فهو عنوان للصبر ، والمصابرة بجهاد النفس ، وهو من عمومات المرابطة لما ورد عن رسول الله (ص) بأن من المرابطة انتظار الصلاة بعد الصلاة ، ومن تقوى الله ، خالصاً لوجه الله من غير رياء ، وأسأله تعالى أن يكون فلاحاً ونجاحاً في النشاطين .

مراتب التنزيل

القرآن مدرسة عالمية جامعة واصطلاح خاص تعرفه وتدرك قدسيته جميع شعوب العالم ، ولا عبرة بالقليل النادر . وجاءت آية دعاء وسط آيات الصوم فبعد الإستهلال وموضوعية رؤية هلال رمضان في وجوب الصوم جاء قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي

(١) سورة آل عمران ٢٠٠.

فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسْتَ جِئُوا لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١﴾.

وقال تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ (٢).

ومن وجوه نزول القرآن من عند الله عز وجل :

الأول : أنزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان ، في ليلة القدر إلى البيت المعمور في السماء حيال الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة.

الثاني : أنزل القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا جملة واحدة وبالذات إلى البيت المعمور ، وشهر رمضان هو الوعاء الزماني المبارك لهذا النزول .

وفي خبر حفص بن غياث سألت الصادق في شهر رمضان وإنما انزل في عشرين سنة بين أوله وآخره .

فقال : نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور وكذا عن ابن عباس .

الثالث : نزل القرآن في ليالي القدر من سني الدعوة وهي ثلاث وعشرون سنة .

كل ليلة قدر ينزل ما يخص تلك السنة ، ولعله لم يرد هذا القول عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة أو الصحابة ، وهو مبحث عقلي قال به الرازي.

نعم في ليلة القدر من كل سنة ينزل أمر تلك السنة من خير وشر ، ووقائع ، وخصب وجذب ، وطاعة ومعصية .

(١) سورة البقرة ١٨٦.

(٢) سورة الشورى ١٧.

الرابع : المراد بنزول القرآن بداية نزول آيات القرآن وسوره ثم نزل بعد ذلك تباعاً حسب الوقائع والأحداث ومنه تعقب الناسخ للمنسوخ.
 و(عن جابر بن عبد الله قال : أنزل الله صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان ، وأنزل التوراة على موسى لست خلون من رمضان ، وأنزل الزبور على داود لاثنتي عشرة خلت من رمضان ، وأنزل الانجيل على عيسى لثمانية عشرة خلت من رمضان ، وأنزل الفرقان على محمد لأربع وعشرين خلت من رمضان)^(١).

الخامس : نزول القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو على وجهين :

الأول : نزول القرآن دفعة واحدة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم نزل نجوماً .

الثاني : نزول القرآن على مساقط النجوم والوقائع .
 والمختار هو الثاني .

و(عن ابن عباس في قوله ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾^(٢) يقول : لا تعجل حتى نبيئه لك)^(٣).

ومن معاني الآية أعلاه : لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبرئيل من تلاوته عليك وإبلاغك .

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٤).

(١) الدر المنثور ١/٣٧٩ .

(٢) سورة طه ١١٤ .

(٣) الدر المنثور ٧/٣٦ .

(٤) سورة طه ١١٤ .

والقرآن كتاب الهدى والرشاد والسداد والبصيرة في سبيل الخير والصلاح ومن أسماء الله (الهادي).

ويرد القرآن باسم الفرقان ، قال تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(١).

عن الصادق عليه السلام القرآن جملة الكتاب ، والفرقان الحكم الواجب العمل به .

ومن معاني قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الشاهد يرى ما لا يرى الغائب)^(٢) أي الحاضر يعلم ما لا يعلمه الغائب.

اليسر والسهولة والتخفيف والتوفيق لعمل الخير وضده العسر .
قال قتادة : ذكر لنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم البيت المعمور مسجد في السماء بجذاء الكعبة ، لو خر لخر عليها يدخله سبعون الله ملك كل يوم ، إذا خرجوا منه ، لم يعودوا ، قال تعالى ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾^(٣).

و(عن جبير بن مطعم قال : جاء اعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله جهدت الأنفس ، وضاعت العيال ، ونهكت الأموال ، وهلكت المواشي . استسق لنا ربك ، فإننا نستشفع بالله عليك ، وبك على الله .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : سبحان الله! فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه فقال : ويحك أتدري ما الله؟ إن شأنه أعظم من ذلك ، وإنه لا يستشفع به على أحد ، إنه لفوق سمواته على عرشه ،

(١) سورة الفرقان ١.

(٢) آمالي المرتضى ٧/٧.

(٣) سورة الطور ٤.

وعرشه على سمواته ، وسمواته على أرضيه هكذا وقال بأصابعه مثل القبة
وإنه ليثبط به أطيظ الرحل بالراكب^(١).

قانون الصيام دعوة سنوية للمسلم

قد تقدم في الجزء الأربعين بعد المائتين من هذا السفر (قانون الصيام أمن
وسلم).

لقد فرض الله عز وجل على المسلمين والمسلمات صيام شهر رمضان
من كل سنة بالإمساك عن الأكل والشرب مدرسة عقائدية وأخلاقية
وإصلاح للنفوس ، ورسالة سلام للناس جميعاً .

وهل هذا السلام من مصاديق التقوى في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢) ، الجواب
نعم .

(وعن جابر : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : قال ربنا :
الصيام جنة يستجن بها العبد من النار ، وهو لي وأنا أجزي به . قال :
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : الصيام جنة حصينة من النار)^(٣).

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾^(٤) خطاب للمسلمين والمسلمات .

وفيه ارشاد لأوان الصوم ، وتوجه إلى الذكر وعبادة الله .

لا يجب الصوم على من شك في الهلال .

فمن شهر منكم الشهر يتضمن شرطاً وجزاء وأمراً .

تشريع الصوم رحمة عامة وباعث على السكينة .

آيات محدودة أوجدت عبادة عظيمة .

(١) الدر المنثور ١/٤٣ .

(٢) سورة البقرة ١٨٣ .

(٣) الدر المنثور ١/٣٦١ .

(٤) سورة البقرة ١٨٦ .

قال تعالى ﴿وَتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١).

وأكمل الشئ كمولاً ، التمام وانعدام النقصان .

ذكر الوعاء الزماني للصيام على نحو الحصر .

وفرض الصوم في السنة الثانية للهجرة ، لبيان موضوعيته في عمارة

الأرض بعبادة الله .

ولقد صاحب الإفتتان بالقمر الناس في أجيالهم المتعاقبة وأخذ حيزاً في

ثقافتهم ومنتدياتهم أكثر من الشمس مع ضيائها الوهاج ، وأنها مناسبة

العمل والكسب والإنتشار في الأرض ، وكانت أقوام من العرب وغيرهم

يعبدون القمر ويدل عليه قوله تعالى في إبراهيم ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا

رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾^(٢).

فنزل القرآن ليعين أن القمر مسخر للناس عامة في معاملاتهم وللمؤمنين

في عباداتهم يتطلعون للأهلة لمعرفة أوان صيام شهر رمضان ، وأشهر الحج ،

والأشهر الحرم ، قال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ

وَالْحَجِّ﴾^(٣).

مع الحجّة على الناس في آيات الصيام وأداء المسلمين له بلحاظ أن

الكفار مكلفون بالفروع كتكليفهم بالأصول ، والصيام تهذيب ، وقهر

للنفس الشهوية ، وهو خير محض ، ورسالة مودة ورفق للناس جميعاً.

(١) سورة البقرة ١٨٥.

(٢) سورة الأنعام ٤٤.

(٣) سورة البقرة ١٨٩.

الآيات الساندة لإحكام آيات السلم

بفضل ولطف ومدد من عند الله عز وجل صدر الجزء الثالث والسبعون بعد المائتين من تفسيري للقرآن ويختص بالآية الأخيرة من سورة آل عمران ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١) في ثلاثمائة وعشرين صفحة ، وكله تأويل واستنباط للمسائل والأحكام مع تأسيس مائتين وثلاثة وأربعين قانوناً من ذات مضامين هذه الآية الكريمة ويتضمن (٢٤٣) قانون مستقراً من مضامين ذات آية البحث .

وجئت في هذا الجزء الذي بين يديك بعلم جديد في المقام قسمين :
الأول : آيات الرحمة العامة والتراحم والإحسان كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٢).

والمراد الإحسان إلى الناس جميعاً ، والرفق وحسن المعاملة ، وهو أن سلامة آيات السلم من النسخ لا تنحصر في باب الناسخ والمنسوخ فيرد القول بنسخ آية السيف لهذه الآيات ، إنما تأتي آيات قرآنية كثيرة تكون برزخاً دون نسخ آيات السلم وعصمة لها من النسخ .

وإذا قيل كيف يقر الإسلام بحرية الاعتقاد السماوي وقوله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(٣) ، وبين الأمر بالقتال في القرآن ، والجواب هذا القتال دفاع محض من أجل إصلاح الأرض ، ورفع الظلم والتعدي .

(١) سورة آل عمران ٢٠٠.

(٢) سورة النحل ٩٠.

(٣) سورة البقرة ٢٥٦.

وآيات السلام والتحية العامة على الناس وقانون السلام عليكم أمن وسلام .

الثاني : آيات النهي والزجر عن القسوة والعنف والشدة والغلظة ، وسوء المعاملة ، والنهي عن الظلم والسب والشتيم والكراهية ، قال تعالى ﴿وَأَتَسَبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(١) .
لذا فان سلامة آيات السلم من النسخ بأية السيف لا تنحصر بالعصمة الذاتية من النسخ واستدامة العمل بأحكامها ، بل تشمل الإستدلال بآيات الرحمة والتراحم ، وآيات النهي عن الأخلاق المذمومة لبيان علم مستحدث وهو دلالة مئات الآيات القرآنية على سلامة آيات السلم والصلح من النسخ.

الثالث : هناك آيات تؤكد النسخ في بعض آيات القرآن .
وقد سميت آيات التراحم والعفو العام وإفشاء السلام ونحوه الآيات الساندة لآيات السلم في سلامتها من النسخ .

قانون الإستعداد للبرزخ بالدعاء

الحمد لله الذي جعل الحمد لله حرزاً وواقية وسلاحاً في النشأتين ، وهل ينفع قول الحمد لله صاحبه في عالم البرزخ وسؤال منكر ونكير ، الجواب نعم .

الحمد لله بعدد الدقائق والساعات التي نقضيها في عالم القبر والبرزخ ، ونسأله تعالى أن تكون نسيماً ورحمة لنا .

اللهم اجعل الموت لنا سعادة وأمناً باستقبال الملائكة لنا بالبشارة والفلاح ، ومن خصائص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يدعو للإستعداد لعالم البرزخ وأوان دخول القبر ، ويرغب المسلمين في الإكثار من الإستعاذة من عذاب القبر .

(١) سورة الأنعام ١٠٨ .

و(عن زاذان عن البراء بن عازب ، قال : خرجنا في جنازة رجل من الأنصار مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاتتهينا إلى القبر ، ولما يلحد له بعد .

فجلس النبي صلى الله عليه وآله وسلم مستقبل القبلة ، وجلسنا معه كأن على رؤوسنا الطير ، فنكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما شاء ، ثم رفع رأسه .

فقال : اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، قالها ثلاث مرات . ثم أنشأ يحدثنا فقال : إن المؤمن إذا كان في قبل من الآخرة وانقطع من الدنيا ، نزلت إليه ملائكة كأن وجوههم الشمس ، مع كل ملك منهم كفن وحنوط ، فجلسوا منه مد بصره .

فإذا خرجت نفسه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك في السماء ، وفتحت له أبواب السماء كلها ، فليس منها باب إلا وهو يعجبه أن يدخل به منه .

فإذا انتهى به الملك إلى السماء قال : رب ، عبدك فلان قد قبضنا نفسه ، قال : فيقول : ارجعوه إلى الأرض ، فإني وعدته أنني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى .

قال : وإنه ليسمع خفق نعالهم ، إذا ولوا مدبرين ، فيقال له : يا هذا ، من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ قال : يقول : ربي الله ، وديني الإسلام ، ونبيي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم ينادي مناد من السماء ، وذكر كلاما ، وذلك قوله تعالى ﴿يَسَّبِئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(١) .

ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب قال : فيقول له : يا هذا : أبشر برضوان الله وجنات فيها نعيم مقيم .

(١) سورة إبراهيم ٢٧ .

قال : فيقول : وأنت فبشرك الله بخير ، فمن أنت ؟ لوجهك الوجه يبشر بالخير .

قال : يقول : أنا عمك الصالح . فوالله ما علمت إن كنت لسريعا في طاعة الله ، بطيئا عن معصية الله ، فجزاك الله خيرا .

قال : فيقول : وأنت فجزاك الله خيرا . ثم ينادي مناد من السماء أن افتحوا له بابا إلى الجنة وافرشوا له من فرش الجنة قال : فيفتح له باب إلى الجنة ، ويفرش له من فرش الجنة .

قال : يقول : رب ، عجل قيام الساعة قال : فيقولها ثلاثا ، حتى أرجع إلى أهلي ومالي .

وإن الكافر إذا كان في قبل من الآخرة وانقطع من الدنيا ، نزلت إليه ملائكة سود الوجوه ، معهم سراييل من قطران وثير من نار ، فأجلسوه وانتزعوا نفسه معها العصب والعروق ، فإذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك في السماء ، وغلقت أبواب السماء دونه ، فليس منها باب إلا وهو يكره أن يدخل منه ، فإذا انتهى به الملك إلى السماء رمى به .

فيقول : أي رب ، عبدك فلان قبضنا نفسه ، فلم تقبله الأرض ولا السماء قال : فيقول الله : ارجعه إلى الأرض ، فإني وعدته أنني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى ، وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين .

فيقال له : يا هذا ، من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ قال : يقول : لا أدري . ثم ينتهره انتهارة شديدة ، فيقول : يا هذا ، من ربك ؟ وما دينك ؟ قال : يقول : لا أدري قال : فينادي مناد من السماء : لا دريت .

ثم يأتيه آت قبيح الوجه ، منتن الريح ، قبيح الثياب ، فيقول : يا هذا ، أبشر بسخط الله وعذاب مقيم قال : فيقول : وأنت بشرك الله بالشر ، فمن أنت ؟ لوجهك الوجه يبشر بالشر .

قال : أنا عملك السيئ ، والله ما علمتك إن كنت لسريعا في معصية الله ، بطيئا عن طاعة الله ، فجزاك الله شرا .

قال : فيقول : وأنت فجزاك الله شرا ثم يقيض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد ، لو ضرب بها جبلا لصار نارا ، فيضربه ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين ، فيصير ترابا ، ثم تعاد فيه الروح .
قال : قلنا للبراء : أملك هو أم شيطان .

قال : فغضب غضبا شديدا ثم قال : نحن كنا أشد هيبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أن نسأله أملك هو أم شيطان قال : ثم ينادي مناد من السماء أن افرشوا له لوحين من نار ، وافتحوا له بابا من النار .
قال : فيفرش له لوحان من النار ، ويفتح له باب إلى النار ، فيقول : رب لا تقم الساعة ، لا تقم الساعة^(١) .

لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار الدعاء ، وهو من مصاديق العمل في الدنيا ، إذ أن الآخرة ومن حين الدخول إلى القبر ليس فيها عمل . ومن خصائص المؤمن جعل الدعاء مقدمة للدخول في عالم الآخرة ، وما فيها من الأهوال .

وهل الصلاة واقية من العذاب حينئذ ، الجواب نعم ، لذا فمن معاني الصلاة الدعاء ، قال تعالى ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾^(٢) .

وفي ذكر الموت ودخول القبر ورد عن الصحابي تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (يقول الله لملك الموت : انطلق إلى وليي فائتني به فإنني قد جربته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحب ، فائتني به لأريحه من هموم الدنيا وغمومها .

فينطلق إليه ملك الموت ومعهم خمسمائة من الملائكة معهم أكفان وحنوط من حنوط الجنة ومعهم ضبائر الريحان ، أصل الريحانة واحد وفي رأسها

(١) الطبري / تهذيب الآثار ١٣/٢ .

(٢) سورة التوبة ١٠٣ .

عشرون لونا ، لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه ، ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك الأذفر .

فيجلس ملك الموت عند رأسه ، وتحتوشه الملائكة ويضع كل ملك منهم يده على عضو من أعضائه ، ويسط ذلك الحرير الأبيض والمسك الأذفر تحت ذقنه ، ويفتح له باب إلى الجنة ، فإن نفسه لتعلل عنده ذلك بطرف الجنة مرة بأزواجها ومرة بكسوتها ومرة بثمارها ، كما يعلل الصبي أهله إذا بكى ، وإن أزواجه ليتهشن عند ذلك ابتهاشاً ، وتنزو الروح نزواً ، ويقول ملك الموت : أخرجي أيتها الروح الطيبة إلى سدر مخضود وطلح ممدود وماء مسكوب .

وملك الموت أشد تلعظاً به من الوالدة بولدها ، يعرف أن ذلك الروح حبيب إلى ربه ، كريم على الله فهو يلتمس بلطفه تلك الروح رضا الله عنه ، فسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ، وإن روحه لتخرج والملائكة حوله يقولون ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١) وذلك قوله ﴿الَّذِينَ تَوْفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾^(٢).

قال : فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ، قال : روح من جهد الموت وروح يؤتى به عند خروج نفسه وجنة نعيم أمامه .

فإذا قبض ملك الموت روحه يقول الروح للجسد : لقد كنت بي سريعاً إلى طاعة الله بطيباً عن معصيته ، فهنيئاً لك اليوم فقد نجوت وأنجيت ، ويقول الجسد للروح : مثل ذلك ، وتبكي عليه بقاع الأرض التي كان يطبع الله عليها ، كل باب من السماء كان يصعد منه عمله وينزل منه رزقه أربعين ليلة .

(١) سورة النحل ٣٢ .

(٢) سورة النحل ٣٢ .

فإذا اقبضت الملائكة روحه أقامت الخمسمائة ملك عند جسده لا يقلبه بنو آدم لشق لإقلبته الملائكة عليهم السلام قبلهم ، وعلته بأكفان قبل أكفانهم وحنوط قبل حنوطهم .

ويقوم من باب بيته إلى باب قبره صفان من الملائكة يستقبلونه بالاستغفار ، ويصيح إبليس عند ذلك صيحة يتصرع منها بعض أعظام جسده ، ويقول لجنوده : الوليل لكم كيف خلص هذا العبد منكم؟ فيقولون : إن هذا كان معصوماً .

فإذا صعد ملك الموت بروحه إلى السماء يستقبله جبريل في سبعين ألفاً من الملائكة كلهم يأتيه من ربه ، فإذا انتهى ملك الموت إلى العرش خرت الورح ساجدة لربها .

فيقول الله للملك الموت : انطلق بروح عبدي فضعه ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ * وَظِلِّ مَمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾^(١) .

فإذا وضع في قبره جاءت الصلاة فكانت عن يمينه ، وجاء الصيام فكان عن يساره ، وجاء القرآن والذكر فكانا عند رأسه ، وجاء مشيه إلى الصلاة فكان عند رجليه ، وجاء الصبر فكان ناحية القبر .

ويبعث الله عتقاً من العذاب فيأتيه عن يمينه ، فتقول الصلاة : وراءك والله ما زال دائماً عمره كله وإنما استراح الآن حين وضع في قبره ، فيأتيه عن يساره فيقول الصيام مثل ذلك .

فيأتيه من قبل رأسه فيقول له مثل ذلك ، فلا يأتيه العذاب من ناحية فيلتمس هل يجد لها مساعاً إلا وجد ولي الله قد أحرزته الطاعة ، فيخرج عنه العذاب عندما يرى ، ويقول الصبر لسائر الأعمال : أما إنه لم يمنعني أن أباشره بنفسي إلا أنني نظرت ما عندكم .

(١) سورة الواقعة ٢٨-٣١ .

فلو عجزتم كنت أنا صاحبه ، فأما إذا أجزأتم عنه فأنا ذخره عند الصراط وذخر له عند الميزان ، ويبيح الله ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف وأصواتهما كالرعد القاصف وأنيابهما كالصياصي وأنفاسهما كاللهب يطآن في أشعارهما بين منكبى كل واحد منهما مسيرة كذا وكذا ، قد نزعتهما الرأفة والرحمة إلا بالمؤمنين .

يقال لهما : منكر ونكير ، وفي يد كل واحد منهما مطرقة لو اجتمع عليها الثقلان لم يقلوها .

فيقولان له : اجلس فيستوي جالساً في قبره فتسقط أكفانه في حقويه . فيقولان له : من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول : ربي الله وحده لا شريك له ، والإسلام ديني ، ومحمد نبي ، وهو خاتم النبيين . فيقولان له : صدقت ، فيدفعان القبر فيوسعانه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره ومن قبل رأسه ومن قبل رجله .

ثم يقولان له : أنظر فوقك ، فينظر ، فإذا هو مفتوح إلى الجنة ، فيقولان له : هذا منزلك يا ولي الله ، لم أطعت الله فوالذي نفس محمد بيده إنه لتصل إلى قلبه فرحة لا ترتد أبداً ، فيقال له : أنظر تحتك فينظر تحته فإذا هو مفتوح إلى النار ، فيقولان : يا ولي الله نجوت من هذا فوالذي نفسي بيده إنه لتصل إلى قلبه عند ذلك فرحة لا ترتد أبداً .

ويفتح له سبعة وسبعون باباً إلى الجنة يأتيه ريحها وبردها حتى يبعثه الله تعالى من قبره إلى الجنة وأما الكافر فيقول الله لملك الموت : ويفتح الله لملك الموت انطلق إلى عبدي فائتني به فإني قد بسطت له رزقي وسربلته نعمتي فأبى إلا معصيتي فائتني به لأنتقم منه اليوم ... الحديث^(١) .

الحمد لله الذي أهبط آدم وحواء من الجنة ليعمروا وذريتهما الأرض بالذكر والصلاة والدعاء وتلاوة التنزيل ، وهل أداء الناس لهذه العبادات

على الأرض من مصاديق قوله تعالى ﴿سُنُرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١) الجواب نعم .

الحمد لله الذي جعل المائز والتفضيل بين الناس بالتقوى والصلاح ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٢) .

معجزة انتشار الناس في الأرض

وهل تكون الناس جميعاً من آدم وحواء وانتشارهم في الأرض معجزة في الخلق ، الجواب نعم ، وفيه دعوة للتآخي بين الناس ، ونشر ألوية السلم ، والإمتناع عن الإقتتال والحروب ، وتقوم هذا الإمتناع بطاعة الله ورسله ، لذا تفضل الله عز وجل وبعث الأنبياء والرسل لدعوة الناس للتوحيد ، وعبادة الله عز وجل وحده والتنزه عن الشرك ، ثم أخبر الله عز وجل بأن الدنيا بداية خلق الإنسان وليست نهاية له .

وقال ابن جزري الكلبي (ت ٧٤١ هجرية) في تفسيره (نسخ المعنى دون اللفظ وهو كثير وقع منه في القرآن على ما عد بعض العلماء)^(٣) .
أيهما أكثر نفعاً للمسلمين والناس جميعاً كون آيات السلم والموادعة محكمة أو منسوخة ، الجواب هو الأول :

وهو الذي تدل عليه السنة النبوية بالصبر عن المشركين حتى في أيام قوة الإسلام ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٤) .

(١) سورة فصلت ٥٣ .

(٢) سورة الحجرات ١٣ .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ١٨/١ .

(٤) سورة الأنبياء ١٠٧ .

ومن خصائص القرآن أن كل آية منه رحمة عامة متجددة للمسلمين وغيرهم ، تنفذ إلى الواقع اليومي للناس وتنسبط على الوقائع والأحداث لتكون سبيلاً لنشر المودة بين الناس ، وفرصة لأداء المسلمين الفرائض العبادية ، وفيها تذكير بوجود عبادة الله ونبذ الشرك .

لذا فإن العلم الجديد الذي تضمنه هذا السفر بذكر الدلائل التي تدل على سلامة آيات السلم والصلح والموادعة والعفو والصفح من النسخ هو مرآة لحقائق التنزيل .

ومن المسلمات المتوارثة في عقائد الناس إقرار كل أهل ملة سماوية أو وضعية ، وكل جيل من الناس أن المليارات من الناس جميعاً من أبوين ، من آدم وحواء وإن اختلف اسمهما عند الأمم لاختلاف اللغات وأخبار التاريخ ، لذا وردت آية الخلق من نفس واحدة بالنداء إلى الناس جميعاً بقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١) .

وفيه دعوة للوئام والتراحم ونبذ الإقتتال وسفك الدماء ، وليبيان أن آيات السلم محكمة غير منسوخة .

وهل تدل الآية أعلاه على المشيئة الإلهية في حمل أجيال الناس والمليارات منهم على اختلاف مذاهبهم طوعاً وقهراً على التسليم بأن الناس من أب واحد وهو آدم وأم واحدة وهي حواء ، الجواب نعم ، وفيه دعوة للوئام والوفاق ونبذ الحروب والإقتتال .

لذا قال الإمام علي عليه السلام في عهده لمالك الأشتر الناس (صنfan) إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق) (٢) .

(١) سورة النساء .١

(٢) البحار ٢٤١/٧٤ .

تقييد آية السيف زماناً ومكاناً

المختار أن آيات السلم والموادعة والصلح محكمة غير منسوخة وأن موضوع آية السيف محصور ومقيد من وجهين :

الأول : التقييد الزماني : وهو على جهات :

الأولى : مدة أربعة أشهر للذين لهم عهد عند النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وعهدهم أكثر من أربعة أشهر ، وتبدأ الأشهر الأربعة من اليوم العاشر من شهر ذي الحجة وشهر محرم وشهر ربيع الأول ، وعشرة أيام من شهر ربيع الثاني .

الثانية : الذين لهم عهد أقل من أربعة أشهر ، فمدتهم إلى حين عهدهم .
الثالثة : الذين ليس لهم عهد عند رسول الله والمسلمين ، فمدتهم انقضاء الأشهر الحرم ، إذ تم تبليغ الإمام علي عليه السلام أهل الموسم بآية براءة في العاشر من شهر ذي الحجة ، وتنقضي الأشهر الحرم بهلال شهر ربيع الأول :

الثاني : التقييد المكاني : إنحصار موضوع الآية بأهل مكة وما حولها ، وهل يشمل أهل المدينة ، المختار أن أهل المدينة على قسمين :
الأول : المسلمون .

الثاني : اليهود من بني النضير وبني قينقاع وبني قريظة ، فلم يبق فيها مشركون نعم فيها منافقون ومنافقات وقد نزلت آيات القرآن في ذمهم وتوبيخهم وإنذارهم وهم في تناقص وتضاؤل .

والمختار وجود حذف في آية السيف وهو ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ محاربين مقاتلين لكم ، بدليل ما بعد هذا الشرط بالأمر بحصر

المشركين والتضييق عليهم رجاء توبتهم ، قال تعالى ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١).

قوانين الجزء ٢٧٤

وفيه القوانين التالية :

- الأول : قانون التفسير الذاتي للقرآن .
- الثاني : قانون القبح الذاتي لسفك الدماء .
- الثالث : قانون وجوب الصلاة على المؤمنين من أيام آدم عليه السلام .
- الرابع : قانون كل أهل ملة من الموحدين يؤدون الصلاة .
- الخامس : قانون المشركون هم المعتدون والغزاة في كل معركة من معارك الإسلام الأولى .
- السادس : قانون صبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه على المشركين .
- السابع : قانون صبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الشواهد على سلامة آيات السلم من النسخ .
- الثامن : قانون تسخير الآيات الكونية في عبادات المسلمين .
- التاسع : قانون إعانة الآيات الكونية للمسلمين في عباداتهم .
- العاشر : قانون الملازمة بين تعاهد وأداء العبادات وبين السلم والأمن العام .
- الحادي عشر : قانون دعوة كل من الصلاة والصوم الناس إلى السلم والصلح .
- الثاني عشر : قانون عبادة الله برزخ دون التعدي ، قال تعالى ﴿وَلَا تَعْتَدُوا
- إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٢).

(١) سورة الأنفال ٦١.

(٢) سورة البقرة ١٩٠.

- الثالث عشر: قانون الملازمة بين الخلق والرحمة.
- الرابع عشر: قانون التضاد بين الصبر وإشاعة القتل.
- الخامس عشر: قانون ملائمة آيات القرآن لكل زمان ، وهو مصداق لقوله تعالى ﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَّا لَكُلِّ شَيْءٍ﴾^(١).
- السادس عشر: قانون إحاطة كلام الله بالامحدود من الوقائع والأحداث ، وبيان تلقي المسلمين النسخ بالقبول والمبادرة إلى العمل بالناسخ .
- السابع عشر: قانون إنتهاء المشركين من القتال الذي بدأوه .
- الثامن عشر: قانون عدم ابتداء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قتالاً .
- التاسع عشر: قانون امتناع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن الغزو .
- العشرون: قانون الصلح سلم وأمن .
- الواحد والعشرون: قانون تناقص عدد الذين كفروا والمنافقين على نحو مطرد .
- الثاني والعشرون: قانون تزايد عدد المسلمين .
- الثالث والعشرون: قانون الصلح طريق هداية للناس للإيمان .
- الرابع والعشرون: قانون تحقق مصداق الوعيد من دون اللجوء إلى امضائه ووقوعه .
- الخامس والعشرون: قانون الإعراض العام عن الخائضين في التنزيل .
- السادس والعشرون: قانون توكيد آيات القرآن بعضها لبعض ، وأن التوكيد غير النسخ ، إنما هو تثبيت لحكم الآية .
- السابع والعشرون: قانون قرب البصائر والدلائل والبراهين على التوحيد من كل إنسان .
- الثامن والعشرون: قانون إقامة الحجّة من الله على الناس .

- التاسع والعشرون : قانون نزول القرآن لطف عام يتغشى الناس .
- الثلاثون : قانون انعدام الحاجب بين الناس والبصائر والحجج الباهرات التي تأتي من عند الله عز وجل .
- الواحد والثلاثون : قانون رسوخ أصل الإيمان في النفوس ، وهو من الفطرة ، قال تعالى ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ التِّي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(١) .
- الثاني والثلاثون : قانون التكليف العام .
- الثالث والثلاثون : قانون النفع العام من العمل بمضامين البصائر ، وأن النبي محمداً لا يكره الناس على طاعة الله ، إنما قام بالتبليغ ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢) .
- الرابع والثلاثون : قانون تعدد وتكرار ذات اللفظ شاهد على السلامة من النسخ .
- الخامس والثلاثون : قانون تعدد اللفظ عدة مرات شاهد على سلامته من النسخ .
- السادس والثلاثون : قانون الرحمة العامة ضد السيف .
- السابع والثلاثون : قانون وما الرسول بوكيل على الناس .
- الثامن والثلاثون : قانون الإعراض عن المشركين زاجر لهم .
- التاسع والثلاثون : قانون الإعراض عن المشركين تأديب للناس .
- الأربعون : قانون الإعراض النبوي عن المشركين دعوة للمسلمين لإجتناهم .
- الواحد والأربعون : قانون الإعراض تأديب .
- الثاني والأربعون : قانون الأمر الإلهي رحمة .

(١) سورة الروم ٣٠ .

(٢) سورة المائدة ٦٧ .

الثالث والأربعون : قانون مرتبة النبوة لا تخرج النبي من مقامات العبودية لله عز وجل .

الرابع والأربعون : قانون الصلاة إنذار .

الخامس والأربعون : قانون الصلاة بشارة .

السادس والأربعون : قانون الصلاة دعوة يومية للإيمان .

السابع والأربعون : قانون أداء المسلمين الصلاة نصر .

الثامن والأربعون : قانون الصلاة صبر ، وهو من مصاديق آية البحث

﴿وَأَمَّا نُرُوبُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفَّيْنَاكَ فَأَلَيْنَا مَرْجِعَهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾^(١).

التاسع والأربعون : قانون من الإرادة التكوينية ، وهو الله عز وجل وحده الذي يكره الناس على الإيمان .

الخمسون : قانون الدنيا دار امتحان واختبار وابتلاء ، مما يلزم الاجتهاد في طاعة الله ، والشكر عند الرخاء ، والرضا بقضاء الله وقدره ، والصبر عند البلاء .

الواحد والخمسون : قانون الإختيار في عمل الإنسان حجة عليه .

الثاني والخمسون : قانون غنى الله عن العالمين .

الثالث والخمسون : قانون الملازمة بين الإيمان والأمن العام .

الرابع والخمسون : قانون نزول الآيات من علم الغيب .

الخامس والخمسون : قانون لا يحيط بعلم الغيب إلا الله عز وجل .

السادس والخمسون : قانون علوم القرآن أعم من قواعد البلاغة

والنحو.

السابع والخمسون : قانون تعدد معاني اللفظ القرآني.

الثامن والخمسون : قانون إحاطة كلمات الله المحدودة باللامحدود من

الوقائع والأحداث .

التاسع والخمسون : قانون لا يعلم ما يأتي من الوقائع والأحداث إلا الله عز وجل .

الستون : قانون إتصال وتجدد الوعيد من عند الله للذين كفروا في كل زمان .

الواحد والستون : قانون آيات القرآن سلم مستديم .

الثاني والستون : قانون آيات السلم تدعو المسلمين لتعاهد السلم الذي أسسه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالث والستون : قانون الإنتظار والإمهال طريق إلى التوبة والإنابة .

الرابع والستون : قانون الدنيا دار اختبار واختيار .

الخامس والستون : قانون نفع الهداية للذات والغير ، إذ أن الله

﴿غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(١) .

السادس والستون : قانون الحضور اليومي للقرآن بين الناس .

السابع والستون : قانون التجدد اليومي لبلاغات الإنذار .

الثامن والستون : قانون عموم النداءات النبوية وبلوغها للمسلم وغير

المسلم .

التاسع والستون : قانون الملازمة بين الرسالة والصبر .

السبعون : قانون ملازمة الصبر للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

حتى مغادرته الحياة الدنيا .

الواحد والسبعون : قانون أمر الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه

وآله وسلم تخفيف عنه وعن المسلمين والناس جميعاً .

الثاني والسبعون : قانون لحوق الخزي بالذين كفروا .

الثالث والسبعون : قانون الملازمة بين الصبر والرسالة من عند الله .

الرابع والسبعون : قانون الصبر من وظائف النبوة ، وليس من نبي إلا

وتحلى بأسمى مراتب الصبر .

(١) سورة آل عمران ٩٧ .

- الخامس والسبعون : قانون الصبر النبوي تأديب من عند الله عز وجل .
- السادس والسبعون : قانون الصبر من أركان الإيمان .
- السابع والسبعون : قانون الصبر حاجة للمؤمنين مجتمعين ومتفرقين .
- الثامن والسبعون : قانون لزوم تحلي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين بالصبر .
- التاسع والسبعون : قانون كل آية من القرآن سلاح يغني عن السيف .
- الثمانون : قانون الحكم المطلق في الدنيا والآخرة لله عز وجل .
- الواحد والثمانون : قانون حكم الله هو خير حكم .
- الثاني والثمانون : قانون نفاذ حكم الله في المجتمعات .
- الثالث والثمانون : قانون خزي الذين كفروا حتم لأنه من حكم الله .
- الرابع والثمانون : قانون اختتام الوقائع بحكم الله .
- الخامس والثمانون : قانون حكم الله هو الأتقن ، وخير حكم للحاضر والغائب والذي لم يولد بعد .
- السادس والثمانون : قانون الصبر تخفيف لأن التعجل لا يغير من حكم الله وأوانه .
- السابع والثمانون : قانون المؤمنون ورثة الأنبياء بالصبر الجميل .
- الثامن والثمانون : قانون الصبر أمر وجودي يستلزم النية وحبس وتسخير الجوارح في طاعة الله .
- التاسع والثمانون : قانون الوحي رحمة عامة ، وفيه إمهال للذين كفروا .
- التسعون : قانون الصبر محدود ، وليس إلى ما لا نهاية ، ولا يعلم حدّ الصبر إلا الله عز وجل .
- الواحد والتسعون : قانون النصر مع الصبر .
- الثاني والتسعون : قانون موضوعية الصبر في تأريخ النبوة .
- الثالث والتسعون : قانون انفراد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأعلى مراتب الصبر .

الرابع والتسعون : قانون الحاجة الخاصة والعامة إلى الصبر ، ومن مصاديق سلامة آية البحث من النسخ مجئ آية البحث بالأمر بالصبر بعد وجوب اتباع الوحي وقبل انتظار حكم الله عز وجل .

الخامس والتسعون : قانون المغفرة حاجة متجددة للناس ، للفرد والجماعة .

السادس والتسعون : قانون تفرغ النعم عن المغفرة ، فذات المغفرة نعمة عظيمة .

السابع والتسعون : قانون اقتداء المسلمين بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١) .

الثامن والتسعون : قانون الملازمة بين الرسالة الخاتمة وسيادة الأخلاق الحميدة .

التاسع والتسعون : قانون السنة النبوية تأديب وتعليم .

المائة : قانون تعضيد السنة النبوية للقرآن في تهذيب الأخلاق .

الواحد بعد المائة : قانون الأخلاق الحميدة نوع طريق ومقدمة لإقامة الفرائض .

الثاني بعد المائة : قانون الملازمة بين الأخلاق الحميدة والسلم المجتمعي .

الثالث بعد المائة : قانون فتح مكة تنزيه .

الرابع بعد المائة : قانون السلم المجتمعي العام حاجة للناس .

الخامس بعد المائة : قانون القرآن كتاب السلم .

السادس بعد المائة : قانون الملازمة بين الإيمان والسلم .

السابع بعد المائة : قانون الإسلام دين السلم والأمن العام .

الثامن بعد المائة : قانون الإكرام على الإيمان ، فقيراً كان المسلم أو غنياً .

التاسع بعد المائة : قانون بذل السلام أمان عام .

العاشر بعد المائة : قانون التضاد بين السلام والقتال .
الحادي عشر بعد المائة : قانون آيات السلام برزخ دون نسخ آيات السلم
 والصلح .

الثاني عشر بعد المائة : قانون سلام وتحية المسلم على الناس على مختلف
 مشاربهم .

الثالث عشر بعد المائة : قانون مبادرة المسلم للسلام حتى في حال
 الخلاف والخصومة.

الرابع عشر بعد المائة : قانون السلام على القريب والبعيد وهو من
 مصاديق افشاء السلام ، فلا يختص السلام بالمعرفة .

الخامس عشر بعد المائة : قانون السلام والتحية أداء ورداً لواء سلم
 وباعث للطمأنينة بين الناس ، قال تعالى ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ
 رُدُّوهَا﴾^(١)

السادس عشر بعد المائة : قانون الإسلام دين الرحمة العامة .

السابع عشر بعد المائة : قانون القرآن كتاب الرحمة السماوي .

الثامن عشر بعد المائة : قانون الملازمة بين السنة النبوية والرحمة .

التاسع عشر بعد المائة : قانون استدامة الحياة الدنيا بالتراحم والوثام بين
 الناس .

العشرون بعد المائة : قانون خلق الناس رحمة من عند الله .

الواحد والعشرون بعد المائة : قانون بعث الأنبياء والرسل رحمة
 متجددة من عند الله .

الثاني والعشرون بعد المائة : قانون الأمل شعبة من الفطرة .

الثالث والعشرون بعد المائة : قانون الأمل باعث على العمل .

الرابع والعشرون بعد المائة : قانون تزيين الدنيا بالأمل .

الخامس والعشرون بعد المائة : قانون الأمل فرع الخلافة .

- السادس والعشرون بعد المائة : قانون الأمل مناسبة للجوء إلى الله لتحقيق الرغائب ، والتفكر الواقعي السليم .
- السابع والعشرون بعد المائة : قانون الأمل باعث إلى السعي والعمل .
- الثامن والعشرون بعد المائة : قانون قيام الحجة على الذين كفروا بتعدد البراهين الدالة على صدق النبوة ونزول القرآن .
- التاسع والعشرون بعد المائة : قانون ذم الأمل المترشح عن الكفر .
- الثلاثون بعد المائة : قانون الصفح لطف .
- الواحد والثلاثون بعد المائة : قانون السنة النبوية مرآة للقرآن .
- الثاني والثلاثون بعد المائة : قانون الملازمة بين النبوة والصفح الجميل .
- الثالث والثلاثون بعد المائة : قانون الصفح إحسان من قوله تعالى ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١) .
- الرابع والثلاثون بعد المائة : قانون عجز العلماء عن إكتشاف الأفلاك وعالم الأكوان كله .
- الخامس والثلاثون بعد المائة : قانون الصفح طريق إلى الهداية والصلاح لإقترائه المعجزات الحسية والعقلية .
- السادس والثلاثون بعد المائة : قانون اتصال موضوع وأثر ونفع الآية القرآنية مع غيرها من الآيات القرآنية .
- السابع والثلاثون بعد المائة : قانون الصفح من الخلق العظيم .
- الثامن والثلاثون بعد المائة : قانون كل قول وفعل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الخلق العظيم في كل أحواله .
- التاسع والثلاثون بعد المائة : قانون امتناع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن الإبتداء بقتال المشركين ، وفيه شواهد عديدة ، كما في كل معركة من معارك الإسلام الأولى .
- الأربعون بعد المائة : قانون الملازمة بين النبوة والصفح عن الناس .

الواحد والأربعون بعد المائة : قانون الصفح الجميل بين المسلمين والناس جميعاً وهو من أسرار حفظ وتوثيق المسلمين للسنة النبوية القولية والفعلية لتكون نبراساً وضياءاً.

الثاني والأربعون بعد المائة : قانون حاجة النبوة للصفح عن الناس .
الثالث والأربعون بعد المائة : قانون لزوم انتهاج المسلمين الصفح عن الناس .

الرابع والأربعون بعد المائة : قانون الصفح قهر للنفس الغضبية والشهوية .

الخامس والأربعون بعد المائة : قانون التواضع من الخلق العظيم في قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

السادس والأربعون بعد المائة : قانون استدراج الكافر .
السابع والأربعون بعد المائة : قانون وهو ما عند الذين كفروا من النعم استدراج لهم ، وحجة عليهم ، ومادة لفتنتهم وافتتانهم بها .

الثامن والأربعون بعد المائة : قانون الإيمان سبب لإستدامة النعم .
التاسع والأربعون بعد المائة : قانون الرزق كماً وكيفاً وأواناً بيد الله عز وجل .

الخمسون بعد المائة : قانون لا ملازمة بين الإيمان وسعة الرزق ، وهو من وجوه الإبتلاء والإختيار في الدنيا .

الواحد والخمسون بعد المائة : قانون ليس من ملازمة بين الكفر وضحك العيش ، لأن الدنيا دار امتحان واختبار .

الثاني والخمسون بعد المائة : قانون الدنيا ذلول للإنسان برأ أو فاجراً .
الثالث والخمسون بعد المائة : قانون اجتماع المصاديق والمعاني المتعددة اللفظ القرآني أو النبوي وكلاهما من الوحي .

الرابع والخمسون بعد المائة : قانون الحصانة الإيمانية من الإفتتان .

الخامس والخمسون بعد المائة : قانون توالي وتتابع النعم .
السادس والخمسون بعد المائة : قانون النهي العام عن الإفتتان بما في أيدي أصناف من الذين كفروا من كثرة الأموال والجاه لأنها فتنة واختبار .
السابع والخمسون بعد المائة : قانون سرعة زوال النعم التي بأيدي الذين كفروا .

الثامن والخمسون بعد المائة : قانون الشكر على النعم .
التاسع والخمسون بعد المائة : قانون الكفر سبب لزوال النعم .
الستون بعد المائة : قانون الكفر منغص وحائل دون التمتع بالنعم .
الواحد والستون بعد المائة : قانون الكفر وبال على أهله ، وتركه قبيحة وضرر محض .

الثاني والستون بعد المائة : قانون سلامة آيات السلم من النسخ .
الثالث والستون بعد المائة : قانون الاجتهاد النبوي لدخول الناس في الإسلام .

الرابع والستون بعد المائة : قانون التباين في معاملة المسلمين بالرفق والأمن ، والذين كفروا بالإعراض عنهم .
الخامس والستون بعد المائة : قانون سلامة النبي محمد من كيد المشركين مع اجتهاده في تبليغ الرسالة .

السادس والخمسون بعد المائة : قانون الإمتناع عن طاعة الكافرين .
السابع والستون بعد المائة : قانون الصبر على أذى الكافرين والمنافقين .
الثامن والستون بعد المائة : قانون العصمة من الخشية والخوف من المشركين .

التاسع والستون بعد المائة : قانون عجز المشركين عن حجب آيات القرآن والدعوة عن الناس .
السبعون بعد المائة : قانون لا يأتي الأمر إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا من عند الله عز وجل .

الواحد والسبعون بعد المائة : قانون تجلي البراهين الدالة على صدق رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني والسبعون بعد المائة : قانون الإعراض عن المشركين جهاد .

الثالث والسبعون بعد المائة : قانون الجهاد بتبليغ الرسالة وأحكامها .

الرابع والسبعون بعد المائة : قانون الجهاد بالإعراض عن المشركين .

الخامس والسبعون بعد المائة : البشارة والوعد من عند الله على قانون

دفع ضرر المشركين ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أذى﴾^(١) .

السادس والسبعون بعد المائة : قانون صفة السلم العام لرسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

السابع والسبعون بعد المائة : قانون الإعراض عن المشركين طاعة لله عز وجل ، وهداية ورشاد وإحسان عام .

الثامن والسبعون بعد المائة : قانون الثبات على الإيمان مع أذى المشركين .

التاسع والسبعون بعد المائة : قانون الإعراض عن المشركين المبلطين .

الثمانون بعد المائة : قانون الإعراض عن المشركين صبر وتحمل .

الواحد والثمانون بعد المائة : قانون الإعراض عن المشركين مصابرة مع المشركين ، وفيه الأجر والثواب .

الثاني والثمانون بعد المائة : قانون الإعراض عن المشركين مرابطة في مقامات الإيمان وسلامة من الإشتغال بالمشركين وجدالهم وجهالتهم .

الثالث والثمانون بعد المائة : قانون من التقوى الإعراض عن المشركين لما فيه من الإمتثال لأمر الله .

الرابع والثمانون بعد المائة : قانون الإعراض عن الذين كفروا واقية .

الخامس والثمانون بعد المائة : قانون ذم الشرك في كل زمان .

(١) سورة آل عمران ١١١ .

السادس والثمانون بعد المائة : قانون الإعراض عن المشركين إضرار بهم .

السابع والثمانون بعد المائة : قانون الملازمة بين الإجهار بالرسالة والإعراض عن المشركين .

الثامن والثمانون بعد المائة : قانون الإعراض عن المشركين حجة عليهم ورحمة بهم لما فيه من الإنذار العملي .

التاسع والثمانون بعد المائة : قانون الإعراض عن المشركين تبكيت وخزي لهم .

التسعون بعد المائة : قانون الإعراض النبوي عن المشركين سلام وأمن عام .

الواحد والتسعون بعد المائة : قانون تعضيد القرآن للنبي والمسلمين في إعراضهم عن المشركين .

الثاني والتسعون بعد المائة : قانون استحقاق المشركين للإعراض عنهم .

الثالث والتسعون بعد المائة : قانون نزول العذاب بالمشركين الذين يعرض عنهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الرابع والتسعون بعد المائة : قانون الإعراض عن المشركين بعد إقامة الحجة عليهم .

الخامس والتسعون بعد المائة : قانون الإعراض عن المشركين في كل زمان .

السادس والتسعون بعد المائة : قانون تبكيت المنافقين .

السابع والتسعون بعد المائة : قانون فضح القرآن للمنافقين .

الثامن والتسعون بعد المائة : قانون زجر القرآن عن النفاق .

التاسع والتسعون بعد المائة : قانون القبح الذاتي والعرضي للنفاق .

المائتان : قانون تضاؤل النفاق وأثره ، والنقص في عدد المنافقين والمنافقات .

الواحد بعد المائتان : قانون الملازمة بين النبوة والصبر .

- الثاني بعد المائتان : قانون الملازمة بين النبوة والصفح .
- الثالث بعد المائتين : قانون مصاحبة الصفيح الجميل للنبوة الخاتمة .
- الرابع بعد المائتين : قانون ملازمة صفة الجميل لسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في معاملاته .
- الخامس بعد المائتين : قانون الصفيح النبوي رحمة عامة بالناس لا يعلم منافعها إلا الله عز وجل .
- السادس بعد المائتين : قانون دولة الإسلام هي دولة الصفيح الجميل وأن مضامين آية البحث نافذة إلى يوم القيامة .
- السابع بعد المائتين : قانون وراثة الحكام والعلماء المسلمين الصفيح الجميل .
- الثامن بعد المائتين : قانون القرآن كتاب الرحمة العامة .
- التاسع بعد المائتين : قانون الملازمة بين الإيمان والرحمة ، فلا تفارق الرحمة المؤمنين .
- العاشر بعد المائتين : قانون الإسلام دين الأمن والسلام .
- الحادي عشر بعد المائتين : قانون شواهد من السنة النبوية القولية والفعلية تبين سلامة آيات السلم من النسخ .
- الثاني عشر بعد المائتين : قانون الملازمة بين هبوط آدم وحواء إلى الأرض ووضع البيت الحرام ، لإفادة الألف واللام في (للناس) العموم الإستغراقي وشمول الآية لآدم وحواء
- الثالث عشر بعد المائتين : قانون إقامة الحججة على الذين يتخلفون عن الحج الواجب ، حجة الإسلام .
- الرابع عشر بعد المائتين : قانون الملازمة بين عمارة الناس للأرض وحج البيت .
- الخامس عشر بعد المائتين : قانون استقبال المسلمين للبيت الحرام في الصلاة من أسباب الصلاح ونشر الأمن بين الناس .
- السادس عشر بعد المائتين : قانون النسخ من حكمة الله في الخلائق .

- السابع عشر بعد المائتين : قانون القرآن لا تنسخه السنة .
- الثامن عشر بعد المائتين : قانون عصمة الإسلام وأحكامه من الغلو .
- التاسع عشر بعد المائتين : قانون بناء المساجد خاصة لعبادة الله .
- العشرون بعد المائتين : قانون النهي عن بناء المسجد للفتنة ومحاربة الله ورسوله والفرقة والريب والإفتراء والغيبة للمؤمنين .
- الواحد والعشرون بعد المائتين : قانون أداء الصلاة دعوة للسلم والأمن المجتمعي .
- الثاني والعشرون بعد المائتين : قانون تعاهد الصلاة اليومية زاجر عن الإرهاب والبطش والعنف .
- الثالث والعشرون بعد المائتين : قانون مصاحبة الصلاة لوجود الإنسان في الأرض من أيام آدم عليه السلام .
- الرابع والعشرون بعد المائتين : قانون حفظ الصلاة وفق التنزيل والوحي إلى يوم القيامة برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
- الخامس والعشرون بعد المائتين : قانون أعداء الإسلام هم الذين يشعلون الحروب ، وأن الله عز وجل قد تكفل إطفاء الحروب .
- السادس والعشرون بعد المائتين : قانون الانتظار .
- السابع والعشرون بعد المائتين : قانون الانتظار من مقامات الإيمان لما يصيب الذين كفروا من البلاء والعقاب .
- الثامن والعشرون بعد المائتين : قانون الانتظار الرحمة والعفو والصفح والهداية إلى الإيمان ، وهو من الشواهد على سلامة آية البحث من النسخ .
- التاسع والعشرون بعد المائتين : قانون السلم نعمة وبركة .
- الثلاثون بعد المائتين : قانون التضاد بين السلم واتباع نزع الشيطان .
- الواحد والثلاثون بعد المائتين : قانون التضاد بين السلم وحمية الجاهلية .
- الثاني والثلاثون بعد المائتين : قانون استدامة تعاهد المسلمين للسلم في كل زمان ، فيما بينهم ، ومع غيرهم من أهل الكتاب وغيرهم .

الثالث والثلاثون بعد المائة : قانون الترغيب بالحوار .
الرابع والثلاثون بعد المائتين : قانون صيغة الجمع بندااء الإيمان رحمة
عامة .

الخامس والثلاثون بعد المائتين : قانون اتحاد الأصل الإنساني سور
الموجة الكلية في الأخوة بين الناس جميعاً في التعايش السلمي .
السادس والثلاثون بعد المائتين : قانون الصيام دعوة سنوية للسلم .
السابع والثلاثون بعد المائتين : قانون السلام عليكم أمن وسلام .
الثامن والثلاثون بعد المائتين : قانون الإستعداد للبرزخ بالدعاء .

ردود كريمة على بعض الأجزاء الأخيرة من هذا السفر المبارك

- ١- خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز/ ملك المملكة العربية السعودية "حفظه الله"
- ٢- صاحب السمو رئيس وزراء دولة الكويت.
- ٣- صاحب السمو الملكي أمير منطقة الرياض
- ٤- صاحب السمو الملكي أمير منطقة مكة المكرمة .
- ٥- صاحب السمو الشيخ وزير خارجية مملكة البحرين.
- ٦- الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي.
- ٧- الأمين العام لمجلس التعاون الخليجي.
- ٨- سماحة الإمام الأكبر شيخ الأزهر.
- ٩- سماحة العلامة الشيخ أ.د مفتي جمهورية مصر العربية.
- ١٠- سيادة مستشار الأمن القومي .
- ١١- سماحة العلامة المفتي العام لسلطنة عمان .
- ١٢- المدير العام لمنظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة/ إيسيكو
- ١٣- الأمين العام لإتحاد المؤرخين العرب.
- ١٤- سعادة أ.د. مدير جامعة الملك فيصل/ المملكة العربية السعودية
- ١٥- سعادة أ.د. مدير جامعة كردفان/ الجمهورية السودانية.
- ١٦- سعادة أ.د. مدير الجامعة الإسلامية/ المدينة المنورة .
- ١٧- سعادة أ.د. رئيس الجامعة العراقية /العراق .
- ١٨- سعادة أ.د. رئيس جامعة جدارا/ الأردن.
- ١٩- سعادة أ.د. رئيس جامعة القادسية / العراق.
- ٢٠- سعادة أ.د. مدير جامعة الأمير عبد القادر/ الجزائر.
- ٢١- سعادة أ.د. رئيس جامعة سومر/ العراق



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
(١٧٤)
إمارة منطقة الرياض
(٠٠١)
مكتب الأمير
إدارة العلاقات العامة

فضيلة الشيخ / صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:-

تلقينا خطابكم رقم ٢٢٤ وتاريخ ١٤٣٠/٥/٤هـ .. ومشفوعه نسخة من كتابكم (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء (٦٧).

نشكركم على هذا الإهداء متمنين لكم دوام التوفيق.. ولكم تحياتنا. ،،،

أمير منطقة الرياض

سلمان بن عبدالعزيز

The Prime Minister
State of Kuwait



رئيس مجلس الوزراء
دولة الكويت

سماحة الأخ الكريم الشيخ / صالح الطائي المحترم
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
تحية طيبة وبعد...

تلقينا مع الشكر تهنتكم الكريمة بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك، مع إهدائك
الطيب من الجزء الحادي والخمسين من تفسير "معالم الإيمان" والذي تناولتم فيه
تفسير قوله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ الآية ١١٠ من سورة آل عمران.
ويسرنا ان نعرب لكم عن خالص تقديرنا لمبادرتكم الكريمة، مشيدين بجهودكم الطيبة
التي تبذلونها لخدمة الإسلام، وإيضاح معاني الكتاب الشريف، آملين ان تسهموا
بهذا العمل الصادق في تقريب المقاصد الربانية للآيات بما يعود بالخير على امتنا
الإسلامية.

نكرر الشكر، آملين لكم دوام التوفيق والسداد في خدمة كتاب الله، وان يحفظ أمتنا
العربية والإسلامية، ويجمع كلمة المسلمين ويوحدهم لما فيه خيرهم.
مع أطيب التمنيات.

ناصر المحمد الأحمد الجابر الصباح



الكويت في: 13 محرم 1429 هـ
الواثق: 22 يناير 2008 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
(٢٧٢)
إمارة منطقة الرياض
(٠٠١)
مكتب الأمير
إدارة العلاقات العامة

فضيلة الشيخ / صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

تلقينا خطابكم رقم ٤٥٥ في تاريخ ١٩/٥/٢٠١٢م ومشفوعة بنسخة
من كتاب الجزء الثاني والتسعين من التفسير من القسم الثاني من
تفسير الآية (١٣٥) من سورة (آل عمران).

نشكركم على هذا الإهداء متمنين لكم دوام التوفيق. ولكم

تحياتنا،،،

امير منطقة الرياض

سطان بن عبدالعزيز



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 هَذَا كِتَابٌ جَزِيئٌ لِيَسْجُودَ لِيَتَّبِعُوا
 وَزَارَةَ الدَّاخِلِيَّةِ
 إِمَارَةُ مَنطَقَةِ مَكَّةِ الْمُكَرَّمَةِ
 الدَّرَاسَاتُ وَالْعِلَاقَاتُ الْعَامَّةُ

المحترم

سعادة الشيخ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إشارة إلى خطابكم رقم ١٦/٧٨١ وتاريخ ٢٠١٦/٢/١٨ والمرفق به الجزء الثامن والعشرون بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن).

نشكركم على ذلك متمنين التوفيق للجميع، ولكم تحياتنا والسلام عليكم.

خالد الفيصل

مستشار خادم الحرمين الشريفين
 أمير منطقة مكة المكرمة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مكتب القرآن
Minister's Officeمملكة البحرين
وزارة الخارجية

23 نوفمبر 2016

فضيلة الشيخ محمد الشيخ صالح الطائي المحترم
مدير مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

تسلمت بجزيل الشكر نسخة من الجزء الأربعين بعد المائة من تفسيركم المستير وتدبركم الحكيم في الآية القرآنية الكريمة [وَلَنْ نُّمِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَحْشُرُونَ] مقدراً ما بذلتموه من جهد كبير وما استبظتموه من مسائل وقوانين تقيد كافة المسلمين ، مقدراً جهودكم الدينية والتوعوية الملموسة والدؤوبة ، سائلاً الله تعالى لكم موفور الصحة والعافية ودوام التوفيق والسداد .
وتفضلوا بقبول فائق تحياتي.

افرح

ف
١١ -

خالد بن أحمد بن محمد آل خليفة

وزير الخارجية

ORGANISATION OF ISLAMIC COOPERATION
GENERAL SECRETARIAT

ORGANISATION DE COOPERATION ISLAMIQUE
SECRETARIAT GENERAL



OIC/CAB-01/2012 001010

جدة في: 23 FEB 2012

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي حفظه الله ورعاه
صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد،

فقد تسلمنا بيد الشكر والتقدير نسخة من كتاب "معالم الإيمان في تفسير القرآن" الجزء التسعون- الآية ١٣٤ من سورة آل عمران، والذي تفضلتم بإهدائه إلى معالي البروفسور أكمل الدين إحسان أوغلي، الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي، ويشرفنا أن نتقدم إليكم بجزيل شكرنا على جهودكم المتواصلة لتفسير أي الذكر الحكيم، فجزاكم الله عنا خير الجزاء وبارك فيكم وفيما تقومون به من جهد مبارك خدمة للإسلام والمسلمين.

وتفضلوا بقبول وافر الشكر والتقدير.

أحمد العبدوس
مستشار الأمين العام



مكتبة الأمين العام

مجلس الشورى لدراسة وإحياء التراث الإسلامي - اللجنة العامة



رقم ٢٠٠٩ / ٧٥٤٤
تاريخ ٢٠١٢ / ٨ / ٢٠
العدد ٧ / ٩٧ / ٢٠٠٧

مكتب الأمين العام

فضيلة الشيخ الجليل/صالح الطائي المحترم

المرجع الديني _ أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق.

المنامة- مملكة البحرين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بوافر التقدير، تلقينا إهداؤكم الكريم نسخة من الجزء السابع والأربعين من تفسير "معالم الإيمان في تفسير القرآن".

يطيب لي، بهذه المناسبة، أن أعرب لفضيلتكم عن التقدير والثناء على جهودكم العلمية الحثيثة، وإسهاماتكم الموفقة من خلال تعاهدكم كتاب الله العزيز، وحبله المتين، الذي نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم.

شاكراً تفضلكم بالإهداء القيم، ومشهداً، على نحو خاص، بما تشتمل عليه إصدارات أجزاء التفسير من البحث العميق والاستقراء الشامل والاستنباط الدقيق الذي يجسد حقيقة الإعجاز الذي تناولتموه فضيلتكم بعمق وشمولية، ويسند ذلك ما توافر لكم من العلم الغزير والفقه المتمكن والمرجعية العريقة. بارك الله جهودكم، وأمدكم بعونه وتوفيقه، وكتب لكم المثوبة والأجر، وجزاكم خير الجزاء عن الإسلام والمسلمين.

وتفضلوا فضيلتكم بقبول وافر التقدير والاحترام.

عبد الرحمن بن حمد العطية

عبد الرحمن بن حمد العطية

الأمين العام

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر
مكتبة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

٢٩ / ٥٦

١٤ / ٥ / ٨٠

السيد صاحب الفضيلة المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد،.....

فلقد تلقيت بحمد الله رسالتكم الرقيقة وبها الجزء الحادي
والخمسون في تفسير آية واحدة من سورة آل عمران من القرآن الكريم.
نتضرع إلى الله العلي القدير أن يلهمكم العلم النافع وان يجعله
في ميزان حسناتكم.
وشكر الله لكم حسن عملكم
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخ الأزهر

محمد سيد طنطاوي

(الدكتور/ محمد سيد طنطاوي)

في: ١٣ من صفر ١٤٢٩هـ

الموافق: ٢٠ من فبراير ٢٠٠٨م

مصطفى عباس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي

صاحب أحسن تفسير للقرآن وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد،
فإنه ليسعدني أن أتقدم لسيادتكم بخالص الشكر والتقدير والإحترام
على تفضلكم بإهدائنا نسخة من الجزء الثاني والثمانين.
وأتمنى من الله أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية وأن يسبغ
عليكم نعمه ظاهرة وباطنه وان يوفقنا لما يحبه ويرضاه.
شاكرين لكم، ولكم تحياتي

أ. د. علي جمعة
مفتي جمهورية مصر العربية

Republic of Iraq
Prime Ministers
National Security Advisory



جمهورية العراق
رئاسة الوزراء
مستشارية الأمن القومي

العدد: ٢٢٥١
التاريخ: ٦ / ١١ / ٢٠٢١

مكتب المرجع الديني

الشيخ صالح الطائي (دامت بركاته)

السلام عليكم وعليكم ورحمة الله وبركاته
ببالغ الإمتنان والغبطة تلقينا هديتكم الكريمة (الجزء السادس
عشر بعد المائتين) من التفسير المبارك شاكرين حسن معالجتكم
لهذا الموضوع المهم ونشد على عضدكم لتقدموا للأمة كل ما
ينفعهم وينير بصيرتهم ويجلي الرين عن قلوبهم ليفهموا كتاب الله
كما أراد سبحانه أن يفهموه ويعملوا بأحكامه ليكون لهم في
الدنيا، مرشدا وفي الآخرة شفيعا. ونضع أنفسنا وامكاناتنا
لخدمة هذا المجهود المبارك سائلين المولى القدير أن يوفقكم لكل
خير.

مع خالص الدعاء

اخوكم

قاسم الاعرجي

مستشار الامن القومي



بسم الله الرحمن الرحيم

كوٲ ماري عيراق

د اد كاي بالآي ئيئتجادي

العدد : ٥٥ / مكتب / ٢٠٢١

التاريخ : ٢٠٢١ / ٩ / ١٦



جمهورية العراق

المحكمة الاتحادية العليا

مكتب رئيس المحكمة

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم

تحية طيبة

تلقينا ببالف الاعتراز اهداءكم القيم (الجزء (٢٢٣)
من تفسيركم للقرآن خاصاً بالآية (١٨٨) من
سورة آل عمران.
نقدم شكرنا وتقديرنا مع وافر التقدير .


القاضي
جاسم محمد عبود

رئيس المحكمة الاتحادية العليا

٢٠٢١/٩/١٦

Sultanate of Oman
Ministry of Endowments
and Religious Affairs
Al Ifta Office



سُلْطَنَةُ عُمَانَ
وَزَارَعَةُ الْإِوْقَافِ وَالشُّؤُونَ الدِّينِيَّةِ
مَكْتَبُ الْإِفْتَاءِ

No. :

الرقم : ٣٠١١ / ٩٩ / ٢٦ / ٢٠١١

Date : / / 142

التاريخ : ١٤٣٢ / ١ / ٢٩

/ / 200

٢٠١١ / ١ / ٤

المحترم

فضيلة الشيخ العلامة صالح الطائي

مكتب المرجع الديني

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد:

فبيد الشكر والتقدير تلقيت خطابكم المؤرخ في ٢٠١٠/١١/٢م المرفق به هديتكم المباركة كتاب تفسير القرآن الجزء الثمانون .

شاكراً لكم تواصلكم الدائم معنا، والله يوفقكم لما فيه الخير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

أحمد بن محمد الخليلي
المفتي العام لسلطنة عمان





المدير العام
Director General
Directeur général

الرباط، في : 15 نونبر 2024

الرقم : مدع/14/ 0723

فضيلة الشيخ صالح الطائي
المرجع الديني
وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
المنامة - مملكة البحرين
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،
فإنه ليسعدني أن أتقدم لفضيلتكم بخالص الشكر على
تفضلكم بإهدائنا الجزء الرابع والخمسين بعد المائتين من
تفسيركم " معالم الإيمان ".
وإذ نقدر جهودكم العلمية المتواصلة في خدمة كتاب الله
وتفسيره ، أرجو أن تتفضلوا فضيلتكم بقبول فائق التقدير
وبالغ الاحترام .

المدير العام

د. سام بن محمد المالک



Council Of Arab Economic Unity
Subsidiary to Arab League
Union of The Arab Historians
General Secretary



مَجْلِسُ الْوَحْدَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ
الَّتِي تَتَّبِعُ لِيَاكُمَةِ الدَّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ
اتِّحَادُ الْمُؤَرِّخِيْنَ الْعَرَبِ
الْاِمْنَانَةُ الْعَامَّةُ

العدد : ٢٨٠ / ت

التاريخ : ٢٥ ذو الحجة ١٤٤٢

الموافق : ٢٠٢١ / ٨ / ٤

إلى / سماحة المرجع الديني للمسلمين الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
م/شكر وتقدير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وأسأل الله تعالى ان يوفقكم ويحفظكم ويرعاكم انه سميع مجيب الدعاء.

عزيزي سماحة الشيخ المحترم :

تسلمت بمزيد من الفخر والاعتزاز الجزء (الواحد والعشرين بعد المائتين) من موسوعة (معالم الإيمان في تفسير القرآن) وهو الجزء الخاص بقانون (النزاع المسلح بين القرآن والإرهاب) التي تدلل على ما حباكم الله تعالى به من رعاية ربانية علمية في انجاز هذا العمل العلمي الكبير ، وهو أول عمل علمي في العالم الإسلامي بهذا الحجم وبهذا العمق وبهذا المنهج ، وأسأل الله تعالى أن يديم عليكم نعمة العافية والستر والتوفيق والسداد من أجل تقديم المزيد من العطاء الفكري والعلمي في هذا التخصص النادر ، والله يحفظكم ويرعاكم بعين حفظه ورعايته إنه سميع مجيب الدعاء.

أكرر شكري وتقديري وامتناني العظيم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ع

الأستاذ الدكتور محمد جاسم المشهداني

الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب

العميد/رئيس الهيئة العلمية لمعهد التاريخ العربي

والتراث العلمي للدراسات العليا



KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry of Higher Education
KING FAISAL UNIVERSITY
(037)



الجامعة العربية الإسلامية
وإدارة التعليم
جامعة الملك فيصل
(٠٣٧)

الموضوع:

فضيلة الشيخ / مدير مكتب المرجع الديني للشيخ صالح الطائي الموقر

ص.ب. ٢١١٦٨ - المنامة - مملكة البحرين

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد

تلقيت بكل الشناء والتقدير خطاب فضيلتكم رقم ١٦/٢٤٢٠
وتاريخ ١٦/١٠/٢٠١٦م المرفق طيه نسخة من كتاب بعنوان "معالم الإيمان
في تفسير القرآن - الجزء الأربعون بعد المائة.

أشكر فضيلتكم جزيل الشكر على إهتمامكم بتزويد إدارة
الجامعة بهذه النسخة القيمة، وستحال إلى مكتبة الجامعة للإطلاع عليها
والاستفادة منها، سائلا المولى جلت قدرته للجميع التوفيق والسداد.

وتقبلوا خالص تحياتي وتقديري،،،

مدير الجامعة

د. عبدالعزيز بن جمال الدين السعدي





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة كردفان UNIVERSITY OF KORDOFAN

Our Ref:

Date:

مكتب المدير
Vice Chancellor Office

التمرة: .. ج ك/م م/١٧/ح/٣

التاريخ: ٢٠١٦/٧/١١

السادة/ مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تهديكم جامعة كردفان أطيب التحايا، مقرونة بأحر التهاني وأبهى التبريكات بمناسبة عيد الفطر المبارك، أعاده الله علينا وعليكم والأمة المسلمة بالخير واليمن والبركات، وعظفاً على خطابكم الصادر بتاريخ ٢٠١٦/٥/٢٠ بالرقم ١٦/١٨٥٧، والمرسل معد إصدار الجزء الثاني والثلاثون بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) فإن الواجب يقتضي أن نزجي لكم وافر الشكر وفائق التقدير على هذا المدد والفيض العميم من العلم القرآني النافع، ترسيخاً لمعاني التدبر، وتحريكاً لملكة العقل من الجمود، فهي المعرفة ذات الحدود الواسعة، لاكتشاف مكونات عظمة هذا القرآن، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تعظيماً لقدرة الله جل وعلا والإعتراف له بالوحدانية، وهذا ما يقوم به مكتب المرجع الديني لخدمة الإسلام والمسلمين عبر مؤسساتهم الأكاديمية والعلمية والبحثية، وختاماً لا يسعنا إلا أن نقول جزاكم الله خيراً وأن يتقبل منكم هذا العمل المبارك، وكل عام وأنتم بخير.

وتفضلوا بقبول فائق عبارات التقدير والإحترام

أ.د. أحمد عبدالله عجب الدور

مدير الجامعة



الرقم: ١١٤٦ / ١٧٢
 التاريخ: ١٠ / ٢ / ١٤٣٧ هـ
 المرسلات:
 الموضوع:



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
 وزارة التعليم العالي
 الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
 مكتب المدير
 (٠٣٧)

سلمه الله

معالي الشيخ/ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،، وبعد

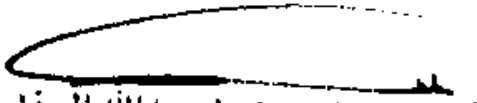
فأسأل الله لمعاليتكم العون والتوفيق، ويسرني إفادتكم بأني تلقيت بكل تقدير وإمتنان إهداءكم للجامعة نسخة من الجزء التاسع بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن).

وإنني إذ أتقدم لمعاليتكم بخالص الشكر والعرفان على هذا الإهداء، لأدعو الله العلي القدير أن يمدكم بعونه وتوفيقه، وأن يسدد خطاكم ويكفل أعمالكم بالنجاح إنه سميع مجيب يحفظكم الله ويرعاكم.

ولكم تحياتي وتقديري

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير الجامعة الإسلامية


 أ. د / عبدالرحمن بن عبداللطف السعيد

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
& SCIENTIFIC RESEARCH
THE IRAQIA UNIVERSITY
THE PRESIDENT OFFICE OF UNIVERSITY



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة العراقية
مكتب رئيس الجامعة

NO.:

DATE: / / 201

العدد: ٢٩٢ / ١
التاريخ: ٢٠١٦ / ٤ / ١٠
١٤٣٧ / / هـ

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن

تحية طيبة...

نشكر مبادرتكم الطيبة بإهدائكم لنا نسخة من كتابكم الموسوم الجزء الثلاثون بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) سائلين الباري عز وجل أن يوفقكم في مسيرتكم العلمية والعملية خدمة لبلدنا العزيز.

ومن الله التوفيق...



أ.د. علي صالح حسين
رئيس الجامعة العراقية

٢٠١٦ / ٤ / ١٠ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

Jadara University

Office of the President



جامعة جدارا

مكتب الرئيس

Ref. _____

الرقم ١١١١٠٨١٤٦

Date _____

التاريخ ٢٦/٥/٢٠١٢ م
الموافق ٥ من شهر ربيع الثاني

سيادة الأخ الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم

وأستاذ الفقه والأصول والأخلاق

بكل فخر وإعتزاز تلقيت رسالتكم الموقرة التي تحمل العدد (٥٣٢)

تاريخ ٢٦/٥/٢٠١٢م، ومرفقها الجزء التسعون من التفسير في الآية (١٣٣)

من سورة آل عمران.

وانني إذ أشكركم جزيل الشكر وعظيم الإمتنان على اهدائكم هذا،

سائلاً المولى عز وجل أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية، وأن

يجعلكم سنداً وذخراً للأمة الإسلامية متمنياً لكم كل التقدم والإزدهار.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس الجامعة

أ. د محمد الطعامنة

Republic of Iraq
Ministry Of Higher Education
and Scientific Research
University of Al-Qadisiya
Chief of University Office



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية
مكتب رئيس الجامعة

Ret :

Date:

العدد: ١٥٦ / ٤

التاريخ: ١٩ / ٢ / ٢٠١٥

إلى / مكتب المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
م/شكر على اهداء

تحية طيبة ...

تسلمنا ببالغ الشكر والتقدير الجزء السابع بعد المائة من التفسير وهو القسم الأول من تفسير (أن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس) شاكرين لكم اهداءكم متمنين لكم مزيداً من الإرتقاء والأزدهار والتطور.

... مع التقدير

أ.د. أحسان كاظم شريف القرشي

رئيس الجامعة

٢٠١٥/٢/

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

رئاسة الجامعة



قسنطينة في: 25/03/2015

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسنطينة
ر.م. / ج. / ع. / 2014

إلى السيد المحترم / الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن
مكتب المرجع الديني
شكر وتقدير

تحية طيبة وبعد :

تلقينا نحن أ.د. / عبدالله بوخلخال مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، هديتكم القيمة المتمثلة في كتاب (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء الثالث عشر بعد المائة.

وإذ نعبّر لكم عن شكرنا على هذه الإلتفاته الكريمة، نهديكم نحن بدورنا نسخة من مجلة الجامعة العدد ٣٣ ونسخة من نشرة أخبار الجامعة.

تقبلوا فائق الاحترام والتقدير.

مدير الجامعة

أ.د. عبدالله بوخلخال
مدير الجامعة

المحتويات

٢ المقدمة
١٢ تغشي رحمة الله للخلائق كلها
١٣ شواهد السنة على سلامة آيات السلم من النسخ
١٥ قلة الآيات المنسوخة
١٨ استغفار الملائكة
١٩ آيات الانتهاء من القتال
٢١ إنهاء القتال في السنة النبوية
٢٣ شواهد الامتناع عن الإبتداء بالمبارزة
٢٤ طلب الأكفاء من قريش
٢٥ مبارزة يوم الفرقان
٢٧ أجزاء آيات السلم
٣٠ تقسيم آية السيف للمشركين
٣٢ تلاوة سورة براءة
٣٤ قانون الصلح سلم وأمن
٣٥ آية السيف رحمة

الآية الثانية والستون : قوله تعالى ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي

حَدِيثٍ﴾ ٣٧

القائلون بنسخ هذه الآية ٣٧

أسباب النزول ٤٠

قانون الإعراض العام عن الخائضين في التنزيل ٤٠

قسما نسخ آية البحث ٤١

سلامة الآية من النسخ ٤٢

الآية الثالثة والستون ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ ٤٤

في الآية أقوال ٤٥

قانون التكليف العام ٤٦

القول بالنسخ ٤٨

تعدد اللفظ والنسخ ٤٩

قانون الرحمة العامة ضد السيف ٥٢

لماذا براءة بلا بسملة ٥٥

الآية الرابعة والستون ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾^{٥٠}.

..... ٥٨

القائلون بنسخ هذه الآية ٥٨

التفسير بالتقدير ٦٠

- الآية تخفيف ٦١
- قانون الإعراض تأديب ٦١
- الآية الخامسة والستون ﴿وَمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾^٥ . ٦٣
- القائلون بنسخ هذه الآية ٦٤
- شدة الأذى من الكفار ٦٦
- إرادة قتل النبي (ص) ٦٧
- التبويض في الوعيد ٦٩
- المراد بالنسخ في الآية ٧١
- عذاب الكافر في القبر ٧٣
- الآية السادسة والستون ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^٥ ٧٦
- القائلون بنسخ هذه الآية ٧٦
- جهاد المنافقين ٧٩
- الآية السابعة والستون ﴿قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾^٥ ٨٣
- القائلون بنسخ هذه الآية ٨٣
- التفسير بالتقدير ٨٥
- دلالة إتحاد آيات في موضوعها ٨٩
- سؤال المعجزات ٩٠
- استحداث علمين ٩٢

- ٩٤..... سلامة آية البحث من النسخ
- ٩٦ الآية الثامنة والستون ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾^١.
- ٩٦ القائلون بنسخ هذه الآية
- ٩٨ الجزء بيد الله
- ٩٩..... النداء النبوي العام
- الآية التاسعة والستون : قوله تعالى ﴿وَأَصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ
- الْحَاكِمِينَ﴾ .
- ١٠١ القائلون بنسخ هذه الآية
- ١٠٣..... من وظائف الرسالة الخاتمة
- ١٠٤ مصاديق صبر النبي
- ١٠٦..... بشارة الهجرة
- ١٠٨..... الصبر وبيعة العقبة
- ١٠٩ حكم الله خير حكم
- ١١٠ الله هو الحاكم
- ١١١ الصبر أمر وجودي
- ١١٣..... شواهد على إحكام الآية
- ١١٤ انتظار حكم الله
- ١١٦..... استدامة إنذار الكافرين

- الآية السبعون : قوله تعالى ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^٥..... ١١٨
- القائلون بنسخ هذه الآية ١١٨
- شمول رحمة الله للخلائق ١١٩
- الإسلام والخلق الحميد ١٢٢
- قانون فتح مكة تنزيه ١٢٤
- كراهية اسم حرب ونحوه ١٢٦
- أواصر المودة والتآلف ١٢٨
- قانون بذل السلام أمان عام ١٢٩
- إفشاء السلام إطفاء للنائرة ١٣١
- قانون الإسلام دين الرحمة العامة ١٣٢
- النسبة بين الرحمة والسلام ١٣٤
- الآية الواحدة والسبعون ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمْتَعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^٥..... ١٣٧
- القائلون بنسخ هذه الآية ١٣٧
- آية البحث سكينته وإنذار ١٣٩
- قانون الأمل شعبة من الفطرة ١٤٠
- قانون الأمل فرع الخلافة ١٤٢

- ١٤٤..... لفظ (الأمل) في القرآن
- ١٤٦..... يلهمهم الأمل عن ماذا ؟
- ١٤٨ سلامة آية البحث من النسخ
- ١٤٩..... علم التقدير
- ١٥٢..... الآية الثانية والسبعون ﴿فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾^٥
- ١٥٢..... القائلون بنسخ هذه الآية
- ١٥٤..... آية البحث محكمة
- ١٥٦ دوران الامر بين إحكام الآية ونسخها
- ١٥٧ مصاديق الصفح الجميل
- ١٥٨ قانون الصفح لطف
- ١٥٩..... استحداث قسيم
- ١٦١..... إفادة الواو التخيير
- ١٦٢..... انعدام التزاحم بين آية السيف وآية البحث
- ١٦٤..... حلية مكة للنبي (ص) ساعة النهار
- ١٦٥ إسلام عكرمة بن أبي جهل
- ١٦٦ العفو عن عبد الله بن سعد بن أبي السرح
- ١٦٧ مصاديق الصفح يوم الفتح
- ١٦٩ التفسير بالتقدير

- لماذا الصفح بعد الخلق العام وذكر الساعة..... ١٧١
- معاني الآية شواهد على السلامة من النسخ ١٧٤
- قانون الصفح من الخلق العظيم..... ١٧٥
- تقدير آية الرحمة العامة..... ١٧٧
- آيات الرحمة مدرسة..... ١٨١
- الآية الثالثة والسبعون : قوله تعالى ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^٥..... ١٨٢
- القائلون بنسخ هذه الآية ١٨٢
- طلب رهن من النبي (ص) ١٨٤
- قانون استدراج الكافر..... ١٨٦
- تجدد مضامين آية البحث..... ١٨٧
- قانون الحصانة الإيمانية من الإفتتان..... ١٨٩
- من أقسام الخطاب..... ١٩٠
- قانون توالي وتتابع النعم..... ١٩٢
- استدامة موضوع آية البحث..... ١٩٤
- قانون الشكر على النعم..... ١٩٥
- قانون سلامة آيات السلم من النسخ..... ١٩٧
- قانون الاجتهاد النبوي لدخول الناس في الإسلام..... ١٩٨

- الآية الرابعة والسبعون : قوله تعالى ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^٥..... ١٩٩
- القائلون بنسخ هذه الآية ١٩٩
- دخول الإسلام بيوت رؤساء قريش ٢٠٢
- بقاء أحكام آية البحث ٢٠٣
- مصاديق الإعراض ٢٠٥
- دوران الأمر بين إحكام الآية ونسخها ٢٠٦
- سلامة الآية من النسخ ٢٠٨
- الإعراض عن المشركين فرع التبليغ ٢١٠
- بين الإعراض والتقية ٢١١
- قانون الإعراض عن المشركين جهاد ٢١٣
- الجهاد في مرضاة الله ٢١٥
- بين آية البحث والآية الأخيرة من سورة آل عمران ٢١٦
- آية البحث أمن وأمان ٢١٧
- تفسير ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ ٢١٩
- دلالة التقدير على عدم النسخ ٢٢٠
- قانون ذم الشرك في كل زمان ٢٢١
- قانون الإعراض عن المشركين ٢٢٢
- الجمع بين الإعراض والسيف ٢٢٥

- ٢٢٦ قانون تبكيت المنافقين
- ٢٢٨ صبر النبي (ص) على المنافقين
- ٢٣٠ قانون مصاحبة الصفح الجميل للنبوة الخاتمة
- ٢٣٢ آيات الرحمة العامة نسخ للسيف
- ٢٣٤ إحصاء آيات السلم
- ٢٣٦ حج البيت نداءً للسلم
- ٢٣٩ النسخ ليس بداءً
- ٢٤١ النسخ في التوراة
- ٢٤٢ الآيات المنسوخة ليست كثيرة
- ٢٤٣ قانون القرآن لا تنسخه السنة
- ٢٤٥ النسخ لزيارة القبور
- ٢٤٥ نسخ السنة بالقرآن
- ٢٤٧ من معاني النسخ في القرآن
- ٢٤٨ السنة النبوية مرآة لآيات السلم
- ٢٥٠ التقييد في آية السيف
- ٢٥١ المسجد الضرار
- ٢٥٥ مسائل في هدم المسجد الضرار
- ٢٥٥ المؤاخاة سلم مجتمعي

- آيات الرحمة تعضيد لآيات السلم ٢٥٨
- الآية الخامسة والسبعون : قوله تعالى ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^٥ ٢٦٠
- القائلون بنسخ هذه الآية ٢٦٠
- السراييل ٢٦٢
- تقدير ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ ٢٦٣
- تناقل آيات القرآن ٢٦٤
- بين العقل والعلم ٢٦٦
- قانون الانتظار ٢٦٩
- دعاء النبي (ص) لقومه ٢٧٣
- قانون السلم نعمة وبركة ٢٧٤
- السلم العام ٢٧٥
- قانون صيغة الجمع بندااء الإيمان رحمة عامة ٢٧٧
- تنقيط القرآن^٥ ٢٧٨
- البيان الشامل ٢٨١
- قال تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^٥ ٢٨١
- اتحاد الأبوة العامة رحمة ٢٨٤
- بحث أصولي ٢٨٥

- ٢٨٦..... اجتماع الضدين في اللفظ القرآني
- ٢٨٩..... الجامع بين الحقيقة والمجاز
- ٢٩٠..... اللفظ الجامع بين العطف والإستئناف
- ٢٩١..... نعمة صدور الجزء (٢٧٣) من هذا السفر
- ٢٩٢ مراتب التنزيل
- ٢٩٦ قانون الصيام دعوة سنوية للسلم
- ٢٩٨ الآيات الساندة لإحكام آيات السلم
- ٢٩٩ قانون الإستعداد للبرزخ بالدعاء
- ٣٠٦ معجزة انتشار الناس في الأرض
- ٣٠٨ تقييد آية السيف زماناً ومكاناً
- ٣٠٩ قوانين الجزء ٢٧٤
- من الردود الكريمة على عدد من أجزاء هذا السفر المبارك خطأ! الإشارة
المرجعية غير معرفة.

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٧٥ لسنة ٢٠٢٦